منتقى اللطائف والنكات

من تدبرات العلماء في الآيات البينات

(في أعظم سورة وأعظم آية في القرآن)

الطبعة الثانية

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

رقم الإيداع: ١٢٣٣/ ٢٠٢٣م



المنصورة - شارع عزبة عقل - شارع المكتبات الإسلامية

33 شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر أمام نقطة شرطة الغورية

dar_elollaa@hotmail.com

01007711665 - 01007868983



مُنتَقَى اللَّطَائف والنِّكات

من تدبُّرات العلماء في الآيات البيِّنات

(في أعظم سورة وأعظم آية في القرآن)

كتاب جُمِعَ من أكثر من مائتي مرجع

عسى الله أنْ يجعله بمنِّه مدخلًا مباركًا لمن رام تدبُّر القرآن

(طبعة منقحة ومزيدة)

تأليف

أبي محمد منير بن أيوب الفياض

الـملعبي آل الفضل السوري

مصر - مدينة العاشر من رمضان

٦/١٥ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ - ٨/ ١/ ٢٠٢٣م

لملاحظاتكم ونصائحكم

التواصل على واتس آب: (٠٠٢٠١٠٠٥٥٣٤١٨٣٢)

بسم الله الرحمن الرحيم





كتابٌ لو أُنزِل على الجبال لشَقَّ فيها الصَّخر الصِّلاد[١]، واستَنبطَ منها ماءَها فأسَالَهُ أنهارًا عَذْبةً في كلِّ وَاد، ولو حَادَثَ الكونَ لاستنطقَتْ بلاغتُهُ الجَمَاد، ولحرَّكت أصواتُ حروفه جلاميدَ[٢] الصُمِّ الشِّداد، ولو أُنزِل في الصَّحاري لأَنبَت الزَّهرَ في بَوَادِيهَا والحَمَاد[٣]، ولجَعَلَها روضاتٍ تَحَار برَوعَتِها وَدقَّة صَنعَتِها عقولُ وقلوبُ العباد، ولو أُنزل على البَحر لجَعَله حُلوًا فُراتًا[٤] تتلذَّذ الأفواه برَشفَةٍ منه وتترَطَّب الأكباد.

كتابٌ هذا شَأنُه لا تنبُذُه إلا قلوبٌ أشدُّ قساوةً من أفئِدَة عَاد، بل وأكثر صَلابَةً من صخر إرَم ذات العِمَاد.

كتابٌ نُقِشَ على صَفحاتِ قلوبِ سَلَفِنا من الأجداد، فسَطَّر لهم بهَدْيِه ونوره تاريخًا عظيمًا وصَرْحًا شامخًا من الأمجاد، وما زال يَسرِي نوره ولو ضَعُفَت جذوتُهُ[٥] إلى الآن مع الأبناء والأحفاد.

(١) **الصَّلد**: الصلب الأملس الشديد - الجمع: صِلَاد.

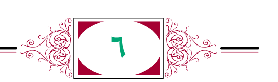
(٢) **الجُلمُد**: الصخر - والرجل الشديد - الجمع: جلاميد وجلامد.

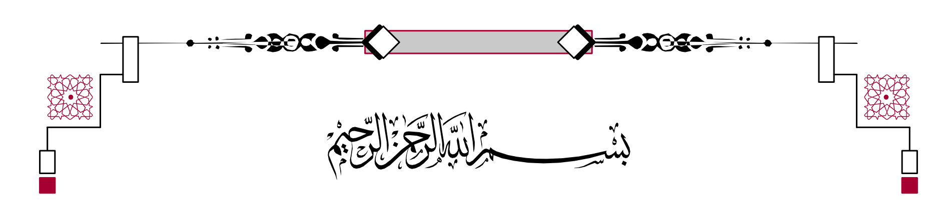
(٣) **الحَمَاد**: الصحراء الصخرية.

(٤) **الفرات**: الماء الشديد العذوبة.

(٥) **جِذوة - جُذْوة من النار**: هو: عودٌ غليظ فيه نار.







مُقَدِّمَة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٢- ٧].

والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستمسك بسنَّته إلى يوم الدين.

◈ أما بعد:

إنَّ الناظر في واقع الأمة في تعاملها مع كتاب ربها؛ يجد أن كثيرًا مِنَّا قد هجَرَ تدبر القرآن واتَّخذ تلاوته عملًا، مع أنَّ الله ﷻ أمرنا بتدبر القرآن كما جاء في محكم كتابه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمَّد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص: ٢٩]، ولا شك أن هجْرَ التدبر للقرآن من أعظم الأسباب المفضية لهجرِ العمل به، والناس في العمل بالقرآن متفاوتون بحسب تفاوت تدبُّرهم له، وقد حذر الله ﷻ من هجر القرآن على لسان نبيِّه ﷺ وذلك بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠﴾ [الفُرقان: ٣٠]، وقد ذكر العلماء كابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في كتابه (الفوائد) بعد الآية السابقة أنواعًا من هجر القرآن، ومنها: (هجر التدبُّر والتفهُّم)، لذلك استعنت بالله ﷻ

على جمع هذا الكتاب في نكتِ ولطائفِ أعظم سورة في القرآن، ألا وهي: (الفاتحة)، وأعظم آية فيه ألا وهي: (آية الكرسي)، وخاصة أنني اطلعت على عدد من الأعمال التي سبقتني في هذا الموضوع فلم أجد -فيما اطلعت عليه- ما يشفي الغليل ويداوي العليل، فمنها جديد ومفيد وجميل لكنه اقتصر على عدد من المراجع فقط وأهمل عشرات المراجع لم ينقل عنها، ومنها ما كان صاحبه حاطب ليل يكتب كل ما ذكره الذاكرون دون تحقُّقٍ وتحقيق وتنقيح، بل جمع في كتابه بين الغثِّ والسمين، والبخْسِ والثمين، مع اقتصاره أيضًا على بعض المراجع فقط، ومنها ما كان نقل صاحبه أقرب للتفسير من اللطائف والنِّكات، أو هو كلام أدبيٌّ جميل منمَّقٌ يصلُحُ مقطوعةً أدبيَّة لا نكتةً ولطيفةً قرآنية.

وأختم كلمتي بكلام جامعٍ جميل قاله شيخ المفسرين ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ، بيَّن فيه أن القرآن معجزٌ بنظمه ورَصْفِهِ ووصفه، **حيث قال** رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن أشرف تلك المعاني التي فَضَل بها كتابنا سائر الكتب قبلَه: نظمُهُ العجيب ورصفه الغريب، وتأليفه البديع، الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سورةٍ منه الخطباء، وكلَّت عن رصف شكل بعضه البلغاء، وتحيَّرت في تأليفه الشعراء، وتبلَّدت - قصورًا عن أن تأتي بمثله - لديه أفهام الفُهَماء، فلم يَجِدوا له إلا التسليم والإقرار بأنه من عند الواحد القهار، مع ما يحوي مع ذلك من المعاني التي هي ترغيبٌ وترهيب، وأمرٌ وزجر، وقصصٌ وجَدَل وَمَثَلٌ، وما أشبه ذلك من المعاني التي لم تجتمع في كتاب أُنزِل إلى الأرض من السماء، فمهما يكن فيه من إطالة على نحو ما في أمِّ القرآن، فلما وصفتُ قبلُ من أن الله جل ذكره أراد أن يجمع برصفه العجيب، ونظمه الغريب المنعَدِل عن أوزان الأشعار، وسجع الكهَّان، وخطب الخطباء،

ورسائل البلغاء، العاجز عن رَصْفِ مثله جميع الأنام، وعن نظم نظيره كلُّ العباد؛ الدلالةَ على نبوة نبينا محمد ﷺ[(١)]. انتهى.

فأسأل الله بمنِّه وكرمه أن يجعل هذا الكتاب منارةً يُهتَدى بها، وطريقًا يُسلَك في فهم الكتاب العزيز وتدبره.

◈ أهداف الكتاب:

١- جمع كل ما قيل في تدبر الفاتحة والكرسي من كلام العلماء في مكان واحد.

٢- إبراز أسباب كون الفاتحة أعظم سورة، والكرسي أعظم آية في القرآن.

٣- أن يكون هذا الكتاب بإذن الله بهذا الجمع الواسع مدخلًا ونبراسًا للتدبر يُقتَدى به فيما سواه.

٤- لفت الأنظار إلى جميل ودقة فهم واهتمام علماء المسلمين بخدمة النَّظم واللفظ القرآني، وذلك من خلال النقل الواسع من كلامهم في هذا الكتاب.

٥- ضبط ما يُسمَّى التفسير الإشاري، وتبيين الصحيح والباطل منه.

٦- المشاركة في تنبيه طلبة العلم من أهل السنة والجماعة إلى أهمية تنقيح وضبط باب التدبر في القرآن، ومنه ما يسمى التفسير الإشاري وما شابهه، خاصة أن له منابر منحرفة عن جادة أهل السنة منتشرة في المساجد وعلى مواقع التواصل؛ تبث هذه الإنحرافات بأسلوب جذَّاب من خلال غرائب ما أنزل الله بها من سلطان، تستهوي قلوب كثير من المسلمين

---

(١) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

مستغلَّة جهلهم بضوابط التفسير والتدبر.

وسيأتي بإذن الله تعالى شيءٌ من التفصيل لهذه الأهداف في الصفحات القادمة.

◈ منهج الكتاب في نقاط مختصرة:

١- قرأت كثيرًا من كتب التفسير، بالإضافة لكل كتب التفسير والمعاني الموجودة على المكتبة الشاملة، وما استطعت أن أصل إليه من خلال المواقع الإلكترونية من الكتب التي تكلَّمت في الفاتحة والكرسي قراءةً تامَّة، ثم تصفحت من خلال بحث الشاملة كتبَ البلاغة والعربيَّة التي ذكرت الفاتحة أو الكرسي أو أحدهما، ثم استمعتُ لعددٍ كبير من التسجيلات الصوتية لعددٍ من العلماء والدعاة الذين تكلموا في لطائف الفاتحة أو الكرسي، ثم استقرأتُ كل ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في الفاتحة والكرسي.

٢- بعد الانتهاء من الجمع قمت بتحقيق وتنقيح اللطائف والنِّكات ثم وضعتها في عناوين تحت كل آية وقسمتها إلى قسمين مجملة ومفصلة خاصة في كل آية، ثم رتبتها وِفقًا للمصلحة، أحيانًا أقدِّم قولَ المتقدم، وقد أقدِّم قول المتأخر إن كان أوضح، وهكذا.

٣- حذفت كثيرًا مما اعتبره البعض لطائف ونِكَات وسَطَّرها في كتابه وهي ليست كذلك، بل بعضها استخرجها كاتبها من أحاديث لا تصح بل منها ما هو موضوع - مثل الرازي في كتابه مفاتيح الغيب وغيره - ثم ربطه بالآية ربطًا يظهر منه أنها لطيفة وهي ليست كذلك، وبعضها عبارة عن تعمق في الخيال حتى جاء كاتبه بلطائف قد يستحسنها البعض لكن عند إمعان

النظر فيها نجد أنها لا تمُتُّ للطائف والنِّكات بصلة، ولا يحتملها اللفظ بوجه من الوجوه، وبعضها عبارة عن كلام جميل لكنه إما تفسيريٌّ لمعنى الآية وما يرتبط بها من توضيحات، أو كلامٌ أدبيٌّ أو وعظيٌّ لا يرتبط باللطائف والنِّكات أيضًا.

٤- ما كان من اللطائف والنِّكات طويلًا ومتداخلًا فصلت بعضه عن بعض ثم قسمته إلى عناوين وحذفت منه ما لا تعلق له باللطائف؛ كما فعلت ذلك في كتاب (مدارج السالكين) للإمام ابن قيم الجوزية.

٥- كررت كثيرًا من اللطائف والنِّكات وذلك إما لتأكيدها وأنه قال بها عدد من العلماء، أو لأن منهم من زاد عليها ما لم يذكره غيره، أو ليوضِّح ويفسِّر بعضها بعضًا.

٦- يكرر شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية اللطيفة نفسها أحيانًا في عددٍ من كتبهم، فأختار منها أبلغها وأشملها وأكملها.

٧- أستعملُ لفظ (قلت) إذا كانت اللطيفة من اجتهادي، أو عند توضيح كلامٍ نقلته عن العلماء يحتاج لتَبيين.

٨- ذكرت في آخر اللطائف الإشكالات وحلها؛ التي أوردها بعض العلماء في كتبهم وسيأتي توضيح ذلك في التنبيهات.

٩- ذكرت ما استنبطه العلماء من الآيات من ردود على المخالفين لأهل السنة والجماعة وسيأتي توضيح ذلك في التنبيهات.

١٠- قدَّمت عددًا من المقدمات بين يدي اللطائف والنِّكات عرَّفت فيها التدبر وما يتعلق به، وعرضت فيها ما يسمَّى التفسير الإشاري والتفسير الباطني، وعددًا من النقاط التي تعين على توضيح وفهم الكتاب.

١١- خرَّجتُ الأحاديث المذكورة في الكتاب، وبيَّنت الحكم عليها تصحيحًا وتضعيفًا من خلال كلام علماء الحديث.

١٢- ذكرت في المصادر والمراجع غالب الكتب التي قمت بالبحث فيها، وإن لم أجد فيها ما يناسب موضوع الكتاب.

١٣- قد أكرر الكلام للعالِم في أكثر من موطن، وذلك لأن نفس النص يتضمن أكثر من لطيفة ونكتة، فأعيده عندما يقتضي المقام الإعادة.

◈ الضوابط المتَّبعة في جمع اللطائف والنِّكات في الكتاب:

قبل الشروع في كتابة وترتيب ما جمع من اللطائف والنَّكات؛ أوضح الضوابط التي اتبعتها في جمعي لهذه اللطائف والنِّكات من التفاسير ومختلف الكتب التي تصفحتها، وأختصر هذه الضوابط في نقاط معدودة، ثم أشرحها وأبينها بالأمثلة، ثم أذكر بعض الأسباب التي حملتني على هذا التقسيم، **وهذه النقاط هي:**

١- أدخلتُ ما له ارتباط باللفظ مباشرة لكنه يحتاج إلى علمٍ، وإعمال فكرٍ، وتدقيقٍ لاستنباطه.

٢- أدخلت ما له ارتباط بالمعنى الظاهر مباشرة، وأيضًا ما كان يحتاج إلى علمٍ، وإعمال فكرٍ، وتدقيق في استخراجه.

٣- أدخلتُ ما كان من الثمرات الملاصقة للفظ أو المعنى الظاهر مباشرةً لا البعيدة؛ لكنها تحتاج إلى إعمال فكرٍ وتدقيقٍ لاستنباطها ومعرفتها.

٤- أقصَيتُ ما كان من الثمرات واللوازم المرتبطة بالمعنى الظاهر وإن كانت صحيحة وقد تكون رائقة رائعة لكنها بعيدة غير مباشرة؛ فهذه غير داخلة في جمعنا هذا.

٥- أقصيتُ الفوائد الواضحة التي تُعرَف مباشرة من لفظ الآية أو مجرد معرفة تفسيرها دون حاجة إلى تفكُّرٍ وتدقيقٍ عميق.

◈ توضيح كل نقطة من النقاط السابقة بالأمثلة:

النقطة الأولى: ما له ارتباط باللفظ مباشرة لكنه يحتاج لإعمال فكرٍ لاستنباطه.

مثاله: أن (الحمدُ لله) جاءت مرفوعة لا منصوبة، وذلك يفيد ثبات المعنى واستقراره كما سيأتي معنا، وله عدة أمثلة أخرى، ولكن يكفي هذا المثال توضيحًا.

النقطة الثانية: ما له ارتباط بالمعنى الظاهر مباشرة ويحتاج لإعمال فكرٍ لاستخراجه.

مثاله: قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ وفيه أن الله سبحانه لم يقتصر في الآية على ذكر سبيل أهل الإيمان، بل قابله بذكر ضدِّه وهو سبيل أهل الضلال، وذلك لأن الإيمان لا يكتمل إلا بمعرفة السبيلين معًا، ليعرف العبد سبيل المؤمنين فيتبعه، ويعرف سبيل أهل الإجرام فيجتنبه، وكما قالوا: وبضدها تتميز الأشياء، والأمثلة في هذه النقطة كثيرة كما سيأتي معنا.

النقطة الثالثة: ما كان من الثمرات الملاصقة للمعنى الظاهر مباشرةً لا البعيدة مما يُحتَاج لإعمال فكرٍ لاستخراجها.

مثاله: ما قال شيخ الإسلام ابن تيمية أن من تحقق بـ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾؛ انتفى عنه الرياء والكبر والعجب كما سيأتي معنا.

النقطة الرابعة: ما كان من الثمرات واللوازم المرتبطة بالمعنى الظاهر لكنها بعيدة غير مباشرة، فهي غير داخلة في جمعنا وإن كانت صحيحة في ذاتها.

مثاله: ما ذكره الإمام ابن قيم الجوزية عند قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾، حيث قال: على قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصَبَه الله لعباده في هذه الدار؛ يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط؛ يكون سيره على ذاك الصراط، فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالطرف، فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا، حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة جزاءً وِفَاقًا، ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(١)].

لا شك أن هذا كلام جميل بل رائع، وهو كلام حق صحيح يعلوه نور الفهم، لكنه ثمرة ولازم من ثمار ولوازم العمل والتطبيق للنص القرآني، ليس مرتبطًا بالمعنى الظاهر للَّفظ مباشرة.

وقال أيضًا: والصواب أن الصبر لله أكمل من الصبر به، فإن الصبر له متعلِّق بإلهيته ومحبته، والصبر به متعلِّق بربوبيته ومشيئته، وما له أكمَلُ مما به، فإن ما له هو الغاية، وما به هو الوسيلة، فالصبر به وسيلة، والصبر له غاية، وبينهما من التفاوت ما بين الغايات والوسائل.

وأيضًا فإن الصبر له متعلِّق بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والصبر به متعلِّق بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهاتان الكلمتان منقسمتان بين العبد وبين الله، كما ثبت عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هي التي لله، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هي التي للعبد، وما لله أكمل، فما للعبد مما تعلق

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

بما هو له؛ أفضل فما تعلق بما هو للعبد[١].

النقطة الخامسة: ما كان من اللطائف والفوائد الواضحة التي تُعرَف مباشرة من لفظ الآية أو مجرد معرفة تفسيرها دون حاجة إلى تفكُّرٍ وتدقيقٍ عميق.

مثاله: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾، أن التقوى في القلب هي التي تؤهل العبد للانتفاع بهذا الكتاب، فكل من كان أتقى لله تعالى؛ كان أقوى اهتداءً بالقرآن الكريم، لأن الهدى عُلِّق بوصفٍ في قوله تعالى: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾، والحكم إذا عُلِّق بوصف؛ كانت قوة الحكم بحسب ذلك الوصف المعلَّق عليه. انتهى كلامه[٢].

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: في الإتيان بـ (من) التي للتبعيض في قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾: إيماءٌ إلى كون الإنفاق المطلوب شرعًا هو إنفاق بعض المال، لأن الشريعة لم تكلف الناس حرجًا، وهذا البعض يقِلُّ ويتوفر بحسب أحوال المنفقين[٣].

والأمثلة على هذه النقطة الأخيرة كثيرة جدًّا في القرآن من أوله إلى آخره.

◈ ذِكرُ بعض الأسباب التي حملتني على حصر اللطائف المستخرجة من الآيات بظاهر اللفظ والمعنى، وما كان من الثمار الملاصقة المباشرة للظاهر فقط:

١- المقصود من التدبر هو الاهتمام باللفظ القرآني خاصة وما يحويه ويتصل به مباشرة من لطائف ونِكَات، لا التوسع فيما قال العلماء مما هو من ثمار النص وتطبيقاته البعيدة كما وضحته سابقًا فيما مضى من نقاط.

---

(١) (طريق الهجرتين وباب السعادتين).

(٢) (تفسير ابن عثيمين، الفاتحة والبقرة).

(٣) تفسير: (التحرير والتنوير).

٢- إذا تم ضبط ما يرتبط بظاهر اللفظ ومعناه مباشرة؛ من السهل جدًّا أن تُستَخرج الثمرات البعيدة المرتبطة بالنص القرآني، فيكون ما جُمِع مما هو متعلِّق بظاهر اللفظ والمعنى؛ كالأصل والقاعدة التي يُنطَلق منها للثمرات والتطبيقات البعيدة للنص القرآني.

٣- لا شك أن العلماء بكافة مناهجهم ومشاربهم ومعتقداتهم لهم كلام في اللطائف والثمرات واللوازم على آيات الكتاب العزيز، وهذا جعل فيها من الغثِّ والسمين والبخْسِ والثمين ما يعجز الباحث عن جمعه وتنقيحه وتصفيته، لكن بجمع وضبط وتنقيح اللطائف المرتبطة باللفظ والمعنى الظاهر؛ يكون هذا الجمع والضبط بإذن الله تعالى كالميزان الذي تُوزَن به هذه اللطائف والثمرات التي طفحت بها كتب التفسير وعلوم القرآن وغيرها من كتب العلماء.

◈ تنبيهات مهمة بين يدي اللطائف والنِّكات:

التنبيه الأول: ما نقلته عن العلماء من اللطائف والنِّكات لا نستطيع أن نجزم أن هذا هو مراد الله ﷻ، لأن مرادات الله قد يصيبها العالم في اجتهاده وقد يخطؤها، وكذلك ما أودعه الله في كلامه من أسرار البلاغة لا يحيط بها إلا هو ﷻ، لكن ما سطره العلماء من لطائف ونِكات في كتبهم؛ يدل عليها غالبًا نظم القرآن ومعناه، أو أحدهما.

التنبيه الثاني: قد يتبادر لأذهان البعض أن ما ذكر في هذا الكتاب لا نجد كثيرًا منه في كتب التفاسير في القرون الأولى فيما نُقِل عن الصحابة والتابعين، فيظن الظانّ أنها ابتكارات وابتداعات جاءت بعد القرنين أو الثلاثة الأُوَل، ولا شك أن هذا الكلام خطأٌ محض، وذلك أن ما كُتِب في هذا الكتاب مما نُقِل من كلام العلماء كثيرٌ منه يعرفه الصحابة والتابعون ومن بعدهم، ولكنه

كان سليقةً في لغتهم يفهمونه بمجرد النظر في آيات الكتاب، فهذا وغيره هو الذي جعلهم ينبهرون بلغةِ الكتاب وبلاغته، فما كانوا يحتاجون لكتابتها وإخراجها، أما عند المتأخرين فقد غابت عنهم هذه العلوم ولا يستطيعون عليها إلا بعد تعلُّمها من كتب اللغة والبلاغة، فكتب العلماء في كتبهم ما كان سليقةً عند السلف غالبًا، ليعيش متأخِّروا الأمة مع القرآن وحلاوته وبلاغته كما كان سلف الأمة رضي الله عنهم.

التنبيه الثالث: وهو أنني نقلت لطائف ونِكَات من كتب شتَّى، فمنها ما هو من كتب أهل السنة والجماعة، ومنها ما كان أصحابها ممن يخالف أهل السنة والجماعة في أشياء، ولا يعني نقلي عنهم أنني أُقِرُّ كل ما في كتبهم مما هو على غير منهج أهل السنة والجماعة، وكما قيل قديمًا (اجْنِ الثِّمارَ وخَلِّ العودَ للنَّار).

التنبيه الرابع: أفردت بابًا مستقلًا سمَّيته (الإشكالات)، وآخر سميته (الردود)، فقد يظن الظانّ أو يعترض المعترض أن هذه الأبواب لا علاقة لها بالنِّكات، فأقول مبيِّنًا أن هذه الإشكالات والردود هي من صلب النِّكات، **وذلك:**

١- لأنها داخلة في نطاق ما ذكرناه من ضوابط في جمع اللطائف والنِّكات وهي ما يكون خفيًّا ويحتاج إلى علمٍ ودقة وإعمال فكرٍ لاستنباطه.

٢- هذه الإشكالات والردود ذكرها العلماء توضيحًا وتبيينًا للنص القرآني، فهي داخلة تحت تدبر اللفظ القرآني، فكان لا بد من نقلها وكتابتها لاكتمال التدبر، وحلِّ ما يدور حول آيات الكتاب من إشكالات قد تمنع التدبر أو كمالَه.

٣- هذه الإشكالات والردود بالإضافة أنها مستنبطةٌ بعلمٍ وإعمال فكرٍ وتدقيق؛ هي مسائل تؤثر على القلوب، وهل التدبر إلا من أجل القلوب وارتقائها في درجات الإيمان؟!

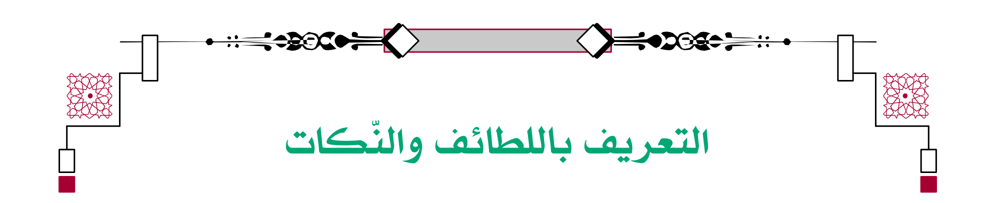
أخيرًا: بناءً على ما تقدم؛ كان بإمكاني أن أُدرِج هذه الإشكالات والردود مع اللطائف والنِّكات، لكنني آثرت إفرادها في بابَيْن مستقلين، وذلك لإبرازها ولفت نظر القرَّاء لأهميتها.

التنبيه الخامس: قسمت الكتاب للَطَائف ونِكات تُكتَب تحت كل آية، خلافًا لكثير ممن سبقني في هذا الموضوع حيث قسَّموا اللطائف والنِّكات إلى لطائف تربوية ولطائف بلاغية وأخرى نحوية وغير ذلك، **وذلك لأسباب منها:**

أولًا: أنني أرى - والله أعلى وأعلم - أن اللطائف التربوية داخلة في البلاغة أيضًا، لأن إعجاز القرآن بلفظه ونظمه ومعناه، واللطائف التربوية مرتبطة بالمعنى.

ثانيًا: أن بعض ما ذكر في كتب التفسير والبلاغة مما يندرج تحت القواعد البلاغية قد لا يُستَنبط منه لطائف ونِكات خفيَّة، بل يكون من الفوائد الظاهرة التي لا تحتاج لقوة في التفكير وتعمق في التدبر حتى تُستَخرج، مثل الحصر أحيانًا وأدوات العموم مثلًا، والإضافة أحيانًا وغيرها.

ثالثًا: رأيت أن ذكر الآية واستخراج ما فيها من لطائف ونِكات وكتابتها تحت الآية بعناوين توضح ما تحتها من فوائد مستنبطة؛ أكثر تسهيلًا لتدبر الآيات بالنسبة لطالب العلم والعامي، وأقرب لقلوب الناس من تقسيم من سبقني في هذا الموضوع والله أعلى وأعلم.



التعريف باللطائف والنّكات

(اللطيفة): مؤنث اللطيف، ومن الكلام: الرقيقة، و(جارية لطيفة الخصر): ضامرة البطن، والجمع: لطائف.

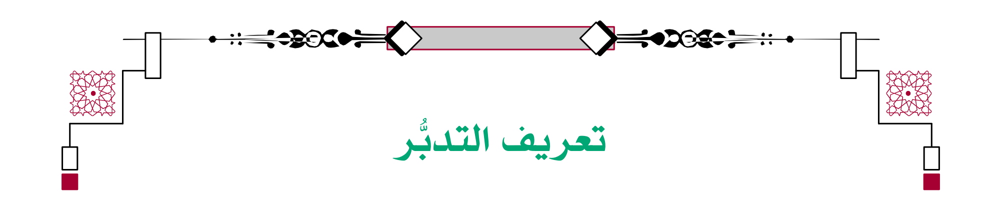
(اللَّطيفُ) من أسماء الله الحسنى: البَرُّ بعباده، الرفيقُ بهم، والعالم بخفايا الأمور ودقائقها.. ومن الكلام: ما غَمُضَ معناه وخفِيَ[1].

(النُّكتة): الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس، والمسألة العلمية الدقيقة يُتَوصَّل إليها بدقة وإنعام فكر، والجمع: (نُكَتٌ، ونِكاتٌ)[2].

قلت: مما سبق يتبيَّن لم سميت الكتاب اللطائف والنِّكات، أي: ما كان من الكلام لطيفًا رقيقًا مؤثرًا في النفس، وما كان دقيقًا يحتاج إلى علمٍ وإعمال فكرٍ ليُستَنبط ويُستَخرج.



(١) (المعجم الوسيط).
(٢) المرجع السابق.



تعريف التدبُّر

قال الزبيدي: والتدبير: النظر في عاقبة الأمر، أي إلى ما يؤول إليه عاقبته، كالتَّدبُّر، وقيل التدبُّر: التفكُّر، أي تحصيل المعرفتَيْن[(١)] لتحصيل معرفة ثالثة،... ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: الآية ٦٨] أي: ألم يتفهَّموا ما خوطبوا به في القرآن، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النِّساء: الآية ٨٢] أي: أفلا يتفكرون فيعتبروا، فالتدبُّر: هو التفكُّر والتفهُّم[(٢)].

وقال الزمخشري: قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النِّساء: الآية ٨٢] تدبُّر الأمر: تأمُّله والنظر في إدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استُعمِلَ في كل تأمل، فمعنى تدبُّر القرآن: تأمُّل معانيه وتبصُّر ما فيه[(٣)].

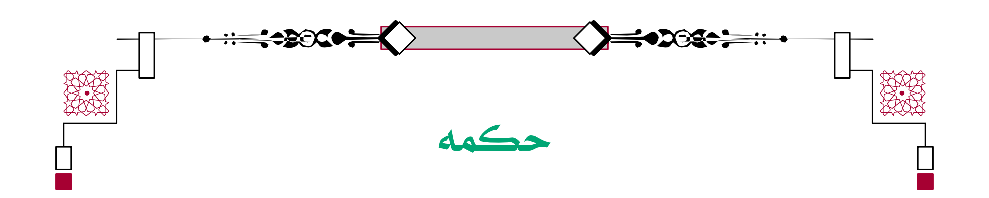
قلت: دُبُرُ الشيء: آخره، لذلك تدبر القرآن يأتي بعد القراءة والفهم، فهو نظرٌ لما وراء الألفاظ.

---

(١) قال ابن القيم في (مفتاح دار السعادة): فالفكر هو إحضار معرفتَين في القلب ليستثمر منهما معرفةً ثالثة، ومثال ذلك: إذا أحضَر في قلبه العاجلة وعيشها ونعيمها وما يقترنُ به من الآفات وانقطاعه وزواله، ثم أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها ولذتها ودوامه وفضله على نعيم الدنيا، وجزم بهذين العلمَين؛ أثمر له ذلك علمًا ثالثًا، وهو أن الآخرة ونعيمها الفاضل الدائم أولى عند كل عاقلٍ بإيثاره من العاجلة المنقطعة المنغَّصة.

(٢) (تاج العروس من جواهر القاموس).

(٣) تفسير الزمخشري: (الكشاف).



حكمه

تدبُّر القرآن واجب على كل مسلم، كلٌّ على قدر استطاعته، بذلك قال العلماء، **وهذه بعض نصوصهم:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإنَّ الله قد أمر بتدبر القرآن مطلقًا، ولم يستثنِ منه شيئًا لا يُتدبَّر، ولا قال لا تدَبَّروا المتشابه، والتدبُّر بدون الفهم؛ ممتنع[(١)].

وقال أيضًا: قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمَّد: الآية ٢٤]، فأمر بتدبر الكتاب كله[(٢)].

وقال أيضًا: قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمَّد: الآية ٢٤] وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: الآية ٦٨] فأمر بتدبر القرآن لا بتدبر بعضه[(٣)].

وقال محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه أن تدبر القرآن فرضٌ على كل مكلف، لا خاص بنفرٍ يسمَّوْن المجتهدين يُشتَرط فيهم شروطٌ ما أنزل الله بها من سلطان، وإنما الشرط الذي لا بد منه، ولا غنى عنه: هو معرفة لغة القرآن مفرداتها وأساليبها، فهي التي يجب على من دخل في الإسلام ومن نشأ فيه أن يتقنها بقدر استطاعته بمزاولة كلام بلغاء أهلها ومحاكاتهم في

(١) (مجموع الفتاوى).
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.

القول والكتاب؛ حتى تصير ملكةً وذوقًا، لا بمجرد النظر في قوانين النحو والبيان التي وضعت لضبطها.. وليس تعلم هذه اللغة ولا غيرها من اللغات بالأمر العسير فقد كان الأعاجم في القرون الأولى يحذقونها في زمن قريب حتى يزاحموا الخُلَّص من أهلها في بلاغتها[(١)].

وقال الدكتور: وهبة مصطفى الزحيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وجوب تدبُّر القرآن لمعرفة معانيه، هذا أمر مفروض على كل مسلم، ولا تكفيه التلاوة من غير تأمل ونظر في معانيه، وأهدافه[(٢)].

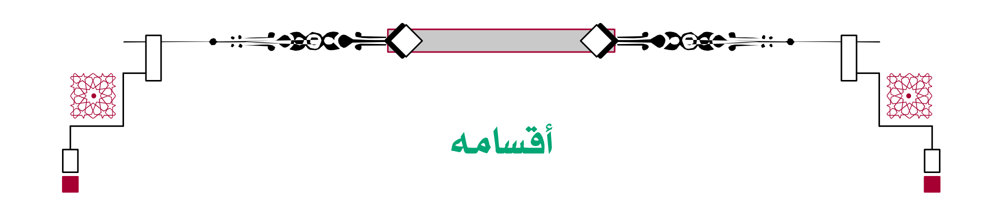
وقال الشيخ جابر الجزائري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وجوب تدبر القرآن الكريم عند تلاوته أو سماعه، وهو تفهُّم معانيه في حدود قدرة المسلم على الفهم[(٣)].

❁ ❁ ❁

(١) (تفسير المنار).

(٢) (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج).

(٣) (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير).



أقسامه

بعد تأمل كلام العلماء في التدبر؛ يتضح أن كل ما ذكره العلماء من أقسام له ترجع إلى قسمين:

الأول: هو تدبر للعامة وللمتخصصين على حدٍّ سواء، وهذا يكفي فيه أن يُفهَم ولو المعنى العام لتفسير الآيات القرآنية، ليقف المتدبر على ما في القرآن من العِبر والعظات والوعد والوعيد وغيرها.

مثاله: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢]، فمن قرأ تفسير الآية يعرف مباشرة أن المتقين هم أكثر الناس اهتداءً وانتفاعًا بكتاب الله ﷻ.

ومن أمثلة هذا التدبر أيضا قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون: ١- ١١]، فيقف التَّالي لهذه الآيات عندها ويتدبر ما فيها من صفات، فيقول مثلًا: هل هي منطبقة عليَّ؟ أو هل أنا من أصحاب هذه الصفات؟ وهكذا... إلخ.

وأيضًا قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤﴾

يكفي التَّالي لهذه الآيات مثلًا أن يعرف معنى ﴿هَوۡنٗا﴾ أي بسكينة ووقار وتواضع، ثم يتدبر هذه الآيات في نفسه، فيقول: هل أنا تنطبق علي صفات هؤلاء؟ أم أنني بعيد عنهم بُعدَ المشرق عن المغرب مثلًا؟ أم أني أكاد أقترب من صفاتهم؟ وهكذا يُتَدبَّر القرآن في غيرها من الآيات.

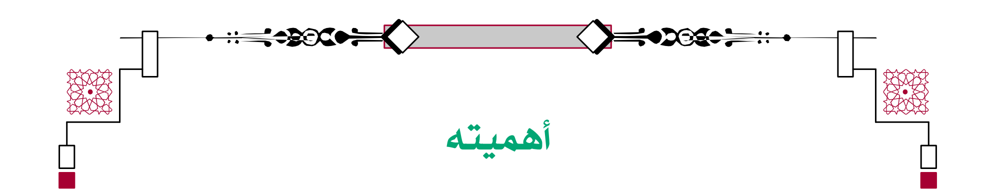
الثاني: تدبُّر المتخصصين فقط، وهذا يَقوَى ويضعف بحسب قوة المتدبر، ومعرفته وإتقانه لقواعد وأساليب وبلاغة العربية لغة القرآن، وفي كتابنا هذا أمثلة كثيرة على هذا القسم.

ولكنني سأضرب مثالين أحدهما عن المصدر، والآخر عن اسم الإشارة، توضيحًا لهذا القسم:

الأول: قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النِّساء: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسرَاء: الآية ٢٣] نجد أن كلمة ﴿تَسۡلِيمٗا﴾ في الآية الأولى، و﴿إِحۡسَٰنًا﴾ في الآية الثانية، جاءَتَا مصدرًا، والمصدر لا تعلُّق له بزمن، بخلاف الفعل فهو متعلق بزمن، فالمتخصص يتدبر الآية الأولى فيجد أنها ختمت بالمصدر، وبما أن المصدر لا زمن له؛ دل ذلك على أنه يجب على كل مسلم أن يحكم ويتحاكم إلى كتاب الله في كل زمان ومكان، وفي كل مسألة دقَّت أو جلَّت، لا أن يُحكِّم أو يتحاكم إلى كتاب الله في زمن دون زمن، أو مكان دون مكان، أو مسألة دون مسألة.. وأَلفِتُ النظر لفائدة أخرى في الآية تقوِّي حكم المصدر، ألا وهي: الفعل المضارع ﴿وَيُسَلِّمُواْ﴾، فالفعل المضارع يدل على الحدوث والاستمرار، فهو يؤكد أيضًا أن تحكيم كتاب الله والتحاكم إليه هو في كل زمان ومكان ومسألة.

وأما قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: الآية ٢٣]، فقد جاءت كلمة ﴿إِحۡسَٰنًا﴾ مصدرًا لا فعلًا، والمصدر كما ذكرنا سابقًا لا يتعلق بزمن، بخلاف الفعل فهو متعلق بزمن، فدلَّ ذلك على أنه يجب على المسلم أن يبرَّ والديه في كل زمان ومكان، لا أن يبرَّ بهما في زمن دون زمن أو مكان دون مكان، وفي هذا ردٌ وإبطال لما جاءنا من الغرب مما يسمى بعيد الأم، لأنهم وضعوه ليذكِّروا الأبناء عندهم بأمهاتهم ولو يومًا في السنة، أما نحن المسلمين فقد أُمِرنا ببرها في كل زمان ومكان، لذلك ختمت الآية بالمصدر الذي لا يرتبط بزمن، وهذا كما قاله بعض أهل العلم.

أما المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾، على الرغم من أن (الكتاب) في الآية فُسِّرَ بالقرآن الذي بين أيدينا، نجد أن الله أشار إليه باسم الإشارة البعيد، حيث قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾، ولم يُشِر إليه باسم الإشارة القريب (هذا)، وذلك ليُبيِّن لنا المكانة العالية لهذا الكتاب، وأن من أراده؛ فعليه أن يعلو هو إليه فهو كتاب عزيز، وكذلك من ابتغى أن يطعن فيه؛ فلن يجد إلى ذلك سبيلًا، لأنه عالٍ فوق كل الطُّعون.



أهميته

اقتصرت فيه على عدد من نصوص العلماء توضِّح أهمية التدبُّر.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وبالجملة، فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يُورِث المحبة، والشوق، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والرضا، والتفويض، والشكر، والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية هو محتاج إليها في شفاء قلبه كرَّرها ولو مئة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهُّم؛ خيرٌ من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن، وهذه كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصباح، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قام بآية يرددها حتى الصباح وهي قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: الآية ١١٨][(١)].

فقراءة القرآن بالتفكُّر؛ هي أصل صلاح القلوب. انتهى كلامه[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في (المسند)، (٢١٣٨٨).

قال الشيخ شعيب: إسناده حسن، وحسنه الشيخ الألباني في (سنن ابن ماجه) – (١٣٥٠)، و(سنن النسائي) – (١٠١٠)، هذا وأخرجه غيرهم.

(٢) (مفتاح دار السعادة).

وقال أيضًا: فليس شيءٌ أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته؛ من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تُطلِع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما ومآل أهلهما، وتَتُلُّ في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتشيِّد بنيانه، وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبد، وتُشهِده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته، وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه ويبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتُعرِّفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصَحِّحاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه.

وبالجملة: تُعرِّفه الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه، وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه، فهذه ستة أمور، ضرورية للعبد معرفتها ومشاهدتها ومطالعتها، فتشهده الآخرة حتى كأنه فيها، وتغيِّبه عن الدنيا حتى كأنه ليس فيها، وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلف فيه العالم، فتريه الحق حقًّا والباطل باطلًا، وتعطيه فرقانًا ونورًا يفرِّق به بين الهدى والضلال والغي والرشاد، وتعطيه قوة في قلبه، وحياة وسعة وانشراحًا وبهجة وسرورًا، فيصير في شأنٍ والناس في شأن آخر[١].

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

وقال ابن قيم الجوزية في نونيته:

فتدبَّر القرآن إن رمتَ الهُدَى **فالعلم تحت تدبُّرِ القرآن**

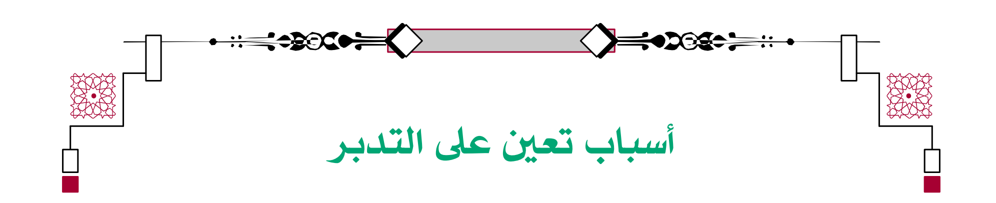
وقال ابن كثير: ومن تدبر القرآن؛ وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرة وخفيَّة من حيث اللفظ ومن جهة المعنى[1].

وقال الزركشي: ومن لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر؛ لم يدرك من لذة القرآن شيئًا[2].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير ابن كثير: (تفسيرالقرآن العظيم).

(٢) (البرهان في علوم القرآن).



أسباب تعين على التدبر

١- تقوى الله وصلاح القلوب والبعد عن الذنوب والمعاصي؛ من أعظم أسباب فتح باب التدبر.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٢].

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: وفي عطفه على الأمر بالتقوى؛ إيماءٌ إلى أن التقوى سبب إفاضة العلوم حتى قيل: إن الواو فيه للتعليل، أي ليعلِّمكم، وجعله بعضهم من معاني الواو، وليس بصحيح[(١)].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفَال: الآية ٢٩].

قال الشيخ السعدي: (الفرقان): وهو العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال والحق والباطل[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾.

قال الإمام ابن كثير: يقول تعالى مخبرًا عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم، حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله ﷺ ويستمعون كلامه ولا

---

(١) تفسير: (التحرير والتنوير).

(٢) تفسير السعدي: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان).

يفهمون منه شيئًا، فإذا خرجوا من عنده ﴿قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [محمَّد: الآية ١٦] من الصحابة ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [محمَّد: الآية ١٦] أي الساعة، لا يعقلون ما يقال، ولا يكترثون له.. قال الله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمَّد: الآية ١٦] أي فلا فهم صحيح ولا قصد صحيح، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمَّد: الآية ١٧] أي والذين قصدوا الهداية وفقهم الله لها فهداهم إليها، وثبتهم عليها وزادهم منها: ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمَّد: الآية ١٧] أي ألهمهم رشدهم[(١)].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطفِّفين: الآية ١٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمَّد: الآية ٢٤].

تبين في هاتين الآيتين أن ارتكاب الذنوب والمعاصي سبب في قفل القلب وتغطيته بالمعاصي حتى يصيبه عمَهُ البصيرة فلا يستطيع أن يفهم آيات الله فضلًا عن أن يتدبرها.

وفي الحديث عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: «... **أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ**»[(٢)].

وغير ما ذكر من الأدلة على أهمية التقوى وصلاح القلوب والبعد عن المعاصي في فهم وتدبر القرآن كثير، وفيما ذكرنا كفاية بإذن الله تعالى.

٢- لصحة التوحيد وصلاح العقيدة في القلوب أهمية بالغة في تدبر القرآن والسنة، لأن اختلال التوحيد وفساد العقيدة يفتح باب التصورات

(١) تفسير ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم).
(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

الشيطانية باسم التدبر، وأكبر مثال على ذلك التفاسير الباطنية الباطلة الفاسدة للفرق الباطنية، وسيأتي الكلام عنها إن شاء الله تعالى عند الكلام عن التفسير الباطني.

٣- لا بد للتدبر من فهم معاني الآيات، وإلا لا يستطيع من أراد التدبر أن يتدبر القرآن الكريم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والتدبر بدون الفهم؛ ممتنع[(١)].

وقال فخر الدين محمد الرازي: والتدبر لا يُتَصوَّر بدون الوقوف على المعنى[(٢)].

٤- إن لتعلم قواعد وأساليب وبلاغة لغة القرآن دورًا كبيرًا في تدبر القرآن، والغوص في معانيه، ومعرفة شيءٍ من إعجازه.

٥- تطبيق القرآن والعمل بما فيه؛ يفتح أبوابًا للتدبر.

٦- مطالعة ما ورد في التفسير عن السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم أولًا قبل مطالعة كتب التفسير التي فسرت باللغة والرأي، وذلك للتأكد من أن من نقلت عنهم المعاني لم يخالفوا في تفسيرهم ومعانيهم ما جاء عن السلف من فهم ومعاني.

٧- تلقي التدبر ولو لبعض السور والآيات على شيخ من أهل السنة له دربة وتخصص في التدبر، فتأخذ عنه كيفية استنباط الفوائد التدبرية.

قلت: عن شيخ من أهل السنة؛ لأن كثيرًا من أهل البدع لهم محاضرات

---

(١) (مجموع الفتاوى).

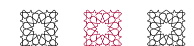
(٢) (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير).

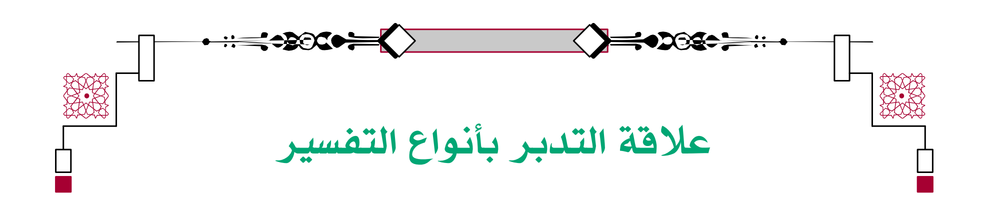
وكتب في التدبر، وكثير منها مخالف لما عليه أهل السنة كما سيأتي معنا من مثل ما يسمى التفسير الباطني الباطل ومن تأثر به، فإن فقدت الشيخ وتعذر عليك اللقاء به؛ يمكنك أن تأخذ بعض السور أو الآيات ثم تبحث عنها في كتب العلماء وتستخرج ما كتبوا فيها من نِكَات، ولكن ذلك بعد أن تأخذ قسطًا من اللغة تفهم فيه مبادئ وقواعد النحو والصرف والبلاغة، فتستطيع من خلالها أن تفهم كلام العلماء وكيف تدبروا كتاب الله واستنبطوا معانيه، والحمد لله أصبح العلم ميسرًا لمن أراده في هذه الأيام، فالإنترنت مليء بالدروس والدورات في كيفية تدبر القرآن، لكن تحتاج بعد توفيق الله سبحانه؛ صاحب إخلاص وهمة، جعلنا الله وإياكم منهم.

٨- كثرة سماع القرآن بتمعن وتركيز وإنصات بصفاء قلبي؛ يفتح بابًا للتدبر بإذن الله.

٩- كثرة ترتيل القرآن بتمعن وتركيز وصفاء قلبي؛ يفتح بابًا للتدبر.

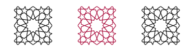
١٠- الدعاء والتضرع بين يدي الله؛ من أعظم أسباب التوفيق والفتح.





علاقة التدبر بأنواع التفسير

التفسير بأنواعه سواء منه تفاسير الألفاظ والآيات، أو التفاسير الفقهية أو العلمية (الكونية) أو غيرها، ليست هي التدبر؛ لأن التفسير هو الكشف عن معاني الآيات، والتدبر هو النظر والتفكر فيما وراء الألفاظ، لكن لا شك أن التفسير هو سبيلٌ إلى التدبر، وذلك لأنه لا يتم التدبر إلا بعد فهم الألفاظ ومعرفة معناها عن طريق التفسير، وكذلك التدبر وسيلة لاستنباط اللطائف والنِّكات والأحكام من التفسير، فبينهما علاقة ونفع متبادل، لا ينفك أحدهما عن الآخر.

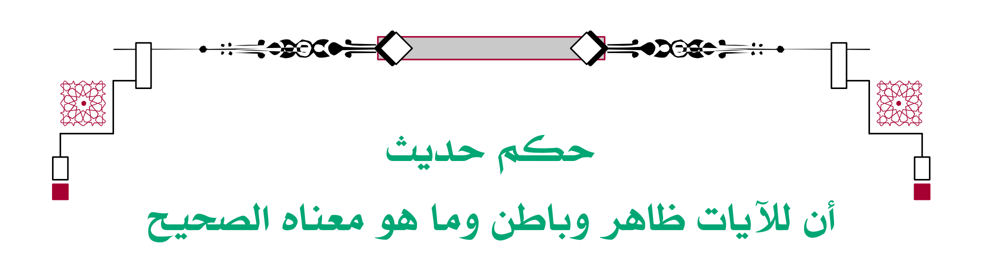




علاقة التدبر بما يسمى التفسير الإشاري والتفسير الباطني

أفردتُ هذين التفسيرين بكلام مستقل عن أنواع التفاسير الأخرى، وذلك لأن العلاقة بين التدبر وبين ما يسمى بالتفسير الإشاري والتفسير الباطني؛ علاقة تداخل بين حق وباطل، وخطأ وصواب، لذلك رأيت أن أفردهما بشيء من التفصيل لتتضح وتظهر الصورة الحقيقية للعلاقة بينهما، وحقيقة كل منهما بما سيأتي، لكن قبل الشروع في الكلام عنهما؛ لا بد من معرفة حكم ومعنى حديث روي في عدد من كتب السنن اعتمد عليه كثير ممن تكلم بالتفسير الإشاري أو التفسير الباطني خاصة كدليل مهم في الموضوع، فكان علينا لزامًا أن نبين حكمه الحديثي، والفهم الصحيح لهذا الحديث؛ سواء صح من الجهة الحديثية أو لم يصح.





حكم حديث
أن للآيات ظاهر وباطن وما هو معناه الصحيح

لفظ الحديث عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ، وَإِنَّ القُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ**»(١).

قلت: الحديث عليه خلاف كبير وفيه عدد من العلل أذكرها وأذكر جواب العلماء عليها والخلاف فيها:

العلة الأولى: أخرج مسلم في صحيحه الحديث عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي الأحوص (٢٣٨٣)، وأخرجه عن أبي إسحاق السبيعي عن أبي الأحوص (٢٣٨٣) مقتصرًا على القسم الأول منه فقط في حين أن

---

(١) أخرجه الموصلي في (مسنده)، (٥١٤٩) واللفظ له، وأخرجه أيضًا في موطن آخر برقم (٥٤٠٣)، وابن المبارك في كتاب (الزهد)، (٩٣)، وعبد الرزاق الصنعاني في (مصنفه)، (٥٩٦٥)، والبزار في (مسنده)، (٢٠٨١)، والطحاوي في (شرح مشكل الآثار)، (٣٠٧٧)، وابن حبان في (صحيحه)، (٧٥)، والطبراني في (المعجم الأوسط)، (٧٧٣)، والكبير، (١٠١٠٧)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء)، وابن جرير الطبري في (تفسيره) (١٠)، و(ترتيب الأمالي الخميسية) للشجري (٢٠٤٨)، و(شرح السنة) للبغوي (١٢٢)، وأبو عمر هلال بن العلاء بن هلال الباهلي (ت٢٨١هـ) الجزء الخامس من حديث زيد بن أبي أنيسة، وغيرهم.

أبا يعلى الموصلي أخرجه في (مسنده-٥١٤٩) بنفس إسناد مسلم عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي الأحوص بزيادة **(وإن القرآن نزل على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن، ولكل حد مطلع)**.

فاختلف المحققون في هذه الزيادة، فمنهم من قال هي صحيحة على شرط مسلم لأنها جاءت بنفس إسناده، كما قال ذلك الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على مسند أحمد في حاشيته على حديث (٤٢٥٢)، وحكم الشيخ الألباني على هذه الزيادة بالضعف، وذلك بسبب أن مغيرة بن مقسم الضبي مدلس، وقد عنعنه عن واصل بن حيان، وقال البعض أن الزيادة ضعيفة لأن عبد الله بن أبي الهذيل اضطراب فيها فمرة يروي الحديث من غير الزيادة كما في (صحيح مسلم)، ومرة يرويه بالزيادة كما عند أبي يعلى في مسنده، وهذا اضطرب منه يضعف هذه الزيادة.

الجواب على ما سبق من علل:

أما بالنسبة لتدليس مغيرة بن مقسم؛ فقد قال عدد من العلماء كأحمد والعجلي ومحمد بن فضيل كما نقل عنهم المزي في (تهذيب الكمال) أن تدليس مغيرة هو خاص عن إبراهيم النخعي، وهو يروي الحديث هنا عن واصل بن حيان، فيكون التدليس قد انتفى، ومن أطلق تدليس مغيرة بن مقسم فهو لم يفسر، بخلاف من خصه بإبراهيم فقد بين ووضح.

أما الحكم على عبد الله بن أبي الهذيل أنه اضطرب بالحديث فالرد عليه كما قال البعض: أن هذه زيادة ثقة وهي مقبولة عند بعض العلماء مطلقًا، مثل: الخطيب وابن حبان والحاكم وغيرهم، ومقبولة أيضًا عند من لا يرد زيادة الثقة إذا لم تنافي وتخالف لما رواه غيره، كما يقول ابن الصلاح في مقدِّمته، ونقله عن الخطيب البغدادي، وقال به غيرهم. والمنقول عن أكثر

العلماء كما قال ابن حجر في النزهة: اعتبار الترجيح فيما يتعلق بالزيادة، أي: الترجيح بالقرائن.

إذًا من صحَّح هذه الزيادة فقد حكم عليها أنها زيادة ثقة مقبولة لم ينافِ فيها ويخالف غيره من الرواة، وخاصة أن هذه الزيادة جاءت بأسانيد أخرى عن أبي إسحاق السبيعي وعن إبراهيم الهجري، ولو كانت بأسانيد ضعيفة كما سيأتي.

أما من ضعَّف الزيادة وحكم عليها باضطراب عبد الله بن أبي الهذيل؛ فعنده أن روايته للحديث مرة بغير الزيادة كما عند مسلم، ومرة بهذه الزيادة كما عند أبي يعلى؛ قرينة على اضطرابه وأنه لم يضبطها، وهذا دليل ضعفها، وما ذكر في هذه العلة الأولى توضحه بقيةُ العلل إن شاء الله.

العلة الثانية: الحديث رواه البزار في (مسنده)، (٢٠٨١)، والطحاوي في (شرح مشكل الآثار)، (٣٠٧٧)، وابن حبان في (صحيحه)، (٧٥) بأسانيدهم إلى محمد بن عجلان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ بهذه الزيادة التي رواها الموصلي في مسنده.

فاختلف العلماء: من المراد بأبي إسحاق في هذه الأسانيد؟ هل هو أبو إسحاق إبراهيم بن مسلم الهجري؟ أم أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني؟ وخاصة أن كليهما روى عن أبي الأحوص عوف بن مالك الأشجعي، ولكن أبو إسحاق السبيعي ثقة، والهجري ضعيف ليِّن الحديث، فمن حكم أنه السبيعي حسَّن الحديث، ومن حكم أنه الهجري ضعَّفه.

وهذا خلاف العلماء في من هو أبو إسحاق، أما البزار فقد رجح أنه الهجري فقال بعد روايته للحديث: وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا من

حديث الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله، ولا نعلم أن ابن عجلان روى عن الهجري غير هذا الحديث، ولا نعلم أن هذا الحديث يروى من حديث ابن عجلان عن أبي إسحاق إلا من هذا الوجه.

أما ابن حبان فقد صرح أن أبا إسحاق هو السبيعي، بل أثبته كذلك في السند الذي أخرجه في صحيحه. لكن من خلال بحثي تبيَّن لي والله أعلم أن أبا إسحاق في الأسانيد الثلاثة عند البزار والطحاوي وابن حبان هو أبو إسحاق السبيعي لا الهجري، وذلك لأنني وجدت أن الإمام المزي في (تهذيب الكمال) ذكر أن محمد بن عجلان ممن روى عن أبي إسحاق السبيعي، ولم يذكر أنه روى عن الهجري، ووجدت أيضًا أنه صحت أسانيد في أحاديث أخرى روى فيها محمد بن عجلان عن أبي إسحاق السبيعي بخلاف الهجري، فهو كما قال البزار: لم يُعرَف أن محمد بن عجلان روى عن الهجري إلا هذا الحديث، لأن البزار لم يجد له رواية عن الهجري إلا هذه الرواية التي ظنها عن الهجري، والصحيح أنها عن السبيعي فهو راوي السبيعي لا راوي الهجري، ثم وجدت أن الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي في (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)، والإمام ابن الجوزي البغدادي في كتابه (تلقيح فهوم أهل الأثر)؛ سبقاني إلى ذلك، حيث قال الهيثمي في (مجمع الزوائد): ورواية البزار عن محمد بن عجلان عن أبي إسحاق، قال في آخرها: لم يرو محمد بن عجلان عن إبراهيم الهجري غير هذا الحديث، قلت: ومحمد بن عجلان إنما روى عن أبي إسحاق السبيعي، فإن كان هو أبو إسحاق السبيعي، فرجال البزار أيضًا ثقات. انتهى كلامه.

وقال ابن الجوزي في (تلقيح فهوم أهل الأثر): الحديث التاسع والخمسون: روى سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال

رسول الله ﷺ: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**»، وأبو إسحاق هذا اسمه إبراهيم بن مسلم الهجري، ورواه محمد بن عجلان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله عن النبي ﷺ: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن**» وأبو إسحاق هذا هو الهمداني، فقد اشترك الهمداني والهجري في رواية هذا الحديث عن أبي الأحوص. انتهى.

قلت: فقد بيَّن ابن الجوزي أن الهجري روى الحديث بغير إسناد السبيعي مقتصرًا على اللفظ الأول من الزيادة فقط، أما محمد بن عجلان فقد رواه عن أبي إسحاق السبيعي، وسيأتي معنا أن أبا إسحاق إبراهيم الهجري يروي هذه الزيادة بأسانيد أخرى غير أسانيد أبي إسحاق السبيعي.

إذا ترجح أن أبا إسحاق هو السبيعي والله أعلم، والسبيعي ثقة أحد الأعلام لكنه مدلس، وهو في هذه الأسانيد كلها رواها بالعنعنة، ولم يصرح بالتحديث، وهذا مما يضعف الحديث.

وخاصة أن مسلم في صحيحه روى الحديث قسمه الأول فقط دون الزيادة عن أبي إسحاق السبيعي، كما رواه عن أبي الهذيل كما مر سابقًا، فيكون السبيعي رواه مرة بالزيادة كما عند البزار والطحاوي وابن حبان والطبراني، وبغير الزيادة كما هو في صحيح مسلم، وبهذا يَرِد على روايته ما ذُكِر من اعتراضات على رواية أبي الهذيل، مع الفرق أن الموصلي روى الحديث مع الزيادة بنفس سند أبي الهذيل في صحيح مسلم، بخلاف أبي إسحاق فإن إسناده خارج مسلم بالزيادة يختلف عن إسناده في مسلم بغير الزيادة.

العلة الثالثة: البعض اعتبر أن عبد الله بن أبي الهذيل قد شذ في روايته الزيادة عن عبد الله بن مرة وعن السبيعي، حيث رواها الثلاثة عن أبي الأحوص كما في مسلم من غير هذه الزيادة، وانفرد ابن أبي الهذيل

بالزيادة كما أخرجها الموصلي في مسنده، لكن كما ذكرنا سابقًا أن السبيعي روى هذه الزيادة عن أبي الأحوص خارج مسلم كما عند البزار وابن حبان والطحاوي والطبراني، لكنه رواها بالتدليس، وسيأتي معنا أيضًا أن أبا إسحاق إبراهيم الهجري روى هذه الزيادة عن أبي الأحوص بأسانيد غير أسانيد السبيعي، وإن كانت ضعيفة بسبب الهجري نفسه.

العلة الرابعة: تدليس محمد بن عجلان وهو قد روى الحديث عن أبي إسحاق السبيعي بالعنعنة، فقد ذكره ابن حجر فيمن أكثروا من التدليس كما هو في تعليقه على مقدمة ابن الصلاح، فعلق الشيخ طارق عوض الله محقق الكتاب على تعليق ابن حجر ص (٢٩٨) ج ٢ حيث قال: ذكر ابن حجر محمد بن عجلان في المرتبة الثالثة فقال: تابعي صغير، مشهور من شيوخ مالك، وصفه ابن حبان بالتدليس. اهـ.

قلت: إنما ذكر ابن حبان في (الثقات) (٧/ ٣٨٦- ٣٨٧) أنه اختلطت عليه أحاديث سعيد المقبري عن أبي هريرة، بأحاديث سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة، فلم يميز ابن عجلان بينهما، فصار يحدث بها كلها عن سعيد المقبري عن أبي هريرة، وهذا - كما ترى - ليس من التدليس، وإن كان أثره كأثره، بل لو صح أنه تدليس لكان من تدليس التسوية، ولم يوصف به ابن عجلان من قبل أحد من العلماء، نعم ذكر العلائي أن ابن عجلان دلس حديث: (**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف...**) وهذا قد وصفه به الطحاوي في (شرح مشكل الآثار)، (١/ ٢٣٦ - ٢٣٧) فقد رواه عن الأعرج عن أبي هريرة، وهو إنما سمعه عن رجل عن الأعرج، وعلى كل حال فالظاهر أن تدليس ابن عجلان ليس بالكثير، بل هو في مواضع معدودة، فلا ينبغي التوقف في عنعنته، بل تحمل الأحاديث على الاتصال، إلا إذا تبين

في حديث بعينه أنه لم يسمعه ممن رواه عنه والله أعلم.

العلة الخامسة: أن إبراهيم الهجري روى الزيادة بغير أسانيد السبيعي أحيانًا بالقسم الأول من الزيادة، وأحيانًا روى الحديث كاملًا بالزيادة كما رواها عبد الله بن أبي الهذيل والسبيعي، أما روايته بالقسم الأول من الزيادة فقد رواها ابن أبي شيبة في (مصنفه) (٣٠٧٤٦) قال حدثنا جعفر بن عون عن الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**نزل القرآن على سبعة أحرف**» وهذا إسناد ضعيف بسبب الهجري، وأخرجه أيضًا الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي في كتابه (أوهام الجمع والتفريق) بسنده عن سفيان عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**» وهذا إسناد حسن لولا إبراهيم الهجري فإنه ضعيف، وأما رواية الزيادة كاملة عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص فقد أخرجها أبو عمر هلال بن العلاء بن هلال الباهلي القتبي الرقي (ت ٢٨١هـ) في الجزء الخامس من حديث زيد بن أبي أنيسة بسنده إلى فرات بن سلمان - نا - إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منه ظهر وبطن**» وهذا إسناد قابل للتحسين لولا إبراهيم الهجري فإنه ضعيف، وأيضًا أخرجه بالزيادة كاملة ابن جرير الطبري في تفسيره حديث (١١) بإسناد ضعيف.

بعد هذا العرض لروايات إبراهيم الهجري نجد أن الهجري روى أحيانًا القسم الأول من الزيادة التي رواها أبو يعلى الموصلي في مسنده، والبزار في مسنده، وابن حبان في صحيحه، والطحاوي في مُشكِله، وغيرهم، وأحيانًا يروي هذه الزيادة عن أبي الأحوص كاملة كما رواها من سبق ذكرهم.

العلة السادسة: الزيادة التي رواها الموصلي وغيره جاءت عند ابن المبارك في كتاب الزهد، ولكنها مرسلة عن هشام بن حسان عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ، فهي رواية ضعيفة من مراسيل الحسن، وأخرجها أيضًا عبد الرزاق الصنعاني موقوفة على الحسن بإسناد ضعيف عن هشام بن حسان عن الحسن، وهشام بن حسان ثقة لكنه يرسل عن الحسن.

وأخيرًا فهذه أهم العلل التي مَنَّ الله ويسر معرفتها وذكرها والاطلاع عليها، وهذه أيضًا أهم الأسانيد في هذا الحديث.

العلة السابعة: وهي وإن كانت ليست بتلك العلة القوية، لكنها قد تقوى إذا ضُمَّت للعلل التي سبقت؛ وهي أن الحديث لم يخرجه أحد من أصحاب كتب السنة المشهورة كالكتب الستة ومسند أحمد وغيرهم.

خلاصة ما تقدم من الحكم على الحديث: بعد ذكر ما تقدم من كلام العلماء في تحقيق الحديث؛ تبيَّن لي والله أعلم: أن الحديث قد يكون لمن صححه بمجموع الطرق وجه، وإن كنت أراه وجهًا ضعيفًا وأن النفس لا تميل ولا تطمئن لتصحيح مثل هذا المتن، **وذلك للأسباب التي ذكرت في درج الكلام السابق أختصرها فيما يلي:**

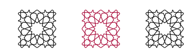
١- الحديث أخرج مسلم قسمه الأول بثلاثة أسانيد مختلفة عن السبيعي وعن عبد الله بن أبي الهذيل وعن عبد الله بن مرة دون هذه الزيادة.

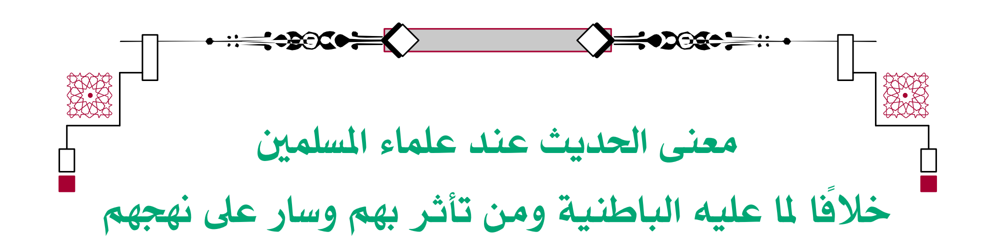
٢- فيه عدد من العلل كتدليس السبيعي وابن عجلان، وتدليس مغيرة بن مقسم عند مسلم على أحد الأقوال.

٣- اضطرب الرواة فيه بناء على قول البعض كاضطراب ابن أبي الهذيل والسبيعي، حيث روى الحديث عنهما مسلم دون هذه الزيادة، ورواه الاثنان

خارج مسلم بهذه الزيادة.

٤- الحديث لم يرْوِه أحد من أصحاب كتب السنة المشهورة كالكتب الستة ومسند أحمد مثلًا، فمتنٌ بهذه الأهمية وأحدث خلافًا كبيرًا بين علماء المسلمين ولم يُروَ في الكتب المشهورة؛ لا بد أن يوقع في نفس الباحث شيئًا.





معنى الحديث عند علماء المسلمين خلافًا لما عليه الباطنية ومن تأثر بهم وسار على نهجهم

هذا الحديث وما يشبهه استخدمته الفرق الباطنية من القرامطة والإسماعيلية والرافضة وغيرهم ومن سار على طريقهم من غلاة التصوف؛ كدليلٍ نقضوا به ظاهر الآيات وادعوا أن للقرآن باطنًا يخالف الظاهر، وأن الظاهر غير مراد، ففسروا القرآن تفسيرًا باطنيًا على مقاصدهم الفاسدة وأهوائهم الخبيثة، ولا شك أن هذا هدم لدين الله جملةً وتفصيلًا، وسيأتي الكلام عن ذلك عند الكلام عن التفسير الباطني إن شاء الله تعالى.

لذلك كان علينا لزامًا أن نبين من خلال كلام العلماء المعنى الصحيح لهذا الحديث، وسأطيل في نقل الفهم الصحيح للعلماء في المعنى الصحيح للحديث خلافًا للمعنى الباطل الذي تعتقده الفرق الباطنية الضالة ومن تأثر بهم؛ وذلك لنقطع الشك باليقين بمخالفة هؤلاء الباطنية لأهل السنة في الفهم الصحيح لمعنى هذا الحديث.

ذكر ابن المبارك - وفي نسخة أن القائل الراوي عن عبد الله بن المبارك نعيم بن حماد المروزي - في كتاب الزهد بعد ذكره الحديث السابق مرسلًا عن الحسن البصري قال: سمعت غير واحد في هذا الحديث ما في كتاب الله آية إلا ولها ظهر وبطن، يقول: لها تفسير ظاهر، وتفسير خفي، ولكل حَدٍّ مطلع، قال: يطَّلع عليه القوم فيستعملونه على تلك المعاني ثم يذهب ذلك القرن، فيجيء قرن آخر يطَّلعون منها على معنى آخر، فيذهب عليه ما

كان عليه من قبلهم، فلا يزال الناس على ذلك إلى يوم القيامة، يقول ينهى عن ذلك ولكن يفسره السنة. انتهى كلامه.

قلت: قوله: (ينهى عن ذلك ولكن يفسره السنة)، أي ينهى عن تفسير الكتاب بعيدًا عن السنة، وسبب هذا الشرح لهذه العبارة أن ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر هذا الأثر في: (باب في لزوم السنة)، وذكر قبله عدد من الآثار عن الصحابة في ارتباط القرآن بالسنة ولزوم تفسير القرآن بالسنة، وأذكر منها أثرًا واحدًا وإن كان ضعيفًا بسبب ضعف علي بن زيد بن جدعان، وفيه قال ابن المبارك: أخبرنا معمر عن علي بن زيد عن أبي نضرة، قال: كنا عند عمران بن حصين قال: فجعل يحدثنا، قال فقال رجل: حدِّثنا عن كتاب الله قال: فغضب عمران، فقال: إنك أحمق، ذكر الله الزكاة في كتاب، فأين من المئتين خمسة؟! ذكر الله الصلاة في كتابه، فأين الظهر أربعًا؟! حتى ذكر الصلوات، ذكر الله الطواف في كتابه، فأين تطوف بالبيت سبعًا وبالصفا والمروة سبعًا؟! إنما يحكم ما هناك وتفسره السنة[١].

وقال محمد بن جرير الطبري في (تفسيره): وأما قوله ﷺ في القرآن: إن لكل حرف منه ظهرًا وبطنًا، فظهره: الظاهر في التلاوة، وبطنه: ما بطن من تأويله.

وقوله: وإن لكل حدٍّ من ذلك مَطلعًا، فإنه يعني أن لكل حد من حدود الله التي حدها فيه - من حلال وحرام، وسائر شرائعه - مقدارًا من ثواب الله وعقابه، يعاينه في الآخرة، ويطلع عليه ويلاقيه في القيامة، كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لو أن لي في الأرض من صفراء وبيضاء؛ لافتديت به من هول المطلع)، يعني بذلك: ما يطلع عليه ويهجم عليه من أمر الله

(١) (الزهد والرقائق) لعبد الله بن المبارك.

بعد وفاته. انتهى كلامه[١].

قلت: قوله (ما بطن من تأويله): أي من تفسيره، لأن ابن جرير يقصد بالتأويل: التفسير، بل عنوان كتابه: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

وقال أبو محمد الحسين بن الفراء البغوي: قوله: (لكل آية منها ظهر وبطن)، اختلفوا في تأويله فيروى عن الحسن أنه سئل عن ذلك، فقال: إن العرب تقول: قلَّبت أمري ظهرًا لبطن، ويقال: الظهر لفظ القرآن، والبطن تأويله وقيل: الظهر: ما حُدِّثَ فيه عن أقوام أنهم عصوا، فعوقبوا وأهلكوا بمعاصيهم، فهو في الظاهر خبر، وباطنه عظة وتحذير أن يفعل أحد مثل ما فعلوا فيحل بهم ما حلّ بهم، وقيل: ظاهره: تنزيله الذي يجب الإيمان به، وباطنه: وجوب العمل به، وما من آية إلا وتوجب الأمرين جميعًا، لأن وجوه القرآن أمر ونهي، ووعد ووعيد، ومواعظ وأمثال وخبر ما كان وما يكون، وكل وجه منها يجب الإيمان به والتصديق له، والعمل به، فالعمل بالأمر؛ إتيانه، وبالنهي؛ الاجتناب عنه، وبالوعد؛ الرغبة فيه، وبالوعيد؛ الرهبة عنه، وبالمواعظ؛ الاتعاظ، وبالأمثال؛ الاعتبار، وقيل: معنى الظهر والبطن: التلاوة والتفهم، كأنه يقول: لكل آية ظاهر: وهو أن يقرأها كما نزلت، قال الله ﷻ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[٢]، وباطن: وهو التدبر والتفكر، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[٣]، ثم التلاوة إنما تأتي بالتعلم والحفظ بالدرس، والتفهم إنما يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة وطيب الطعمة.

وقوله: (لكل حرف حدّ، ولكل حدٍّ مَطلع)، يقول: لكل حرف حدٌّ في التلاوة لا يجاوز المصحف الذي هو الإمام، وفي التفسير لا يجاوز المسموع.

(١) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).
(٢) [سورة المزمل: آية ٤]. (٣) [سورة ص آية: ٢٩]

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أي أرض تقلُّني، وأي سماء تظلُّني؛ إذا قلت في القرآن برأيي!

قوله: (مَطلَع): المطلع: المصعد: أي لكل مصعد يصعد إليه من معرفة علمه، ويقال: المطلع هو الفهم، وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر فيه من التأويل والمعاني ما لا يفتح على غيره، وفوق كل ذي علم عليم. انتهى[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد الحديث المذكور سابقًا: واختلفوا في تأويله، قيل: الظهر لفظ القرآن، والبطن: تأويله، ثم نقل كلام الإمام البغوي السابق كاملًا، ثم قال: فقد جعل هؤلاء الفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير يُعْلَمُ بالنقل والسماع، والتأويل ما يُفهَم من الآية بالاستنباط منها، بحيث يكون ذلك المعنى موافقًا لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة، وما كان كذلك يجب أن يكون كظاهرها، وهذا قول رابع في معنى التأويل. انتهى[(٢)].

وقال أيضًا: يروى عن الحسن البصري موقوفًا أو مرسلًا: أن لكل آية ظهرًا وبطنًا، وحدًّا ومطلعًا، وقد شاع في كلام كثير من الناس (علم الظاهر وعلم الباطن) و(أهل الظاهر وأهل الباطن)، ودخل في هذه العبارات حق وباطل، وقد بسط هذا في غير هذا الموضع، لكن نذكر هنا جُملًا من ذلك فنقول: قول الرجل: (الباطن) إما أن يريد علم الأمور الباطنة، مثل: العلم بما في القلوب من المعارف والأحوال والعلم بالغيوب التي أخبرت بها الرسل، وإما أن يريد به العلم الباطن، أي الذي يبطن عن فهم أكثر الناس أو

---

(١) (شرح السنة) للإمام البغوي.

(٢) (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية).

عن فهم من وقف مع الظاهر، ونحو ذلك.

فأما الأول: فلا ريب أن العلم منه ما يتعلق بالظاهر، كأعمال الجوارح، ومنه ما يتعلق بالباطن كأعمال القلب، ومنه ما هو علم بالشهادة، وهو ما يشهده الناس بحواسهم، ومنه ما يتعلق بالغيب، وهو ما غاب عن إحساسهم... وأما إذا أريد بالعلم الباطن العلم الذي يبطن عن أكثر الناس، أو عن بعضهم، فهذا على نوعين: أحدهما باطن يخالف العلم الظاهر، والثاني: لا يخالفه، فأما الأول فباطل، فمن ادعى علمًا باطنًا أو علمًا بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر؛ كان مخطئًا، إما ملحدًا زنديقًا، وإما جاهلًا ضالًا.

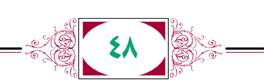
وأما الثاني فهو بمنزلة الكلام في العلم الظاهر، قد يكون حقًّا، وقد يكون باطلًا، فإن الباطن إذ لم يخالف الظاهر؛ لم يُعلَم بطلانه من جهة مخالفته للظاهر المعلوم، فإن علم أنه حق قُبِل، وإن علم أنه باطل رُدّ، وإلا أمسك عنه، وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الإسماعيلية والنصيرية وأمثالهم ممن وافقهم من الفلاسفة وغلاة المتصوفة والمتكلمين[١].

وقال البيضاوي: عن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن، ولكل حد مطلع**».

قيل: أراد بها: اللغات السبع المشهود لها بالفصاحة من لغات العرب، وهي لغة: قريش، وهذيل، وهوازن، واليمن، وبني تميم، ودوس، وبني الحارث.

---

(١) (مجموع الفتاوى).



وقيل: أراد بها القراءات السبع المعروفة التي اختارها الأئمة السبعة وهم: عاصم، وحمزة، والكسائي من أهل الكوفة، وابن كثير من مكة، ونافع من المدينة، وأبو عمرو من البصرة، وابن عامر من الشام.

وقيل: أراد به أجناس الاختلافات التي تؤول إليها اختلافات القراءات، فإن اختلافها إما أن يكون في المفردات أو المركَّبات، والثاني كالتقديم والتأخير مثل: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [ق: الآية ١٩]، وقيل أراد أن في القرآن ما هو مقروء على سبعة أحرف أو أوجه كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسرَاء: الآية ٢٣] الإسراء، فإنه قُرِئَ بالضم، والفتح، والكسر منونًا، وغير منَوَّن، والسكون.

وقيل: معناه: أنه أنزل مشتملًا على سبعة معان: الأمر، والنهي، والقصص، والأمثال، والوعد، والوعيد، والمواعظة.

وأقول: المعاني السبعة هي: العقائد، والأحكام، والأخلاق، والقصص، والأمثال، والوعد، والوعيد، وقوله: (ولكل آية ظهر وبطن) قيل ظهر الآية: لفظها المتلُوّ، وبطنها: معناها الذي يفهم منه. وقيل: ظهرها ما ظهر منها من المعنى الجَلِيِّ المكشوف، وبطنها: ما خفي من معناها ويكون سرًّا بين الله تعالى وبين المصطفين من أوليائه، (ولكل حَدٍّ مَطلَع): أي لكل حد وطرف من الظهر والبطن مَطلع، أي مصعد، أو موضع يُطَّلع عليه بالترقي إليه، فمطلع الظاهر: تعلم العربية والتمرن فيها، ويتبع ما يتوقف عليه معرفة الظاهر من أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك، ومطلع الباطن: تصفية النفس والرياضة بآداب الجوارح في اتباع مقتضى الظاهر والعمل بمقتضاه. انتهى كلامه[١].

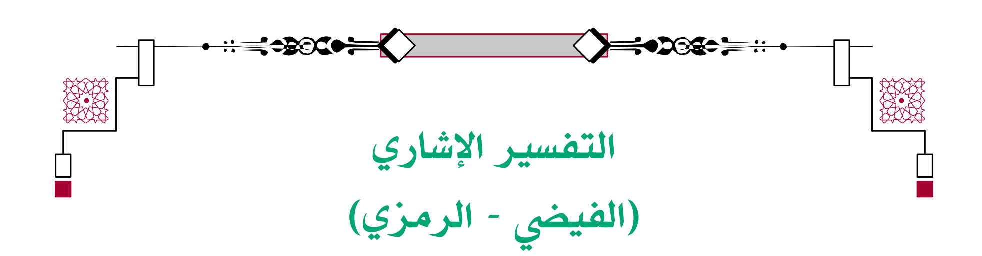
(١) (تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة).

وقال محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني: (أنزل القرآن على سبعة أحرف ولكل حرف منها ظهر وبطن)، وظهره: ما ظهر تأويله وعرف معناه، وبطنه: ما خفي تأويله وأشكل فحواه، والظاهر: اللفظ، والباطن: المعنى. أو الظهر: التلاوة والرواية، والبطن: الفهم والدراية، (ولكل حرف حَدّ): أي ينتهي فيما أراده الله تعالى بمعناه، (ولكل حَدٍّ): من الظهر والبطن (مطلع): بتشديد الطاء وفتح اللام: موضع الاطلاع أي: مصعد ومحل يُطَّلع عليه بالترقي وذلك بالتدبر لمعانيه والتفهم لمقاصده[١].

وأقتصر على ما تقدم من كلام العلماء، فإن فيه كفاية لمن يريد الحق في فهم المعنى الصحيح للحديث، وردًا على أهل الباطل من الفرق الضالة الباطنية -ومن تأثر بهم - التي جاءت بمعاني باطنية باطلة أبطلت بها ظاهر القرآن، بل أبطلت بها شريعة الله ﷻ.

❋ ❋ ❋

(١) (التنوير شرح الجامع الصغير).



التفسير الإشاري
(الفيضي - الرمزي)

ما ذكره بعض الباحثين من: هل يطلق اسم تفسير إشاري أو غيره على هذا التفسير؟ هذا لم أتعرض له مكتفيًا بشهرة هذه التسمية في الأوساط العلمية.

◈ تعريفه: لغة:

(شَوّرَ إليه بيده) ونحوها: أشار.

(الإشارة): تعيين الشيء باليد ونحوها، والتلويح بشيء يُفهَم منه المراد[١].

◈ تعريفه: اصطلاحًا:

عرَّفه عدد من العلماء، أنقل تعريفًا واحدًا من تعريفاتهم، هو تعريف **الإمام ابن قيم الجوزية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث عرَّفه بقوله: الإشارات هي المعاني التي تشير إلى الحقيقة من بُعد، ومن وراء حجاب[٢].

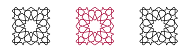
(الرَّمْزُ): الإيماء والإشارة والعلامة، وفي علم البيان: الكناية الخفية، والجمع: رموز[٣].

(الفيضي): (فاضَ) الماءُ فيضًا: كَثُرَ حتى سال، و(الفيضُ): الكثير الغزير، يقال: أعطانا غيضًا من فيض: قليلًا من كثير، ورجل فيضٌ: كثير الخير،

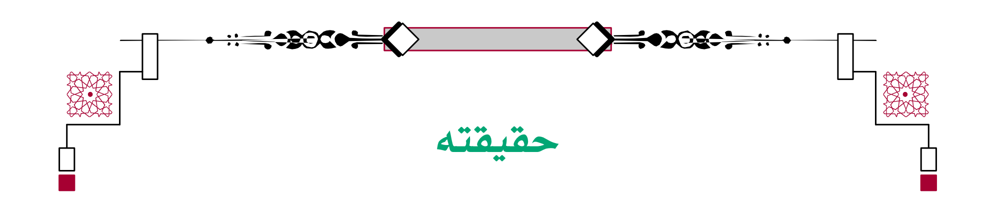
(١) (المعجم الوسيط).
(٢) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).
(٣) (المعجم الوسيط).

والجمع: فُيُوضٌ[١].

قلت: هو ما يفاض به على النفوس من فهم لمعاني النصوص الشرعية، فما كان مبني على دلالات النصوص فهو الفيض الدلالي كما سماه بعض الباحثين، أما ما سمي بالفيض الإلهي فهو صحيح إذا كان فهمًا مبنيًا على دلالات النصوص سببه العلم الناتج عن الإخلاص والإتباع، أما ما أطلق عليه أهل الباطل من الفرق الباطنية ومن تأثر بهم من غلاة التصوف وغيرهم (الفيض الإلهي) الذي لم يُبنَ على دلالات النصوص الشرعية فهذا لا يمت للفيض الإلهي بصلة، بل هو من تخرصات الشيطان وأهواء البشر.



(١) (المعجم الوسيط).



حقيقته

أبدأ التعريف بحقيقة التفسير الإشاري بنقل عدد من نصوص العلماء توضح ذلك:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس، وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص، مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام، لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال ودرجات الرجال ونحو ذلك[١].

وقال أيضًا: وأما أرباب الإشارات الذين يثبتون ما دل اللفظ عليه، ويجعلون المعنى المشار إليه مفهومًا من جهة القياس والاعتبار؛ فحالهم كحال الفقهاء العالمين بالقياس والاعتبار، وهذا حق إذا كان قياسًا صحيحًا لا فاسدًا، واعتبارًا مستقيمًا لا منحرفًا[٢].

وقال أيضًا: والقسم الثاني: أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس لا من باب دلالة اللفظ فهذا من نوع القياس، فالذي تسميه الفقهاء قياسًا هو الذي تسميه الصوفية إشارة، وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل كانقسام القياس إلى ذلك[٣].

(١) (مجموع الفتاوى).
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.

وقال أيضًا: لكن منها ما يكون معناه صحيحًا، وإن لم يكن هو المراد باللفظ، وهو الأكثر في إشارات الصوفية، وبعض ذلك لا يُجعَل تفسيرًا، بل يُجعَل من باب الاعتبار والقياس، وهذه طريقة صحيحة علمية، كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: الآية ٧٩] وقول النبي ﷺ: «**لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ**» فإذا كان ورقه لا يمسه إلا المطهرون؛ فمعانيه لا يهتدي بها إلا القلوب الطاهرة، وإذا كان الملك لا يدخل بيتًا فيه كلب، فالمعاني التي تحبها الملائكة لا تدخل قلبًا فيه أخلاق الكلاب المذمومة ولا تنزل الملائكة على هؤلاء[١].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: وتفسيرٌ على الإشارة والقياس، وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم، وهذا لا بأس به بأربعة شرائط - كما سيأتي -...[٢].

وقال أيضًا: فالإشارات من جنس الأدلة والأعلام... وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الصحيح منها ما يدل عليه اللفظ بإشاراته من باب قياس الأولى[٣].

وقال الإمام الشاطبي: معلقًا على تفسير سهل بن عبد الله لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢] أي: أضدادًا قال: وأكبر الأنداد: النفس الأمارة بالسوء.

قال وهذا يشير إلى أن النفس الأمارة داخلة تحت عموم الأنداد... إلى أن قال: أن الناظر قد يأخذ من معنى الآية معنى من باب الاعتبار فيجريه فيما لم تنزل فيه لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه، لأن حقيقة النِّدِّ: أنه

(١) (مجموع الفتاوى).
(٢) (البنيان في أقسام القرآن).
(٣) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

المضاد لنده الجاري على مناقضته، والنفس الأمارة هذا شأنها، لأنها تأمر صاحبها بمراعاة حظوظها لاهية أو صادة عن مراعاة حقوق خالقها، وهذا هو الذي يعني به النِّد في نِدِّه، لأن الأصنام نصبوها لهذا المعنى بعينه[(١)].

وقال ابن الصلاح: عن كلام الصوفية في إشارات القرآن: وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئًا من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيرًا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإن النظير يذكر بالنظير، ومن ذلك: قتال النفس في الآية المذكورة يريد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: الآية ١٢٣]، فكأنه قال: أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإيهام والإلتباس، والله أعلم. انتهى[(٢)].

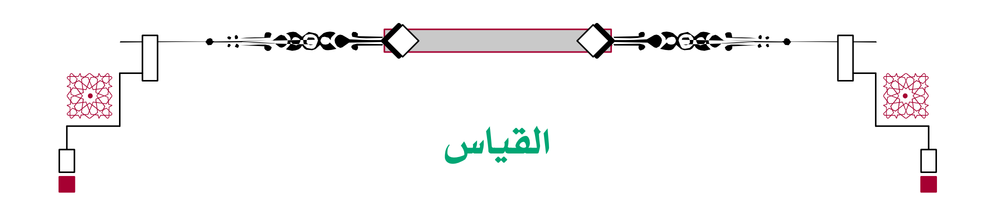
وسيأتي مزيد توضيح لهذا الكلام (ص ٦٢).

قلت: قد تبين مما سبق من كلام العلماء أن الصحيح من التفسير الإشاري هو عبارة عن أمثلة واعتبارات، تُذكَر نظير المعنى الظاهر للآية، وأقيسة تقاس على المعنى الظاهر للآية فتُلحَق بها بناء على معنى مشترك أو علة مشتركة بين ظاهر الآية وباطنها، وهذه الأقيسة والأمثلة التي استخدمت في التفسير الإشاري تشبه الأقيسة، وخاصة قياس الأَوْلَى وإشارة النص عند الفقهاء والأصوليين، ولذلك كان من الحكمة أن نتكلم باختصار عن القياس وإشارة النص عند الفقهاء والأصوليين، وذلك زيادة في التوضيح وتقريبًا للفكرة بين يدي القارئ الكريم.

---

(١) (الموافقات) للشاطبي.

(٢) (فتاوى ومسائل ابن الصلاح).



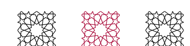
القياس

تعريفه: إلحاق أمر غير منصوص على حكمه الشرعي بأمر منصوص على حكمه لاشتراكهما في علة الحكم، قال: فيلحق ما لم ينص عليه بما ورد فيه نص، ويسمى هذا الإلحاق: القياس.

◈ **أمثلته:**

إن الله ﷻ نص على تحريم الخمر بآية ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ...﴾ [المَائدة: ٩٠]، وقد أدرك المجتهد أن علة التحريم هي الإسكار...، وعند التأمل وجد المجتهد أن الإسكار يتحقق أيضًا بشرب النبيذ فيكون النبيذ ملحقًا بالخمر في حرمة تناوله، فالخمر أصل، والنبيذ فرع، والحكم التحريم، والعلة الجامعة بينهما هي الإسكار. انتهى[١].

وأقرب أنواع القياس للتفسير الإشاري هو: قياس الأَوْلَى، وأشهر ما يضرب به الفقهاء والأصوليون لقياس الأولى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسرَاء: الآية ٢٣]، فحرم الله التأفيف للوالدين والعلة: إيذاؤهما... فيكون الضرب والشتم أولى بالتحريم من قول (أف). انتهى[٢].



(١) (أصول الفقه الإسلامي)، للدكتور وهبة الزحيلي.

(٢) (تيسير علم أصول الفقه) لعبد الله الجديع.



إشارة النص

كذلك يشبه التفسير الإشاري إشارة النص عند الأصوليين.

تعريفها: هي دلالة اللفظ على معنى غير مقصود من سياقه، لكنه لازم لما يفهم من (عبارة النص) وقد يكون التلازم بين (العبارة) و(الإشارة) ظاهرًا، وقد لا يُدرَك إلا ببحث وتأمل[(١)].

◈ الأمثلة:

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧] حتى قال: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧].

عبارة النص: إباحة إتيان الزوجة في ليلة الصيام في أي وقت من الليل إلى ظهور الفجر، وإشارة النص: أن الجنابة لا أثر لها في الصوم وذلك أن من له أن يجامع ولو في آخر لحظة من الليل فإنه قد يصبح جُنبًا، فلازم الإباحة أن الجنابة لا أثر لها[(٢)].

وقال السمعاني: وأما إشارة النص فهو مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسرَاء: الآية ٢٣] فيه دلالة على تحريم الشتم والضرب. انتهى[(٣)].

---

(١) (تيسير علم أصول الفقه) لعبد الله الجديع.
(٢) المرجع السابق.
(٣) (قواطع الأدلة في الأصول).

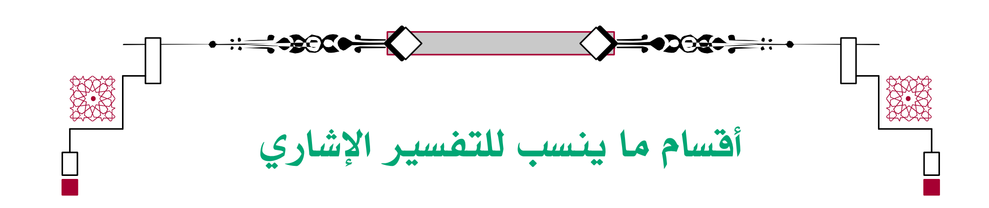
قلت: حتى عند الأصوليين كما هو في شروط التفسير الإشاري الصحيح إذا تعارضت إشارة النص مع عبارة النص - أي ظاهره - ترد إشارة النص ولا تقبل، لأن الأصل هو الظاهر.

قال كمال الدين ابن الهمام: وقد تقرر في علم الأصول أن عبارة النص تُرَجَّح على إشارة النص عند التعارض. انتهى[(١)].

قلت: تبين مما سبق أن حقيقة التفسير الإشاري أمثلة ونظائر وأقيسة تضرب مقابل المعنى الظاهر للآية، وذلك لوجود رابط مشترك بين المعنى الظاهر للآية والباطن، وأن هذه النظائر والأقيسة لا تعتبر تفسيرًا للآية ولا بديلًا للمعنى الظاهر منها.

❊ ❊ ❊

(١) (فتح القدير للعاجز الفقير).



أقسام ما ينسب للتفسير الإشاري

بعد التصفح والتأمل في كلام العلماء؛ تبيَّن أن ما ينسب من التفاسير للتفسير الإشاري ينقسم والله أعلم إلى قسمين:

١- تفسير صحيح موافق لظاهر اللفظ، وبينه وبين الظاهر ارتباط وتوافق دقيق لطيف.

٢- تفسير مردود مخالف لظاهر اللفظ، لكنه لا يعتبر عند أصحابه بديلًا للظاهر غالبًا، وهذا ما يميزه عن التفسير المردود الباطني الذي يعتبر عند أصحابه بديلًا لظاهر النص.

◈ القسم الأول: التفسير الإشاري الصحيح وهو ما كان موافقًا لظاهر النص.

وحتى يتبين هذا القسم أذكر أمثلة من نصوص العلماء توضح هذا القسم:

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ؛ قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ قَالَ: وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نَدْرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَكَذَاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ: إِذَا

جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا. قَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ»[(١)].

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم، ولهذا قال علي رضي الله تعالى عنه: أو فهمًا يؤتيه الله رجلًا في القرآن. انتهى[(٢)].

وقد ورد عن الصحابة ﭫ بعض الإشارات في بيان أمثال القرآن الكريم، أذكر منها مثالًا واحدًا يوضح ما سواه، قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ۝١٧﴾ [الرّعد: الآية ١٧].

قال الإمام ابن كثير بعد الآية السابقة: اشتملت هذه الآية الكريمة على مَثَلَيْن مضروبين للحق في ثباته وبقائه، والباطل في اضمحلاله وفنائه، فقال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الأنعام: الآية ٩٩]: أي مطرًا ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرّعد: الآية ١٧]: أي كل واد بحسبه، فهذا كبير وسع كثيرًا من الماء، وهذا صغير فوسع بقدره، وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علمًا كثيرًا، ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها... عن ابن عباس قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرّعد: الآية ١٧]: هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها، فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله، وهو قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٩٤).

(٢) (فتح الباري بشرح صحيح البخاري).

جُفَآءً﴾ [الرّعد: الآية ١٧]: وهو الشك، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الرّعد: الآية ١٧]: وهو اليقين، وكما يُجعَل الحُلِيُّ في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار، فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح؛ كانت حسنة مقبولة، وإن كانت كالقياس الضعيف؛ كان لها حكمه، وإن كان تحريفًا للكلام على غير تأويله؛ كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية[٢].

وقال أيضًا: والقسم الثاني: أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس لا من باب دلالة اللفظ، فهذا من نوع القياس، فالذي تسميه الفقهاء قياسًا هو الذي تسميه الصوفية إشارة، وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل كانقسام القياس إلى ذلك، فمن سمع قول الله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقِعَة: الآية ٧٩] وقال: إنه اللوح المحفوظ أو المصحف، فقال: كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر، فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة، وهي قلوب المتقين؛ كان هذا معنى صحيحًا واعتبارًا صحيحًا، ولهذا يُروَى هذا عن طائفة من السلف، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ وقال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٣٨] وقال: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المَائدة: الآية ١٦] وأمثال ذلك.

وكذلك من قال: «**لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ**»[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم).

(٢) (مجموع الفتاوى).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٢٢).

فمن اعتبر بذلك أن القلب لا يدخله حقائق الإيمان، إذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد؛ فقد أصاب، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [المَائدة: الآية ٤١]، وقال تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾ [الأعرَاف: الآية ١٤٦] وأمثال ذلك(١).

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: فالإشارات من جنس الأدلة والأعلام... وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الصحيح منها ما يدل عليه اللفظ بإشاراته من باب قياس الأولى.

قلت: مثاله قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ [الواقِعَة: الآية ٧٩].

قال: والصحيح في الآية أن المراد به: الصحف التي بأيدي الملائكة لوجوه عديدة:... ثم ذكر أدلة شيخ الإسلام على ذلك إلى أن قال: فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: لكن تدل الآية بإشارتها على أنه لا يمس المصحف إلا طاهر، لأنه إذا كانت تلك الصحف لا يمسها إلا المطهرون لكرامتها على الله، فهذه الصحف ينبغي أن لا يمسها إلا طاهر.

وسمعته يقول في قول النبي ﷺ: «**لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ**» إذا كانت الملائكة المخلوقين يمنعها الكلب والصورة عن دخول البيت، فكيف تلج معرفة الله ومحبته وحلاوة ذكره والأنس بقربه في قلب ممتلئٌ بكلاب الشهوات وصورها؟! فهذا من إشارة اللفظ الصحيحة، ومن

(١) (مجموع الفتاوى)، بتصرف يسير.

هذا: أن طهارة الثوب الظاهر والبدن إذا كانت شرطًا في صحة الصلاة والاعتداد بها فإذا أُخِلَّ بها كانت فاسدة، فكيف إذا كان القلب نجسًا ولم يطهره صاحبه؟ فكيف يُعتد له بصلاته، وإن أسقطت القضاء؟! وهل طهارة الظاهر إلا تكميل لطهارة الباطن؟!

ومن هذا: أن استقبال القبلة في الصلاة شرط لصحتها، وهي بيت الرب، فتوجه المصلي إليها ببدنه وقالبه شرط، فكيف تصح صلاة من لم يتوجه بقلبه إلى رب القبلة والبدن بل وجه بدنه إلى البيت، ووجه قلبه إلى غير رب البيت؟! وأمثال ذلك من الإشارات الصحيحة التي لا تنال إلا بصفاء الباطن، وصحة البصيرة، وحسن التأمل[(١)].

وقال أيضًا: الدنيا والشيطان عدوَّان خارجان عنك، والنفس عدو بين جنبيك، ومن سنة الجهاد ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ [التوبة: الآية ١٢٣] ليس المبارز بالمحاربة، كالكمين الذي يطلع عليك من حديث لا تشعر. انتهى.

قلت: مع أن الآية المقصود منها قتال الكفار الأقرب فالأقرب، إلا أن الإمام ابن القيم أخذ من إشارة النص أن النفس هي أقرب عدوٍّ يجب الانتصار عليه وقتاله.

وهناك نصوص كثيرة غير ما تقدم لشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم في هذا الباب، لكن فيما تقدم كفاية وتوضيحٌ للفكرة.

وقال سهل بن عبد الله التستري في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢٢]: قال سهل: أي أضدادًا، فأكبر الأضداد، النفس الأمارة بالسوء المتطلعة إلى حظوظها ومناها بغير هدي من الله[(٢)].

---

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

(٢) (تفسير التستري).

وقد علق على تفسير التستري السابق؛ الإمام الشاطبي في كتابه (الموافقات) فقال: ومن ذلك أنه نُقل عن سهل بن عبد الله في فهم القرآن أشياء مما يعد من باطنه، فقد ذُكِر عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢] أي أضدادًا، قال: وأكبر الأنداد: النفس الأمارة بالسوء المتطلعة إلى حظوظها ومناها بغير هدى من الله.

وهذا يشير إلى أن النفس الأمارة داخلة تحت عموم الأنداد، حتى لو فصل لكان المعنى: فلا تجعلوا لله أندادًا لا صنمًا ولا شيطانًا ولا النفس ولا كذا، وهذا مشكل الظاهر جدًّا، إذ كان مساق الآية ومحصول القرائن فيها يدل على أن الأنداد أو غيرها مما كانوا يعبدون، ولم يكونوا يعبدون أنفسهم ولا يتخذونها أربابًا، ولكن له وجه جارٍ على الصحة، وذلك أنه لم يقل إن هذا هو تفسير الآية، ولكن أتى بما هو نِدٌّ في الاعتبار الشرعي الذي شهد له القرآن من جهتين:

إحداهما: أن الناظر قد يأخذ من معنى الآية معنى من باب الاعتبار، فيجريه فيما لم تنزل فيه لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه، لأن حقيقة الند أنه المضاد لنده الجاري على مناقضته، والنفس الأمارة هذا شأنها لأنها تأمر صاحبها بمراعاة حظوظها، لاهيةً أو صادَّةً عن مراعاة حقوق خالقها، وهذا هو الذي يعني به الند في نده، لأن الأصنام نصبوها لهذا المعنى بعينه، وشاهد صحة هذا الاعتبار قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبَة: الآية ٣١]، وهذا شأن المتبع لهوى نفسه..

والثانية: أن الآية وإن نزلت في أهل الأصنام، فإن لأهل الإسلام فيها نظرًا بالنسبة إليهم. انتهى[1].

(١) (الموافقات) للشاطبي.

وأظن ما تقدم من نصوص العلماء كافٍ في توضيح هذا القسم، وإلا فنصوص العلماء في هذا الباب كثيرة.

◈ **القسم الثاني: التفسير الإشاري المردود، لكنه لا يعتبر عند أصحابه بديلًا للظاهر غالبًا.**

وهو بخلاف التفسير الباطني الذي وضعه أصحابه ليكون بديلًا لظواهر النصوص، بل لهدم النص ذاته، كما سيأتي معنا عند الكلام عن التفسير الباطل الباطني.

أما بالنسبة لهذا القسم الثاني: فكما يُقَال: بالمثال يتضح المقال، فسأذكر أولًا عددًا من الأمثلة من كلام من وقع في مثل هذا التفسير المخالف لظاهر النص القرآني، ثم أعلق عليها بكلام بعض العلماء الذين أنكروا عليهم تفسيرهم هذا، وحقيقة الأمر أن أصحاب هذا القسم لم يبنوا كلامهم إلا على تخيُّلات واستنباطاتٍ لا خِطَام لها ولا زمام.

قال الثعلبي في تفسير (الم) ذكر عددًا من الأقوال منها: قال: وقال: أهل الإشارة الألف: أنا، لام: لي، ميم: مني...[1].

وقال محمد التنازي: (بسم الله): الباء: بهاء الله، والسين: سناؤه، فلا شيء أعلى منه، والميم: ملكه وهو على كل شيء قدير، والباء: ابتداء اسمه بارئ بصير، والسين: ابتداء اسمه سميع، والميم: ابتداء اسمه مجيد مليك، والألف: ابتداء اسمه الله، واللام: ابتداء اسمه لطيف، والهاء: ابتداء اسمه هادي، ...[2].

---

(١) (الكشف والبيان عن تفسير القرآن).

(٢) (تفسير مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد).

وقال سهل التستري: (بسم الله): الباء: بهاء الله ﷻ، والسين: سناء الله ﷻ، والميم: مجد الله ﷻ[(١)].

قال الماوردي: (بسم الله الرحمن الرحيم): وتكلف من راعى معاني الحروف ببسم الله تأويلًا، أجرى عليه أحكام الحروف المعنوية، حتى صار مقصودًا عند ذكر الله في كل تسمية، ولهم فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الباء بهاؤه وبركته وبره وبصيرته، والسين سناؤه وسمُّوه وسيادته، والميم مجده ومملكته ومَنُّه، وهذا قول الكلبي.

والثاني: أن الباء بريء من الأولاد، والسين سميع الأصوات، والميم مجيب الدعوات، وهذا قول سليمان بن يسار.

والثالث: أن الباء بارئ الخلق، والسين ساتر العيوب، والميم المنان، وهذا قول أبي روق.

ثم قال الماوردي بعدها: ولو أن هذا الاستنباط يحكي عمن يُقتَدى به في علم التفسير لرغب عن ذكره لخروجه عما اختص الله تعالى به من أسمائه، لكن قاله متبوع فذكرته مع بُعْده حاكيًا، لا محقِّقًا، ليكون الكتاب جامعًا لما قيل. انتهى[(٢)].

وقال الكرماني: ومن عجيب ما ذكر فيه (أي بسم) قول سليمان بن يسار: الباء: بريء من الأولاد، والسين: سميع الأصوات والميم: مجيب الدعوات، وقول سهل بن عبد الله التستري: الباء: بهاء الله، والسين: سناء الله، والميم: مجده، وقول أبي بكر الوراق: الباء من بسم الله على ستة أوجه:

---

(١) (تفسير التستري).

(٢) (تفسير الماوردي، النكت والعيون).

باريً خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه هو الله الخالق البارئ، ثم أخذ يعد الوجوه، قال: والسين على خمس أوجه، والميم على اثني عشر وجهًا، وعَدَّ الوجوه، وهذه وأمثالها يجب الاستغفار منها. انتهى كلامه[١].

وهذا الرازي قال في كتابه (مفاتيح الغيب) أو ما يعرف بالتفسير الكبير: علوم الفاتحة، اعلم أنه مر على لساني في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة، فاستبعد هذا بعض الحساد، وقوم من أهل الجهل والغي والعناد. انتهى.

قلت: المتصفح لتفسير الرازي في الفاتحة يجد فيه عددًا من الفوائد التي تنقل، لكنه بنى عددًا مما ذكره كفوائد واستنباطات على أحاديث ضعيفة أو موضوعة وإسرائيليات وروايات موضوعة لا خطام لها ولا زمام، أذكر منها مثالين مما سماه الرازي نِكَاتًا، يُعرَف من خلالها ما سواها مما يشبهها.

حيث قال عند تفسيره ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ من سورة الفاتحة: **النكتة الخامسة**: روي أن فرعون قبل أن يدعي الإلهية بنى قصرًا وأمر أن يكتب ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ على بابه الخارج، فلما ادَّعى الإلهية وأرسل إليه موسى عليه السلام ودعاه، فلم ير به أثر الرشد قال: إلهي كم أدعوه ولا أرى به خيرًا، فقال تعالى: يا موسى، لعلك تريد إهلاكه، أنت تنظر إلى كفره وأنا أنظر إلى ما كتبه على بابه.

والنكتة أن من كتب هذه الكلمة على بابه الخارج صار آمنًا من الهلاك وإن كان كافرًا، فالذي كتبه على سويداء قلبه من أول عمره إلى آخره كيف

(١) تفسير الكرماني: (غرائب التنزيل وعجائب التأويل).

يكون حاله؟!. انتهى كلامه[١].

قلت: وهذه الرواية لم أجد لها أصلًا في كتب السنن، ولا حتى غيرها من كتب التفسير إلا ممن نقل عن الرازي وتأثر به. انتهى.

وقال: **النكتة التاسعة:** اجعل نفسك قرين ذكر الله تعالى حتى لا تبعد عنه في الدارين.

رُوِي عن النبي ﷺ أنه دفع خاتمه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقال: اكتب فيه لا إله إلا الله، فدفعه إلى النقاش، وقال: اكتب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكتب النقاش فيه ذلك، فأتى أبو بكر بالخاتم إلى النبي ﷺ، فرأى النبي فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، فقال «**يا أبا بكر ما هذه الزوائد؟**» فقال أبو بكر يا رسول الله: ما رضيت أن أفرق اسمك عن اسم الله، وأما الباقي فما قلته، وخجل أبو بكر، فجاء جبريل عليه السلام، وقال: يا رسول الله أما اسم أبي بكر فكتبته أنا، لأنه ما رضي أن يفرق اسمك عن اسم الله، فما رضي الله أن يفرق اسمه عن اسمك.

والنكتة أن أبا بكر لمَّا لم يرضَ بتفريق اسم محمد ﷺ عن اسم الله عز وجل؛ وجد هذه الكرامة، فكيف إذا لم يفارق المرءُ ذكر الله تعالى[٢]. انتهى كلامه.

قلت: وهذا الحديث لم أجد له أصلًا في كتب الحديث، فلا يجوز أن ينسب إلى النبي ﷺ.

وأقتصر على هذين المثالين الذين سماهما الرازي نكاتًا، وإلا فالرازي

(١) (مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير).

(٢) المرجع السابق.

بنى نكاتًا أخرى على مثل هذه الأحاديث والروايات المكذوبة، هذا بالإضافة للمباحث الكلامية التي اعتبرها الرازي من النكات والفوائد، وكثير منها لا يمت للنكات بصلة، هذا وقد نقل الإمام الشاطبي عن سهل بن عبد الله التستري وعن غيره عدد من النقول فيما ينسب للتفسير الإشاري، ثم علق عليها تعليقًا رائقًا رائعًا، حيث قال: وقال: (سهل التستري) في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النِّساء: الآية ٣٦] وأما باطنها[١]: فهو القلب، ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النِّساء: الآية ٣٦]: النفس الطبيعية، ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النِّساء: الآية ٣٦]: العقل المقتدي بالشريعة ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧٧]: الجوارح المطيعة لله عَزَّ وَجَلَّ[٢].

وهو من المواضع المشكلة في كلامه، ولغيره مثل ذلك أيضًا، وذلك أن الجاري على مفهوم كلام العرب في هذا الخطاب ما هو الظاهر من أن المراد بالجار ذي القربى وما ذكر معه ما يفهم منه ابتداء، وغير ذلك لا يعرفه العرب، لا من آمن منهم ولا من كفر، والدليل على ذلك أنه لم ينقل عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين تفسير للقرآن يماثله أو يقاربه، ولو كان عندهم معروفًا لنُقِل، لأنهم كانوا أحرى بفهم ظاهر القرآن وباطنه باتفاق الأئمة، ولا يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها ولا هم أعرف بالشريعة منهم، ولا أيضًا ثَمَّ دليل يدل على صحة هذا التفسير، لا من مساق الآية؛ فإنه ينافيه، ولا من خارج؛ إذ لا دليل عليه كذلك، بل مثل هذا أقرب إلى ما ثبت رده ونفيه عن القرآن من كلام الباطنية ومن أشبههم[٣]. انتهى.

---

(١) أي الآية السابقة.

(٢) (تفسير التستري).

(٣) (الموافقات) للشاطبي.

قلت: ونقل الشاطبي أيضًا نقولًا أخرى عن التستري وغيره، وعلق عليها لكن فيما نقلنا عنه ما يكفي لتوضيح الفكرة.

وأقتصر على ما تقدم من أمثلة على القسم الثاني المردود، وإلا فالأمثلة في كلام المتصوفة ومن شابههم وتأثر بهم كثيرة، وكثير من هذه الأمثلة لو أُلحِق بالتفسير الباطني؛ لكان لمن ألحقه به وجه في ذلك، ولكنني لم ألحقه بالتفسير الباطني وذلك لأنه وافق وشابه الباطني في أنه يخالف الظاهر من اللفظ القرآني، وخالف التفسير الباطني أن كثيرًا ممن كتب في هذا القسم لم يعتبر ما قاله بديلًا للظاهر من النصوص الشرعية، وأنه هو المراد لا الظاهر كما اعتبر ذلك أصحاب التفسير الباطني من الفرق الباطنية الضالة كالقرامطة والإسماعيلية ومن تأثر بهم من غلاة التصوف وغيرهم، بل إن بعض من كتب ضد الباطنية ورَدَّ تفسيرهم الباطني وفضحهم مثل الغزالي؛ قد وقع منه مثل هذه التفاسير التي لا يدل الظاهر عليها بأي دليل، والتي تشبه من وجه بل من وجوه تفسير الباطنية، وذلك من مثل تفسيره للكواكب والشمس والقمر التي رآها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ بالنور التي هي حُجُب الله، حيث قال في كتابه (إحياء علوم الدين): وإليه الإشارة بقول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ قال الله تعالى إخبارًا عنه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ [الأنعام: الآية ٧٦] وليس المعنى به هذه الأجسام المضيئة، فإنه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة، وهي كثيرة وليست واحدًا، والجهال يعلمون أن الكوكب ليس بإله، فمثل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية[1]، ولكن المراد به أنه نور من الأنوار التي هي من حُجُب الله عَزَّ وَجَلَّ، وهي على طريق

(١) هم سواد الناس أي العوام منهم.

السالكين ولا يتصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحُجُب، حجب من نور بعضها أكبر من بعض، وأصغر النِّيرات؛ الكوكب، فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر...[1].

وقد علق ابن الجوزي البغدادي في كتابه (تلبيس إبليس) على كلام الغزالي السابق فقال: وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم (أي الصوفية) كتاب (الإحياء) على طريقة القوم ملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في علم المكاشفة، وخرج عن قانون الفقه وقال أن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حُجُب الله ﷻ ولم يرد هذه المعروفات، وهذا من جنس كلام الباطنية...[2].

قد رأينا كما سبق أن الغزالي وهو من رد على الباطنية في كتاب مفرد سماه (فضائح الباطنية)، ورد على تفسيرهم الباطني حتى في كتابه (إحياء علوم الدين)، حيث قال فيه: (وأما الطَّامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنية لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كدأب الباطنية في التأويلات، فهذا أيضًا حرام وضرره عظيم، فإن الألفاظ إذا صُرِفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع، ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل؛ اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ)؛[3] قد وقع في بعض التأويلات الباطنية الباطلة وهو قد

---

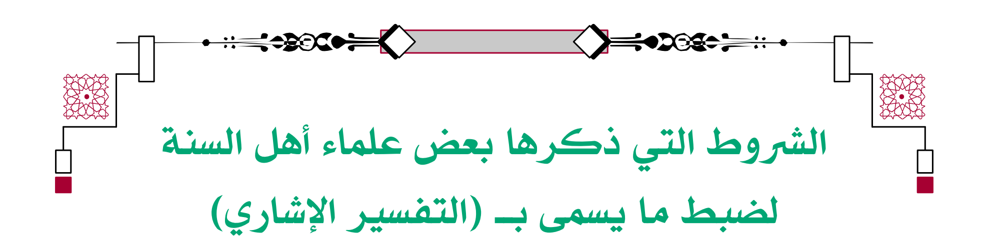
(١) (إحياء علوم الدين).

(٢) (تلبيس إبليس).

(٣) (إحياء علوم الدين).

حذر منها، وهكذا كثير من المتصوفة ومن شابههم؛ ذكروا معاني اعتبروها من إشارات النصوص لكنها شابهت التفاسير الباطنية الباطلة من وجه أو وجوه وخالفتها من وجوه أخرى، فكان لا بد أن نفردها بقسم مستقل تمييزًا لها عن الصحيح المقبول، وعن التفسير الباطني المردود الذي قُصِد به نقض القرآن وهدم بناء الإسلام والله أعلى وأعلم.





الشروط التي ذكرها بعض علماء أهل السنة لضبط ما يسمى بـ (التفسير الإشاري)

كنت قد جمعت عددًا من كلام العلماء في شروط التفسير الإشاري المقبول، ثم رتبتها ولخصتها بطريقتي وصياغتي، لكنني عدت فتراجعت عن ذلك كي لا أقحم في الكلام أي تصرف مني قد يغيِّر شيئًا من المقصود هذا **أولًا**.

ثانيًا: آثرت أن أنقل كلام العلماء في الشروط كما هو، وذلك أدعى وأقوى حجة لدى القارئ والمُطالِع، وأبدأ بما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من شروط، فهو حقيقة من أفضل من تكلم على ما يسمى (التفسير الإشاري) وضبَطَه -فيما أعلم-:

١- أن لا يُجعَل من باب دلالة اللفظ، أي أن لا يُجعَل تفسيرًا لظاهر النص بل يُجعَل من باب الاعتبار والقياس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والقسم الثاني: أن يُجعَل ذلك من باب الاعتبار والقياس لا من باب دلالة اللفظ، فهذا من نوع القياس، فالذي تسميه الفقهاء قياسًا هو الذي تسميه الصوفية إشارة، وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل كانقسام القياس إلى ذلك[1].

وقال أيضًا: وقول بعض الصوفية ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: الآية ٢٤]: هو القلب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٧]: هي النفس، وأمثال

(١) (مجموع الفتاوى).

هذه التحريفات، لكن منها ما يكون معناه صحيحًا، وإن لم يكن هو المراد باللفظ، وهو الأكثر في إشارات الصوفية، وبعض ذلك لا يُجعَل تفسيرًا، بل يُجعَل من باب الاعتبار والقياس، وهذه طريقة صحيحة علمية[١].

٢- أن يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس، وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص، مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام، لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال ودرجات الرجال، ونحو ذلك[٢].

٣- أن لا يخالف التفسير الباطن؛ التفسير الظاهر من النصوص.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهو يشرح أن للآية معنى ظاهر وباطن قال: (وأما إذا أريد بالعلم الباطن العلم الذي يبطن عن أكثر الناس، أو عن بعضهم؛ فهذا على نوعين أحدهما: باطن يخالف العلم الظاهر، والثاني: لا يخالفه، فأما الأول فباطل، فمن ادعى علمًا باطنًا أو علمًا بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر؛ كان مخطئًا، إما ملحدًا زنديقًا وإما جاهلًا ضالًا.

وأما الثاني؛ فهو بمنزلة الكلام في العلم الظاهر، قد يكون حقًّا، وقد يكون باطلًا، فإن الباطن إذا لم يخالف الظاهر؛ لم يعلم بطلانه من جهة مخالفته للظاهر المعلوم، فإن عُلِم أنه حق قُبِل، وإن عُلِم أنه باطل رُدَّ وإلا أمسك عنه[٣].

---

(١) (مجموع الفتاوى).
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.

وقال أيضًا: وأما ما يروى عن بعضهم من الكلام المجمل مثل قول بعضهم: لو شئتُ لأوقرتُ[١] من تفسير فاتحة الكتاب كذا وكذا حِمْلَ جَمَلٍ؛ فهذا إذا صح عمن نُقِل عنه كعلي وغيره، ولم يكن فيه دلالة على الباطن المخالف للظاهر، بل يكون هذا من الباطن الصحيح الموافق للظاهر الصحيح، وقد تقدم أن الباطن إذا أريد به ما لا يخالف الظاهر المعلوم فقد يكون حقًّا، وقد يكون باطلًا... انتهى[٢].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: «وتفسير على الإشارة والقياس»، وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم، وهذا لا بأس به بأربعة شرائط:

١- أن لا يناقض معنى الآية.

٢- وأن يكون معنى صحيحًا في نفسه.

٣- وأن يكون في اللفظ إشعار به.

٤- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا[٣].

وقال الإمام الشاطبي: وكون الباطن هو المراد من الخطاب؛ ظهر أيضًا مما تقدم في المسألة قبلها ولكن يشترط فيه شرطان:

أحدهما: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب ويجري على المقاصد العربية.

---

(١) مَلئتُ.

(٢) (مجموع الفتاوى).

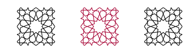
(٣) (التبيان في أيمان القرآن).

والثاني: أن يكون له شاهد نصًا أو ظاهرًا في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض.

فأما الأول: فظاهر من قاعدة كون القرآن عربيًا، فإنه لو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب؛ لم يوصف بكونه عربيًّا بإطلاق، ولأنه مفهوم يلصق بالقرآن ليس في ألفاظه ولا في معانيه ما يدل عليه، وما كان كذلك؛ فلا يصح أن ينسب إليه أصلًا، إذ ليست نسبته إليه على أن مدلوله؛ أولى من نسبة ضده إليه، ولا مرجح يدل على أحدهما، فإثبات أحدهما تحكُّم وتقوُّل على القرآن ظاهر، وعند ذلك يدخل قائله تحت إثم من قال في كتاب الله بغير علم.. وأما الثاني: فلأنه إن لم يكن له شاهد في محل آخر أو كان له معارض؛ صار من جملة الدعاوي التي تُدَّعى على القرآن، والدعوى المجردة غير مقبولة باتفاق العلماء[(١)].

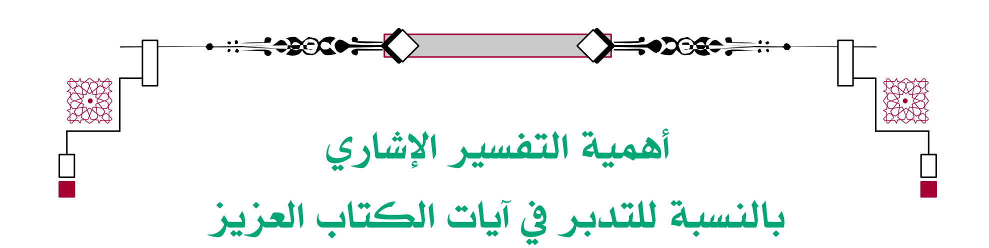
وقال أيضًا بعد نقله كلام سهل التستري عند قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: ...ولكن له وجه جار على الصحة، وذلك أنه لم يقل إن هذا هو تفسير الآية، ولكن أتى بما هو نِدٌّ في الاعتبار الشرعي الذي شهد له القرآن... انتهى[(٢)].

قلت: هذا النص السابق للشاطبي نقلته كاملًا في قسم التفسير الإشاري الصحيح لمن أراد الرجوع إليه.



(١) (الموافقات) للشاطبي.

(٢) المرجع السابق.



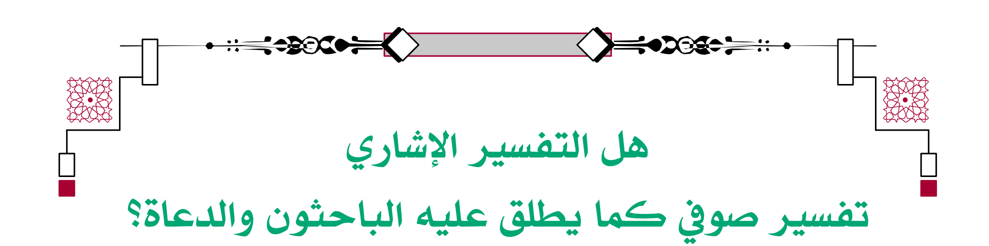
أهمية التفسير الإشاري بالنسبة للتدبر في آيات الكتاب العزيز

لا شك أن ما يسمى التفسير الإشاري الصحيح والمقبول قد رفد التدبر في القرآن برافدٍ قوي لا يُنكَر تأثيره في تدبر آيات الكتاب العزيز، لكن حتى يصفو هذا الرافد مما كدره من مخالفات لا بد من ثلاثة أشياء:

الأول: لا بد لمن يستعمل هذا التفسير أن يكون من المتقنين لعلوم القرآن من اللغة العربية وغيرها، وللشروط والقواعد التي ذكرها علماء السنة لضبط هذا التفسير.

الثاني: تصفية وتنقيح التفاسير والكتب التي تخللها التفسير الإشاري الباطل.

الثالث: بعد معرفة وإتقان ما تقدم من علوم وشروط؛ لا بد من صفاء القلب وسلامته؛ وذلك بصحة التوحيد أولًا والبعد عن المعاصي والذنوب ثانيًا.



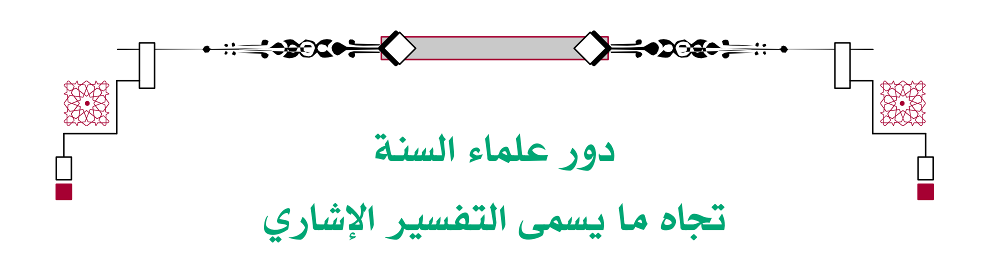
هل التفسير الإشاري
تفسير صوفي كما يطلق عليه الباحثون والدعاة؟

قد مر معنا سابقًا في الأمثلة التي ذكرناها في القسم الأول الصحيح من التفسير الإشاري أن بعض السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم من بعض علماء السنة قد نُقِل عنهم أمثلة مما سمي التفسير الإشاري فيما بعد، أي أن ما يسمى التفسير الإشاري له أصل عند السلف الصالح، لكن التصاق هذا التفسير بالمتصوفة -فيما أظن- لأسباب:

الأول: أن الصوفية أول من أطلق عليه هذا الاسم ثم انتشر عنهم والله أعلم.

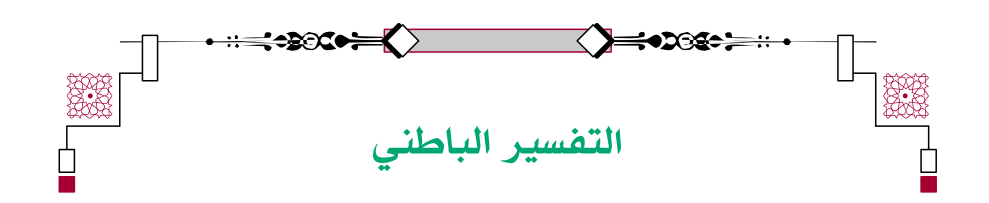
الثاني: لأن الصوفية أكثر من تكلم وتوسع فيه في تفاسيرهم.

الثالث: لانهم أكثر الفرق المنسوبة لأهل السنة ممن شذ وانحرف فيه، خاصة من قِبَل غلاتهم، وقد مر معنا كما سبق بعض أمثلة على ذلك، وسيأتي أمثلة أخرى عند الكلام عن التفسير الباطني قالها غلاتهم.



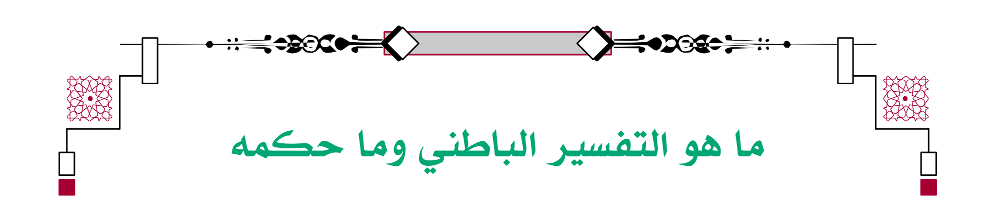
دور علماء السنة
تجاه ما يسمى التفسير الإشاري

بما أن هذا التفسير الإشاري انتشر قديمًا وحديثًا بين المسلمين وخاصة في العصر الحالي حيث أصبح له منابر على ما يسمى مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها، ويستخدمه المفسرون والوعاظ من أهل السنة والجماعة، وأيضًا المتصوفة وغيرهم من غير أهل السنة والجماعة؛ كان لزامًا على علماء أهل السنة والجماعة أن تكون لهم جهود منظمة لتنقيح هذا الباب من التفسير وتصفيته مما عَلِقَ به من شوائب وانحرافات تنشر بين المسلمين من العامَّة والخاصة على أنها لطائف ونِكَات واستنباطات، خاصة أن عددًا من العلماء المتقدمين المحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية على وجه الخصوص وتلميذه ابن القيم والإمام الشاطبي وغيرهم؛ قد وضعوا فيه مقدمات وقواعد متينة لعَلِّي وضحتها في الصفحات السابقة، يمكن أن يهتدي بها من بعدهم من أهل السنة لتصفية هذا الباب وإخراجه للمسلمين معينًا عذبًا زُلالًا.



التفسير الباطني

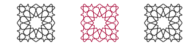
كنت قد ذكرت فيما سبق في أقسام ما ينسب إلى التفسير الإشاري؛ أن القسم الثاني المردود منه لمخالفته لظاهر النص القرآني؛ كثير من أصحابه لم يعتبروه بديلًا للمعنى الظاهر من النصوص بخلاف التفسير الباطني الباطل الذي نتكلم عنه هنا، والذي يعتبره أصحابه بديلًا للمعنى الظاهر وأنه هو المعنى المراد والمقصود دون المعنى الظاهر، ولكنني لن أطيل هنا في الكلام على هذا التفسير كما أطلت في التفسير الإشاري؛ وذلك لأن هذا التفسير ليس من موضوع كتابنا أولًا، ولأنه يشبه القسم الثاني من المردود في التفسير الإشاري من وجه مخالفته لظاهر النص القرآني ثانيًا، لذلك كان لا بد من ذكره للتحذير منه كي لا يغتر به أحد فيظن أنه من أقسام التفسير الإشاري أو ملحق به، وخاصة إذا عرفنا أن من قال بهذا التفسير هي الفرق الضالة من الشيعة والقرامطة والإسماعيلية والنصيرية وغيرهم ومن شابههم من غلاة التصوف كابن عربي وغيره.

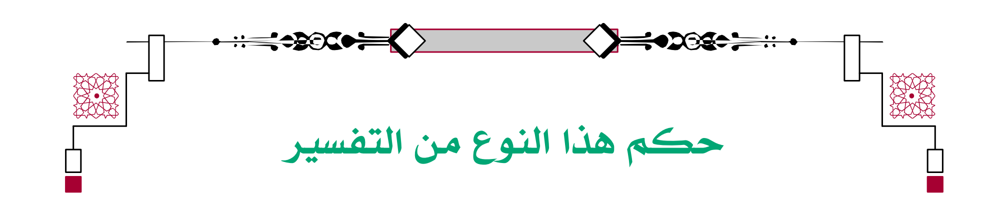


ما هو التفسير الباطني وما حكمه

هو تفسير القرآن الكريم على معانٍ مخالفة لظاهر القرآن الكريم، مما يجافي معاني الكلمات والجمل في القرآن الكريم، دون دليل أو شبهة من دليل، وهذا نجده ظاهر في تفاسير الباطنية الذين رفضوا الأخذ بظاهر القرآن، وقالوا: للقرآن ظاهر وباطن، والمراد منه: باطنه دون ظاهره.

ومن أمثلة ضلالهم: تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: بأن المراد بالصلاة هي العهد المألوف، وسمي صلاة لأنها صلة بين المستجيبين وبين الإمام! وتأويل الصيام بأنه الإمساك عن كشف السر!





حكم هذا النوع من التفسير

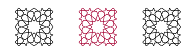
هو تفسير باطل وإثم، بل فيه الخروج عن الإسلام لمن اعتقد ذلك، معاذ الله، ويستدل لبطلانه بالوجوه التالية:

١- أنه تفسير يقوم على عقيدة التحلل من التكاليف الشرعية والرفض للشرائع والأحكام من حيث الحقيقة والواقع، وفي هذا نقض بناء الشريعة وحَلُّ عُرَى الإسلام.

٢- أنه غريبٌ عن معاني الكلمات والجمل في اللغة العربية، وفي ذلك مخالفة صريحة لقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: الآية ٢].

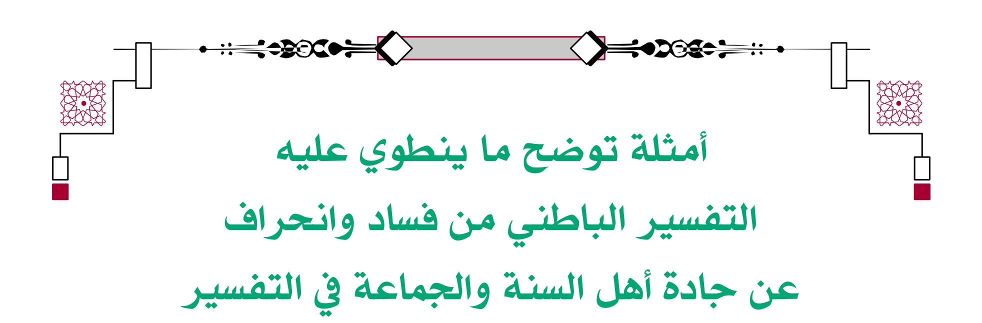
٣- أنه يجعل القرآن ملهاة، يفسره كل مفسر بما شاء له ضلاله وهواه.

٤- أنه يفك عقد المسلمين ويفرق جماعتهم، من جراء فقدان ضوابط تفسير القرآن الكريم[(١)].



---

(١) (الواضح في علوم القرآن)، مصطفى ديب البغا، ومحيي الدين ديب مستو.



أمثلة توضح ما ينطوي عليه التفسير الباطني من فساد وانحراف عن جادة أهل السنة والجماعة في التفسير

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم؛ فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الإسماعيلية والنصيرية وأمثالهم ممن وافقهم من الفلاسفة وغلاة المتصوفة والمتكلمين -وشر هؤلاء القرامطة-، فإنهم يدعون أن للقرآن والإسلام باطنًا يخالف الظاهر فيقولون: الصلاة المأمور بها ليست هذه الصلاة، أو هذه الصلاة إنما يؤمر بها العامة، وأما الخاصة فالصلاة في حقهم معرفة أسرارنا، والصيام: كتمان أسرارنا، والحج: السفر إلى زيارة شيوخنا المقدسين، ويقولون: إن الجنة للخاصة: هي التمتع في الدنيا باللذات، والنار: هي التزام الشرائع والدخول تحت أثقالها، ويقولون: إن الدابة التي يخرجها الله للناس هي: العالم الناطق بالعلم في كل وقت، وإن إسرافيل الذي ينفخ في الصور هو: العالم الذي ينفخ بعلمه في القلوب حتى تحيا، وجبريل هو: العقل الفعال الذي تفيض عنه الموجودات، والقلم: هو العقل الأول الذي تزعم الفلاسفة أنه المبدع الأول، وأن الكواكب والقمر والشمس التي رآها إبراهيم هي: النفس والعقل وواجب الوجود، وأن الأنهار الأربعة التي رآها النبي ﷺ ليلة المعراج هي: العناصر الأربعة، وأن الأنبياء التي رآها في السماء هي: الكواكب، فآدم هو القمر، ويوسف هو الزهرة، وإدريس هو الشمس، وأمثال هذه

الأمور، وقد دخل في كثير من أقوال هؤلاء كثير من المتكلمين والمتصوفين... وهؤلاء الباطنية قد يفسرون ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أنه علي رضي الله عنه، ويفسرون قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾: بأنهما أبو بكر وعمر، وقوله: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾: أنهم طلحة والزبير، ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾: بأنها بنو أمية.. وأما باطنية الصوفية فيقولون في قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾: إنه القلب ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾: إنها النفس، ويقول أولئك: هي عائشة، ويفسرون هم والفلاسفة تكليم موسى بما يفيض عليه من العقل الفعال أو غيره... وباطنية الفلاسفة يفسرون الملائكة والشياطين؛ بقوى النفس[(١)].

وقال أيضًا: وفتح لهم - أي الباطنية - هذا الباب؛ الجهمية والرافضة؛ حيث صار بعضهم يقول: الإمام المبين: علي بن أبي طالب، والشجرة الملعونة في القرآن: بنو أمية، والبقرة المأمور بذبحها: عائشة، واللؤلؤ والمرجان: الحسن والحسين. انتهى[(٢)].

وقال أيضًا: ناقلًا عن ابن عربي في كتابه (الفصوص) وغيره؛ عددًا من النصوص تظهر تحريفه للنصوص القرآنية من خلال تفسيره الباطني حيث قال: كقول صاحب الفصوص في فص نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾: فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهو الحيرة، ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾: في عين الماء في المحمدتين، فـ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾: سجرت التنور: إذا أوقدته، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾: فكان الله عين أنصارهم، فهلكوا فيه إلى الأبد، فلو أخرجتهم إلى السيف سيف الطبيعة، لنزلوا عن

(١) (مجموع الفتاوى).

(٢) المرجع السابق.

هذه الدرجة الرفيعة، وإن كان الكل لله، وبالله بل هو الله، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾: الذين استغشوا ثيابهم وجعلوا أصابعهم في آذانهم، طلبًا للستر لأنه دعاهم ليغفر لهم، والغفر؛ الستر، ﴿دَيَّارًا﴾: أحدًا، حتى تعم المنفعة كما عمت الدعوة، ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ﴾: أي: تدعهم وتتركهم، ﴿يُضِلُّواْ عِبَادَكَ﴾: أي: يحيروهم ويخرجوهم من العبودية إلى ما فيهم من أسرار الربوبية فينظروا أنفسهم أربابًا، بعدما كانوا عند أنفسهم عبيدًا، فهم العبيد الأرباب، ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ﴾: أي ما ينتجون ولا يظهرون، ﴿إِلَّا فَاجِرًا﴾: أي مظهرًا ما ستر، ﴿كَفَّارًا﴾ أي: ساترًا ما ظهر بعد ظهوره، فيظهرون ما ستر، ثم يسترونه بعد ظهوره، فيحار الناظر، ولا يعرف قصد الفاجر في فجوره، ولا الكافر في كفره، والشخص واحد، ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾: أي: استرني، واستر مراحلي، فيجهل مقامي وقدري كما جهل قدرك في قولك: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾، ﴿وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ أي: من كنت نتيجة عنهما وهما العقل والطبيعة، ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ أي: قلبي، ﴿مُؤْمِنًا﴾: مصدقًا بما يكون فيه من الأخبار الإلهية وهو ما حدثت به أنفسها، ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾: من العقول، ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾: من النفوس، ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: من الظلمات أهل الغيب المكتنفين داخل الحجب الظلمانية، ﴿إِلَّا تَبَارًۢا﴾ أي: هلاكًا؛ فلا يعرفون نفوسهم، لشهودهم وجه الحق دونهم.

وهذا كله من أقبح تبديل كلام الله وتحريفه، ولقد ذم الله أهل الكتاب في القرآن على ما هو دون هذا، فإنه ذمهم على أنهم حرفوا الكلم عن مواضعه، وأنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون: هو من عند الله، وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون.

وهؤلاء قد حرفوا كلام الله عن مواضعه أقبح تحريف، وكتبوا كتب

النفاق والإلحاد بأيديهم، وزعموا أنها من عند الله[١].

قلت: ونقل شيخ الإسلام غيرها من نصوص ابن عربي وغيره كدليل على تحريفهم القرآن باسم التفسير الباطني، لكن أقتصر فقط على ما تقدم مما جاء عن طريق شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقال حسين الذهبي؛ عن ابن عربي الصوفي: فنراه يطبق كثيرًا من الآيات القرآنية على نظرياته الصوفية الفلسفية، فمثلًا يفسر بعض الآيات بما يتفق والنظريات الفلسفية الكونية، فعند قوله تعالى في الآية (٥٧) من سورة مريم في شأن إدريس عليه السلام: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ نجده يقول: (وأعلى الأمكنة المكان الذي تدور عليه رحى عالم الأفلاك، وهو فلك الشمس، وفيه مقام روحانية إدريس وتحته سبعة أفلاك وفوقه سبعة أفلاك، وفوقه سبعة أفلاك وهو الخامس عشر)[٢].

وقال أيضًا: قال ابن عربي عند قوله تعالى في الآية (٨٧) وما بعدها من سورة البقرة ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ﴾ إلى قوله: ﴿كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يقول: (... والظاهر أن جبرائيل هو العقل الفعال، وميكائيل هو روح الفلك السادس وعقله المفيض للنفس النباتية الكلية الموكلة بأرزاق العباد، وإسرافيل هو روح الفلك السابع الموكل بالأرواح الإنسانية كلها...)[٣].

وقال أيضًا: كذلك نرى ابن عربي يتأثر في تفسيره للقرآن بنظرية وحدة الوجود، التي هي أهم النظريات التي بنى عليها تصوفه، فنراه في كثير من

---

(١) (مجموع الفتاوى).

(٢) كتاب (الفصوص) لابن عربي، نقلًا عن كتاب (التفسير والمفسرون) لحسين الذهبي.

(٣) (تفسير ابن عربي)، نقلًا عن (التفسير والمفسرون) لحسين الذهبي.

الأحيان يشرح الآيات على وفق هذه النظرية، حتى إنه ليخرج بالآية من مدلولها الذي أراده الله تعالى، فمثلًا في تفسيره لقوله تعالى في الآيتين (٢٩، ٣٠) من سورة الفجر: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۞ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۞﴾ يقول: (وادخلي جنتي التي هي ستري، وليست جنتي سواك، فأنت تسترني بذاك الإنسانية فلا أعرف إلا بك، كما أنك لا تكون إلا بي، فمن عرفك عرفني، وأنا لا أعرف فأنت لا تعرف، فإذا دخلت جنته دخلت نفسك فتعرف نفسك معرفة أخرى، غير المعرفة التي عرفتها حين عرفت ربك بمعرفتك إياها، فتكون صاحب معرفتين: معرفة به من حيث أنت، ومعرفة به بك من حيث هو لا من حيث أنت، فأنت عبد رأيت ربًا، وأنت رب لمن له فيه أنت عبد، وأنت رب وأنت عبد لمن في الخطاب عهد[١].

قلت: ونصوص ابن عربي غير ما ذكر كثيرة يحرف فيها آيات الكتاب العزيز ليثبت عقيدته الفاسدة في الحلول والاتحاد، وأن الله حَالٌّ ومتَّحدٌ بالعبد والعياذ بالله، وهذا كما في كتبه كـ (الفتوحات المكية)، وكتاب (الفصوص).

وقال أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي: عند قوله تعالى عن صفة البقرة ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾: معناه: لا يصلح لكرامتي وإظهار ولايتي عليه؛ إلا من لم يذلل نفسه بالسكون إلى شيء من الأكوان، ولم يسْعَ في طلب الحوادث بحال مسلمة من منون عوارض الخلاف[٢].

وقال أيضًا: عند قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا﴾: ما نقلتك من

(١) (الفصوص) لابن عربي، نقلًا عن (التفسير والمفسرون) لحسين الذهبي.

(٢) (حقائق التفسير) لأبي عبدالرحمن السلمي.

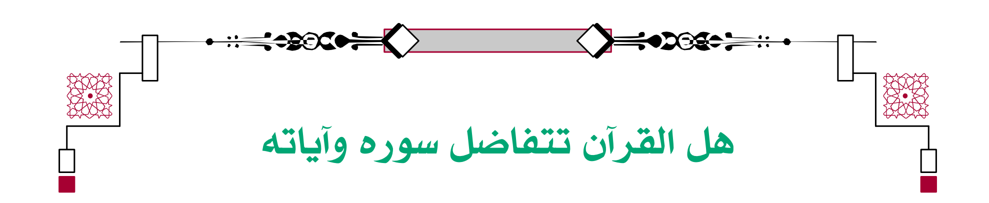
حالة إلا أوصلناك إلى مقام أشرف منها وأعلى؛ إلى أن تنتهي بك الأحوال إلى عمل الندامى والخطاب من غير واسطة[١].

قلت: والأمثلة على التفسير الباطني كثيرة ولكن أظن فيما تقدم كفاية للتحذير من هذا التفسير الباطل الخطير، الذي من شأنه هدم تعاليم القرآن الكريم والتلاعب بأحكامه، فيفضي ذلك إلى هدم شريعة الإسلام جملة وتفصيلًا، ومن أراد التوسع في معرفة هذا التفسير ومن قال به من الفرق الباطنية وغلاة التصوف؛ فليرجع إلى كتب مناهج المفسرين وكتب العقائد والفرق التي تكلمت عن الفرق الباطنية القديمة منها كالقرامطة والإسماعيلية والنصيرية وغيرهم، أو الفرق التي ظهرت متأخرًا كالبهائية أو البابية والقاديانية.

وقبل الشروع في الكلام عن فضل سورة الفاتحة وما تحتوي عليه من لطائف ونِكَات، كان لا بد من الإجابة عن مسألة اختلف فيها العلماء، ألا وهي:

---

(١) (حقائق التفسير) لأبي عبدالرحمن السلمي.



هل القرآن تتفاضل سوره وآياته

اختلف العلماء في هذه المسألة، فقال فريق منهم: أنها لا تتفاضل وأن كلام الله كله أحسن الكلام لا تفاضل بينه، ورَدُّوا على الأحاديث التي أثبتت التفاضل مثل تفضيل سورة الفاتحة والإخلاص وآية الكرسي؛ أن المقصود تفاضل الأجر والثواب..

وقال الفريق الثاني: أن كلام الله كله أحسن الكلام لكنه يتفاضل، واستدلوا بالأحاديث التي أثبتت التفاضل، وقالوا إن الكلام يشرف لسببين:

الأول: شرف المتكلم وهو الله سبحانه.

والثاني: شرف ما تكلم به وهو موضوع كل سورة أو آية، فهل السورة أو الآية التي تتكلم عن التوحيد وصفات الله سبحانه؛ مثل الآية التي تتكلم عن الربا والسرقة وغيرها؟!

فالفريق الأول نظر فقط إلى شرف القائل ولم ينظر إلى شرف ما قيل؛ فأخطأ فرَدَّ التفاضل..

وأختصر الخلاف في المسألة بكلام دقيق لشيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: فهذه المسألة مبنية على أصل: وهو أن القرآن هل يتفاضل في نفسه فيكون بعضه أفضل من بعض؟ وهذا فيه للمتأخرين قولان مشهوران منهم من قال: لا يتفاضل في نفسه، لأنه كله كلام الله وكلام الله صفة له، قالوا: وصفة الله لا تتفاضل، لا سيما مع القول بأنه قديم فإن القديم لا يتفاضل،

كذلك قال هؤلاء في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]: قالوا: «فخير» إنما يعود إلى غير الآية مثل نفع العباد وثوابهم.

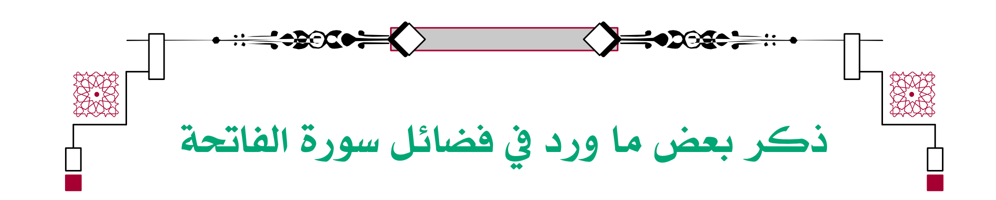
والقول الثاني: أن بعض القرآن أفضل من بعض، وهذا قول الأكثرين من الخلف والسلف، فإن النبي ﷺ قال في الفاتحة: أنه لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا الزبور ولا القرآن مثلها، فنفى أن يكون لها مِثْلٌ، فكيف يجوز أن يقال إنه متماثل! وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال لأبي بن كعب: يا أبا المنذر، أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فضرب بيده في صدره وقال له: ليهنك العلم أبا المنذر، فقد بين أن هذه الآية أعظم آية في القرآن، وهذا بين أن بعض الآيات أعظم من بعض، وأيضًا فإن القرآن كلام الله والكلام يشرف بالمتكلم به سواء كان خبرًا أو أمرًا، فالخبر يشرف بشرف المُخبِرِ وبشرف المُخْبَرِ عنه، والأمر يشرف بشرف الآمر وبشرف المأمور به، فالقرآن وإن كان كله مشتركًا في أن الله تكلم به؛ لكنَّ منه ما أخبر الله به عن نفسه، ومنه ما أخبر به عن خلقه، ومنه ما أمرهم به؛ فمنه ما أمرهم فيه بالإيمان ونهاهم فيه عن الشرك، ومنه ما أمرهم به بكتابة الدَّيْن ونهاهم فيه عن الربا، ومعلوم أن ما أخبر به عن نفسه كـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾؛ أعظم مما أخبر به عن خلقه كـ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾، وما أمر فيه بالإيمان وما نهى فيه عن الشرك؛ أعظم مما أمر فيه بكتابة الدَّين ونهى فيه عن الربا، ولهذا كان كلام العبد مشتركًا بالنسبة إلى العبد وهو كلام لمتكلم واحد، ثم إنه يتفاضل بحسب المُتَكَّلم فيه، فكلام العبد الذي يذكر به ربه ويأمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر؛ أفضل من كلامه الذي يذكر فيه خلقه

ويأمر فيه بمباح أو محظور، وإنما غلط من قال بالأول؛ لأنه نظر إلى إحدى جهتي الكلام وهي جهة المتكلم به، وأعرض عن الجهة الأخرى وهي جهة المُتَكلَّم فيه، وكلاهما للكلام به تعلق يحصل به التفاضل والتماثل.

قالوا ومن أعاد التفاضل إلى مجرد كثرة الثواب أو قلته من غير أن يكون الكلام في نفسه أفضل؛ كان بمنزلة من جعل عملين متساويين وثواب أحدهما أضعاف ثواب الآخر، مع أن العملين في أنفسهما لم يختص أحدهما بمزية بل كدرهم ودرهم تصدَّق بها رجل واحد في وقت واحد ومكان واحد، على اثنين متساويين في الاستحقاق، ونيَّته بهما واحدة، ولم يتميز أحدهما على الآخر بفضيلة؛ فكيف يكون ثواب أحدهما أضعاف ثواب الآخر! بل تفاضل الثواب والعقاب؛ دليل على تفاضل الأعمال في الخير والشر، وهذا الكلام متصل بالكلام في اشتمال الأعمال على صفات بها كانت صالحةً حسنةً، وبها كانت فاسدة قبيحة[(١)].

---

(١) (مجموع الفتاوى).



ذكر بعض ما ورد في فضائل سورة الفاتحة

عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ**: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]». ثُمَّ قَالَ لِي: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ»، قَالَ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] **هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ**» ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ. فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: «**اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ**»؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ**: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ**: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ**: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ**: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٤).

قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[١].

خِدَاج: معناه ناقصة نقص فساد وبطلان، تقول العرب أخدجت الناقة إذا ألقت ولدها وهو دم لم يستبن خلقه[٢].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّفُ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الصُّبْحِ حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: هَلْ قَرَأَ بِأُمِّ الكِتَابِ؟»[٣].

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ**»[٤].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**أُمُّ القُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ**»[٥].

❁ ❁ ❁

---

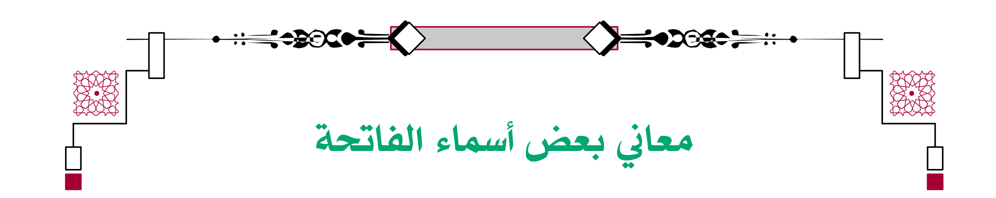
(١) أخرجه مسلم (٨٧٨).

(٢) كتاب (معالم السنن شرح سنن أبي داود) لحمد بن محمد الخطابي البستي (ت٣٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (١١٦٥).

(٤) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤).

(٥) أخرجه البخاري (٤٧٠٤).



معاني بعض أسماء الفاتحة

قال الإمام ابن كثير في تفسيره: قال البخاري في أول كتاب التفسير: وسميت أم الكتاب؛ لأنه يُبدَأ بكتابتها في المصاحف، ويُبدَأ بقراءتها في الصلاة.

وقيل: إنما سميت بذلك؛ لرجوع معاني القرآن كله إلى ما تضمَّنته.

قال ابن جرير: والعرب تسمي كل جامعِ أمرٍ أو مُقدَّم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع: (أمًّا)، فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ: أم الرأس، ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها: أمًّا.

ويقال لها أيضًا: الفاتحة، لأنها تُفتَتَح بها القراءة، وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الإمام، وصح تسميتها بالسبع المثاني، قالوا: لأنها تثنى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة، وإن كان للمثاني معنى آخر غير هذا[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما المعنى فهو أن الله قابلها بجميع القرآن فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧] وهذه حقيقة لا يدانيها غيرها فيها، قلت: هذا على قول من جعلها هي السبع المثاني وجعل القرآن العظيم جميع القرآن. قال: ولأنها تسمى أم القرآن وأم الشيء أصله ومادته، ولهذا سمى الله مكة أم القرى لشرفها عليهن، ولأنها السبع المثاني، ولأنها تشتمل على ما لا تشتمل عليه سورة من الثناء

---

(١) تفسير ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم).

والتحميد للرب تعالى والاستعانة به والاستعاذة والدعاء من العبد على ما قال النبي ﷺ: «**قُسِّمَتِ الصَّلَاةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي**» الحديث المشهور... ولأنها السبع المثاني، قال أهل التفسير: معنى ذلك أنها تثنى قراءتها في كل ركعة، قال بعضهم: ثني نزولها على النبي ﷺ قلت: وفيه أقوال أخر(١).

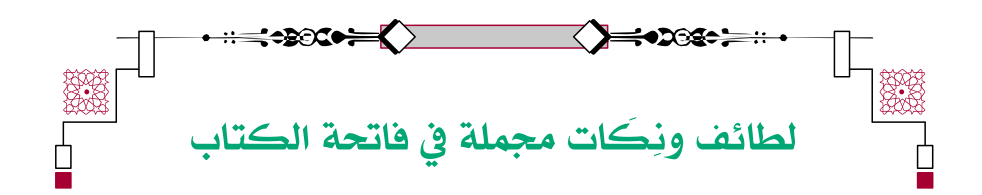
وقال فخر الدين الرازي: وهذه السورة مع كونها مختصرة، جامعة لمقامات الربوبية والعبودية، والمقصود من جميع التكاليف حصول هذه المعارف، ولهذا السبب جعل الله هذه السورة معادلة لكل القرآن في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧](٢).

◈ معنى الحمد:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: و(الحمد) هو: الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة لها، فلو أخبر مُخبِرٌ بمحاسن غيره من غير محبة لها؛ لم يكن حامدًا، ولو أحبها ولم يخبر بها؛ لم يكن حامدًا، والرب سبحانه وتعالى إذا حمد نفسه فذكر أسماءه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله الجميلة، وأحب نفسه المقدسة، فكان هو الحامد والمحمود، والمثني والمثنى عليه، والمُمَجِد والمُمَجَّد، والمُحِبُّ والمحبوب؛ كان هذا غاية الكمال، الذي لا يستحقه غيره ولا يوصف به إلا هو(٣).

---

(١) (مجموع الفتاوى).
(٢) (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير).
(٣) (مجموع الفتاوى).



لطائف ونِكات مجملة في فاتحة الكتاب

١ - المناسبة بين سورة الفاتحة وسورة البقرة:

قال أحمد بن إبراهيم أبو جعفر الثقفي الغرناطي: لما قال العبد بتوفيق ربه ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قيل له: ذلك الكتاب[١].

وقال بدر الدين الزركشي: إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ... وكافتتاح البقرة بقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ إشارة إلى ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب، وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة[٢].

قال سعيد حوَّى: انتبه إلى الصلة بين آخر فقرة في سورة الفاتحة؛ وبين أول آية في سورة البقرة، تبدأ الفقرة الأخيرة في سورة الفاتحة بقول الله تعالى معلِّمًا لنا: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، وتبدأ سورة البقرة بقول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، لاحظ الصلة بين ﴿ٱهْدِنَا﴾؛ وبين ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، فبعد أن علمنا الله تعالى أن نطلب الهداية منه إلى الصراط المستقيم؛ عرَّفنا على أن هذا القرآن هو محل الهدى، وهكذا نجد الصلة على أقواها بين خاتمة الفاتحة، وبداية سورة البقرة[٣].

---

(١) (البرهان في تناسب سور القرآن).

(٢) (البرهان في علوم القرآن).

(٣) كتاب (الأساس في التفسير).

وقال برهان الدين البقاعي: ولما ابتدأ سبحانه وتعالى «الفاتحة» لما مضى بذكر الذات ثم تعرف بالأفعال لأنها مشاهدات ثم رقى الخطاب إلى التعريف بالصفات، ثم أعلاه رجوعًا إلى الذات للتأهل للمعرفة؛ ابتدأ هذه السورة بصفة الكلام لأنها أعظم المعجزات وأبينها وأدلها على غيب الذات وأوقعها في النفوس لا سيما عند العرب، ثم تعرف بالأفعال فأكثر منها[١].

٢- اشتمال الفاتحة على مقاصد القرآن وأمهات المطالب:

قال الإمام ابن قيم الجوزية: اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتمَّ اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمُّن، فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارها عليها، وهي (الله، والرب، والرحمن)، وبنيت السورة على الإلهية والربوبية والرحمة، فـ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ مبني على الإلهية، و﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ على الربوبية، وطلب الهداية إلى صراطه المستقيم؛ بصفة الرحمة.

والحمد يتضمن الأمور الثلاثة، فهو المحمود في إلهيته، وربوبيته، ورحمته، والثناء والمجد كمالان لحمده، وتضمنت إثبات المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيِّئها، وتفرد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق، وكون حكمه بالعدل، وكل هذا تحت قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة: أحدها: كونه رب العالمين، فلا يليق به أنه يتركهم سدى مهملًا؛ لا يُعرِّفهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وما يضرهم فيهما[٢].

وقال أيضًا: فاتحة الكتاب التي لم ينزل في القرآن، ولا في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور؛ مثلها، المتضمنة لجميع معاني كتاب الله،

(١) (نظم الدر في تناسب الآيات والسور).

(٢) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

المشتملة على ذكر أصول أسماء الرب تعالى ومجامعها، وهي: (الله، والرب، والرحمن)، وإثبات المعاد، وذكر التوحيدين: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وذكر الافتقار إلى الرب سبحانه في طلب الإعانة وطلب الهداية، وتخصيصه سبحانه بذلك، وذكر أفضل الدعاء على الإطلاق وأنفعه وأفرضه، وما العباد أحوجُ شيءٍ إليه؛ وهو الهداية إلى صراطه المستقيم، المتضمن كمال معرفته وتوحيده، وعبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، والاستقامة عليه إلى الممات، وتتضمن ذكر أصناف الخلائق، وانقسامهم إلى مُنعَم عليه بمعرفة الحق والعمل به ومحبته وإيثاره، ومغضوب عليه بعدوله عن الحق بعد معرفته له، وضالٍّ بعدم معرفته له، وهؤلاء أقسام الخليقة، مع تضمنها لإثبات القدر، والشرع، والأسماء والصفات، والمعاد، والنبوات، وتزكية النفوس وإصلاح القلوب، وذكر عدل الله وإحسانه، والرد على جميع أهل البدع والباطل. وحقيقٌ بسورة هذا بعض شأنها؛ أن يُستَشفَى بها من الأدواء، ويُرقَى بها اللَّديغ[١].

وقال فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري الرازي: والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى، فقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يدل على الإلهيات، وقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ يدل على المعاد، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾: يدل على نفي الجبر والقدر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره، وقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾... يدل أيضًا على إثبات قضاء الله وقدره، وعلى النبوات[٢].

وقال محمد الطاهر بن عاشور: أنها تشتمل محتوياتها على أنواع مقاصد

(١) (زاد المعاد في هدي خير العباد).

(٢) (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير).

القرآن، وهي ثلاثة أنواع: الثناء على الله جامعًا لوصفه بجميع المحامد وتنزيهه من جميع النقائص، ولإثبات تفرده بالإلهية وإثبات البعث والجزاء؛ وذلك من قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾، والأوامر والنواهي من قوله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، والوعد والوعيد من قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾ إلى آخرها، فهذه هي أنواع مقاصد القرآن كله، وغيرها تكملات لها، لأن القصد من القرآن إبلاغ مقاصده الأصلية وهي صلاح الدارين... والفاتحة مشتملة على هاتِهِ الأنواع، فإن قوله ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ حمد وثناء، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ من نوع الأوامر والنواهي، وقوله ﴿صِرَٰطَ﴾ إلى آخرها من نوع الوعد والوعيد، مع أن ذكر المغضوب عليهم والضالين يشير أيضًا إلى نوع قصص القرآن[١].

٣- القرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، وهذا كله متضمن في الفاتحة.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: نقول قولًا كليًّا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إما: خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما: دعوة الله إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما: أمر ونهي، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه؛ فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما: خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما هو يكرمهم به في الآخرة؛ فهو جزاء توحيده، وإما: خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النّكال وما يحلُّ بهم في العقبى من العذاب؛ فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، فـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ توحيد، ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ توحيد، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ توحيد، ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ توحيد، ﴿إِيَّاكَ

(١) تفسير: (التحرير والتنوير).

﴿نَعْبُدُ﴾ توحيد، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توحيد، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد الذين أنعم الله عليهم ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد، ولذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت له به ملائكته، وأنبياؤه ورسله، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٨، ١٩][١].

٤- اشتمال الفاتحة على منهج حياة وأصول التزكية والتربية النفسيَّة:

قال إبراهيم القطان: هذه هي سورة الفاتحة، وقد تكفل نصفها الأول ببيان الحقيقة التي هي أساس هذا الوجود؛ تقرير ربوبية الله للعالمين ورحمته ورحمانيته وتفرده بالسلطان يوم الدين، وتكفل نصفها الثاني ببيان أساس الخطة العلمية في الحياة سواء في العبادات أو المعاملات، فالعبادة لله، والاستعانة به، والهداية منه بالتزام طريق الله، والبعد عن طريق الضالين المتَحَدِّين، هذا والمتتبع للقرآن جميعه، الواقف على مقاصده ومعارفه؛ يرى أنه جاء تفصيلًا لما أجملته هذه السورة الكريمة، بهذا كانت (فاتحة الكتاب)، و(أم القرآن)، و(السبع المثاني)[٢].

وقال برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: فقال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: ولما طلب أشرف طريق؛ سأل أحسن رفيق، فقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ولما كانت النعمة قد تخص الدنيوية؛ عَيَّنَها، واستعاذ من أولئك الذين شاهدهم في التيه سائرين وعن القصد عائرين جائرين أو حائرين، فقال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[٣].

وقال سعيد حوى: إذا كانت الفاتحة هي مقدمة القرآن؛ فقد تجمعت

---

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

(٢) تفسير القطان المسمى: (تيسير التفسير).

(٣) (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور).

فيها مقاصده ومعانيه، فالقرآن يدور حديثه حول العقائد والعبادات ومناهج الحياة... والقرآن دعوة إلى العقيدة أولًا، ثم إلى العبادة، ثم إلى مناهج الحياة، وقد تسلسلت المعاني في هذه السورة على هذا الترتيب... وأساس الطريق إلى الله: القدوة الحسنة المتمثلة في النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وقد أشارت السورة إلى ذلك، وأساس الانحراف: القدوة السيئة، وقد أشارت السورة إلى ذلك[١].

وقال فخر الدين محمد الرازي: فنقول: من قال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فقد شكر الله، واكتفى بالحاصل، فزالت شهوته، ومن عرف أنه ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ زال حرصه فيما لم يجد وبخله فيما وجد، فاندفعت عنه آفة الشهوة ولذاتها، ومن عرف أنه ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ بعد أن عرف أنه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ زال غضبه، ومن قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ زال كبره بالأول وعُجْبُه بالثاني، فاندفعت عنه آفة الغضب بولَدَيْها، فإذا قال ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ اندفع عنه شيطان الهوى، وإذا قال ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ زال منه كفره وشبهته، وإذا قال ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ اندفعت عنه بدعته[٢].

وقال محمد الطاهر بن عاشور: فإن النفس لا تكاد تنتفع بالعظات والنذر، ولا تشرق فيها الحكمة وصحة النظر؛ ما بقي يخالجها العناد والبهتان، وتخامر رشدَها نزغاتُ الشيطان، فلما أراد الله أن تكون هذه السورة أولى سور الكتاب المجيد بتوقيف النبي ﷺ كما تقدم آنفًا؛ نَبَّه الله تعالى قُرَّاء كتابه وفاتحي مصحفه إلى أصول هذه التزكية النفسية، بما لقنهم أن يبتدؤوا بالمناجاة التي تضمنتها سورة الفاتحة من قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إلى آخر السورة، فإنها تضمنت أصولًا عظيمة:

أولها: التخلية عن التعطيل والشرك، بما تضمنه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

---

(١) (الأساس في التفسير) سعيد حوَّى.

(٢) (مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير).

الثاني: التخلي عن خواطر الاستغناء عنه بالتبري من الحول والقوة تجاه عظمته، بما تضمنه ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

الثالث: الرغبة في التحلي بالرشد والاهتداء، بما تضمنه ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

الرابع: الرغبة في التحلي بالأسوة الحسنة، بما تضمنه ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾.

الخامس: التَّهمُّم[1] بالسلامة من الضلال الصريح، بما تضمنه ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾.

السادس: التَّهمُّم بسلامة تفكيرهم من الاختلاط بشبهات الباطل المموه بصورة الحق وهو المسمى بالضلال، لأن الضلال خطأ الطريق المقصود، بما تضمنه ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

وأنت إذا افتقدت أصول نجاح المرشد في إرشاده والمسترشد في تلقيه على كثرتها وتفاريعها؛ وجدتها عاكفة حول هذه الأركان الستة، فكن في استقصائها لبيبًا[2].

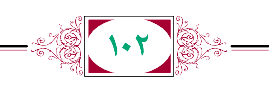
٥- اشتمال أسلوب الفاتحة على أصول وقواعد المقدمات وهذا من براعة الاستهلال.

قال السيوطي: العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان؛ أربعة: علم الأصول، ومداره على معرفة الله وصفاته، وإليه الإشارة

(١) تهمَّمَ الشيء: تحسَّسَه، وطلبه، وتفحَّصه بدقة.. وتهَمَّم رأسه: فلَّاه.. (معجم المعاني الجامع).

قلت: معنى التهمُّم هنا: أي: عليك التحسس والتفحص والمعرفة بدقة لمنهج المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى؛ لتسلمَ من الوقوع فيما وقعوا فيه وتحذَرَه وتُحذِّر منه..

(٢) تفسير: (التحرير والتنوير).



بـ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ومعرفة النبوات وإليه الإشارة بـ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، ومعرفة المعاد وإليه الإشارة بـ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾، وعلم العبادات وإليه الإشارة بـ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، وعلم السلوك وهو عمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية، وإليه الإشارة بـ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، وعلم القَصَص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾، فنَبَّه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن، وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال، مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة[1].

وقال محمد الطاهر بن عاشور: وقد رسم أسلوب الفاتحة للمنشئين ثلاث قواعد للمقدمة:

القاعدة الأولى: إيجاز المقدمة، لئلا تَملَّ نفوس السامعين بطول انتظار المقصود، وهو ظاهر في الفاتحة، وليكون سنة للخطباء فلا يطيلوا المقدمة كي لا ينسبوا إلى العِيِّ، فإنه بمقدار ما تطال المقدمة؛ يقصر الغرض، ومن هذا يظهر وجه وضعها قبل السور الطوال مع أنها سورة قصيرة.

الثانية: أن تشير إلى الغرض المقصود، وهو ما يسمى براعة الاستهلال، لأن ذلك يهيئ السامعين لسماع تفصيل ما سيرد عليهم، فيتأهبوا لتلَقِّيه إن كانوا من أهل التلقي فحسب، أو لنقده وإكماله إن كانوا في تلك الدرجة، ولأن ذلك يدل على تمكن الخطيب من الغرض وثقته بسداد رأيه فيه، بحيث ينَبِّه السامعين لوعيه، وفيه سنة للخطباء ليحيطوا بأغراض كلامهم، وقد تقدم بيان اشتمال الفاتحة على هذا عند الكلام على وجه تسميتها أُمَّ القرآن.

---

(١) (الإتقان في علوم القرآن).

(٢) تفسير: (التحرير والتنوير).

الثالثة: أن تكون المقدمة من جوامع الكلم، وقد بين ذلك علماء البيان عند ذكرهم المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها.

الرابعة: أن تُفتَتَح بحمد الله[(١)].

قلت: ذكر الشيخ أنها ثلاث قواعد، لكنه لما عدَّها؛ عدَّها أربعًا.

٦- تنبيه العباد في الفاتحة لأهمية العناية بمعرفة صفة الألوهية، والربوبية، والملك.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: فذكر في أول السورة التي هي أول المصحف: الألوهية، والربوبية، والملك، كما ذكر في آخر سورة من المصحف: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾، فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن، ثم ذكرها مجموعة في موضع واحد في آخر القرآن... فينبغي لمن نصح نفسه؛ أن يعتني بهذا الموضوع ويبذل جهده في البحث عنه، ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما في أول القرآن ثم في آخره؛ إلا لِمَا يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتها... إذا عرفت أن معنى الله هو الإله، وعرفت أن الإله هو المعبود، ثم دعوت الله أو ذبحت له أو نذرت له؛ فقد عرفت أنه الله، فإن دعوت مخلوقًا طيبًا أو خبيثًا أو ذبحت له أو نذرت له؛ فقد زعمت أنه هو الله. انتهى[(٢)].

قلت: هذه لفتة جميلة دقيقة من الإمام، لأن المسلم إذا تعرف على صفة الألوهية حق المعرفة؛ علم أنه ليس له معبود يعبده إلا الله سبحانه، وإذا تعرف على صفة الربوبية حق المعرفة؛ علم أنه ليس له إلا رب واحد يعينه ويرزقه ويوفِّقه، وإذا تعرف على صفة الملك حق المعرفة؛ علم أن الله هو

(١) (تفسير سورة الفاتحة)، للإمام محمد بن عبد الوهاب.
(٢) تفسير: (البحر المحيط).

المالك لهذا الكون بمن فيه، المتصرف فيه كما يشاء، فهذا يُورِث المسلم؛ التسليم التام لصاحب هذا الكون سبحانه والمتصرف فيه، ويعطيه قوة في إيمانه وطمأنينة في قلبه، إلى غير ذلك.

٧- التناسق، والجمال، والبلاغة، والفصاحة؛ من خلال ترتيب آيات الفاتحة.

قال محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: والترتيب القرآني جاء في غاية الفصاحة، لأنه تعالى وصف نفسه بصفة الربوبية وصفة الرحمة، ثم ذكر شيئين: أحدهما: ملكه يوم الجزاء، والثاني: العبادة، فناسب الربوبية للملك، والرحمة للعبادة، فكان الأول للأول والثاني للثاني[١].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: فأول السورة رحمة، وأوسطها هداية، وآخرها نعمة، وحظ العبد من النعمة على قدر حظه من الهداية، وحظه منها على قدر حظه من الرحمة، فعاد الأمر كله إلى نعمته ورحمته، والنعمة والرحمة من لوازم ربوبيته؛ فلا يكون إلا رحيمًا مُنعِمًا، وذلك من موجبات إلهيته، فهو الإله الحق وإن جحده الجاحدون وعَدَل به المشركون، فمن تحقق بمعاني الفاتحة علمًا ومعرفةً وعملًا وحالًا؛ فقد فاز من كماله بأوفر نصيب، وصارت عبوديته عبودية الخاصة الذين ارتفعت درجتهم عن عوام المتعبدين، والله المستعان[٢].

وقال فخر الدين محمد الرازي: الفائدة الرابعة: أنه تعالى ذكر في هذه السورة من أسماء نفسه خمسة: الله، والرب، والرحمن، والرحيم، والمالك، والسبب فيه كأنه يقول: خلقتك أولًا؛ فأنا إله، ثم ربَّيتك بوجوه النعم؛ فأنا رب، ثم عصيتَ فسترتُ عليك؛ فأنا رحمن، ثم تبتَ فغفرتُ لك؛ فأنا رحيم، ثم لا بد من إيصال الجزاء إليك؛ فأنا مالك يوم الدين[٣].

---

(١) كتاب: (الفوائد).

(٢) (مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير).

(٣) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

وقال الألوسي: كأنه قيل له: اذكر أني إله ورب مرة واحدة، واذكر أني رحمن رحيم مرتين، لتعلم أن العناية بالرحمة أكثر منها بسائر الأمور، ثم لما بيَّن الرحمة المضاعفة؛ فكأنه قال: لا تغتروا بذلك؛ فإني مالك يوم الدين، ونظيره قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾[١].

وقال محمد الطاهر بن عاشور: بعد قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، تهيأ لأصحاب هذه المناجاة أن يسعوا إلى طلب حظوظهم الشريفة من الهداية بعد أن حمدوا الله ووصفوه بصفات الجلالة، ثم أتبعوا ذلك بقولهم: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ الذي هو واسطة جامع بين تمجيد الله تعالى وبين إظهار العبودية، وهي حظ العبد بأنه عابد ومستعين، وأنه قاصر ذلك على الله تعالى، فكان ذلك واسطة بين الثناء وبين الطلب، حتى إذا ظنوا بربهم الإقبال عليهم ورجوا من فضله؛ أفضوا إلى سؤال حظهم، فقالوا ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، فهو حظ الطالبين خاصة لما ينفعهم في عاجلهم وآجلهم، فهذا هو التوجه المناسب لكون الفاتحة بمنزلة الديباجة للكتاب الذي أُنزِل هدى للناس ورحمة[٢].

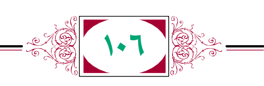
وقال أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري: أنه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام؛ تعلَّق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل: (إياك) يا من هذه صفاته، فخُصَّ بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه؛ ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له؛ لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به، انتهى[٣].

---

(١) تفسير: (التحرير والتنوير).

(٢) تفسير الزمخشري: (الكشاف).

(٣) كتاب: (التصوير الفني في القرآن).



وقد شرح كلام الزمخشري السابق سيد قطب في كتابه (التصوير الفني في القرآن) فقال: وكقوله (أي: الزمخشري) من تفسير سورة الفاتحة: إن العبد إذا افتتح حمد مولاه الحقيق بالحمد عن قلب حاضر ونفسٍ ذاكرة لما هو فيه بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الدال على اختصاصه بالحمد وأنه حقيق به؛ وجد من نفسه لا محالة مُحَرِّكًا للإقبال عليه، فإذا انتقل على نحو الافتتاح إلى قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الدال على أنه مالك للعالمين، لا يخرج منهم شيء عن ملكوته وربوبيته؛ قَوِيَ ذلك المُحرِّك، ثم إذا انتقل إلى قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الدال على أنه منعم بأنواع النعم جلائلها ودقائقها؛ تضاعفت قوة ذلك المُحرِّك، ثم إذا انتقل إلى خاتمة هذه الصفات العظام وهي قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ الدال على أنه مالكُ للأمر كله يوم الجزاء؛ تناهت قوته وأوجب الإقبال عليه، وخطابه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[1].

٨- اشتملت الفاتحة على كمال الإرادة والقدرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فالفاتحة اشتملت على الكمال في الإرادة؛ وهو الرحمة، وعلى الكمال في القدرة؛ وهو ملك يوم الدين[2].

٩- اشتمال الفاتحة على نوعي الذكر ونوعي الدعاء.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: الذكر نوعان:

أحدهما: ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته، والثناء عليه بها، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى، وهذا أيضًا نوعان:

أحدهما: إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر، وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث نحو: (سبحان الله والحمد لله...).

---

(١) (مجموع الفتاوى).

(٢) (الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب).

النوع الثاني: الخبر عن الرب تبارك وتعالى بأحكام أسمائه وصفاته، نحو قولك: الله ﷻ يسمع أصوات عباده ويرى حركاتهم... وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى به على نفسه وبما أثنى به عليه رسول الله ﷺ... وهذا النوع أيضًا ثلاثة أنواع: حمد، وثناء، ومجد، فالحمد: الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى، مع محبته والرضا عنه، فلا يكون المحبُّ الساكت حامدًا، ولا المثني بلا محبة حامدًا، حتى تجتمع له المحبة والثناء، فإن كرر المحامد شيئًا بعد شيء كانت ثناء، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك؛ كان مجدًا.

وقد جمع الله لعبده الأنواع الثلاثة في أول سورة فاتحة الكتاب، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قال: مجدني عبدي.

والنوع الثاني: ذكر أمره ونهيه وأحكامه... انتهى[(١)].

قلت: الفاتحة اشتملت على ذكرين، أما الأول ففي ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هو إنشاء الذكر من الذاكر كما يقال: (سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر)، والنوع الثاني وهو: الإخبار عن الله، فهو في ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولفظ دعاء الله في القرآن يراد به دعاء العبادة، ودعاء المسألة، فدعاء العبادة يكون الله هو المراد به، فيكون الله هو المراد، ودعاء المسألة يكون المراد منه كما في قول المصلي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾. انتهى[(٢)].

---

(١) كتاب: (النبوات).

(٢) كتاب: (الفوائد).

قلت: الدعاء ينقسم إلى قسمين: دعاء مسألة: وهو سؤال الله تعالى ما ينفع الداعي أو كشف ما يضره، وهو في الفاتحة في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، ودعاء عبادة: وهو التعبد لله تعالى بالثناء عليه بأسمائه الحسنى، وهو في الفاتحة في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فهذه الآيات كلها دعاء عبادة، لأن فيها ثناء على الله سبحانه، وسميت دعاء عبادة لأن ثناءك على الله ﷻ بها مبطَّنٌ بطلب أن يرضى عنك سبحانه، وييسر لك في آخرتك ودنياك و... إلخ.

١٠- الفاتحة تحتوي على القوة العلمية النظرية، والقوة العملية الإرادية، وعلى أصول الأسماء الحسنى.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: للإنسان قوتان: قوة علمية نظرية، وقوة عملية إرادية، وسعادته التامة موقوفة على استكمال قوَّتَيْه العلمية والإرادية، واستكمال القوة العلمية إنما يكون بمعرفة فاطره وبارئه، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة الطريق التي توصل إليه ومعرفة آفاتها، ومعرفة نفسه ومعرفة عيوبها، فبهذه المعارف الخمسة يحصل كمال قوته العلمية، وأعلم الناس؛ أعرفهم بها وأفقههم فيها.

واستكمال القوة العملية الإرادية لا يحصل إلا بمراعاة حقوقه سبحانه على العبد، والقيام بها إخلاصًا وصدقًا ونصحًا وإحسانًا ومتابعةً وشهودًا لمِنَّته عليه وتقصيره هو في أداء حقه، فهو مستحي من مواجهته بتلك الخدمة لعلمه أنها دون ما يستحقه عليه ودونَ دونِ ذلك، وأنه لا سبيل له إلى استكمال هاتين القوتين إلا بمعونته، فهو مضطر إلى أن يهديه الصراط المستقيم الذي هدى إليه أولياءه وخاصته، وأن يجنبه الخروج عن ذلك الصراط، إما بفساد في قوته العلمية؛ فيقع في الضلال، وإما في قوته العملية؛ فيوجب له الغضب، فكمال الإنسان وسعادته لا تتم إلا بمجموع

هذه الأمور، وقد تضمنتها سورة الفاتحة وانتظمتها أكمل انتظام، فإن قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يتضمن الأصل الأول وهو: معرفة الرب تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، والأسماء المذكورة في هذه السورة هي أصول الأسماء الحسنى، وهي اسم: (الله، والرب، والرحمن)، فاسم الله متضمن لصفات الألوهية، واسم الرب متضمن لصفات الربوبية، واسم الرحمن متضمن لصفات الإحسان والجود والبرِّ، ومعاني أسمائه تدور على هذا، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ يتضمن معرفة الطريق الموصلة إليه، وأنها ليست إلا عبادته وحده بما يحبه ويرضاه، واستعانته على عبادته.

وقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ يتضمن بيان أن العبد لا سبيل له إلى سعادته إلا باستقامته على الصراط المستقيم، وأنه لا سبيل له إلى الاستقامة إلا بهداية ربه له، كما لا سبيل له إلى عبادته إلا بمعونته؛ فلا سبيل له إلى الاستقامة على الصراط إلا بهدايته.

وقوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ يتضمن بيان طرَفَيْ الانحراف عن الصراط المستقيم، وأن الانحراف إلى أحد الطرفين انحراف إلى الضلال الذي هو فساد العلم والاعتقاد، والانحراف إلى الطرف الآخر انحراف إلى الغضب الذي سببه فساد القصد والعمل[(١)].

١١- لأهمية التوحيد؛ قسم الله الفاتحة نصفين، نصف له ختمه بالتوحيد، ونصف للعبد بدَأه بالتوحيد.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:**

(١) أخرجه مسلم، (٨٧٨).

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وفاتحة الكتاب نصفان: نصف لله ونصف للعبد، ونصف الرب أوله حمد وآخره توحيد ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، ونصف العبد هو دعاء وأوله توحيد ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[(٢)].

١٢- فائدة أن أول السورة حمد وثناء على الله سبحانه، وآخرها ذمٌّ للمعرضين عن أحكامه سبحانه.

قال محمد بن أحمد الشربيني: فائدة أول السورة مشتمل على الحمد لله والثناء والمدح له، وآخرها مشتمل على الذم للمعرضين عن الإيمان به والإقرار بطاعته، وذلك يدل على أن مَطْلع الخيرات وعنوان السعادات؛ هو الإقبال على الله، ومطلع الآفات ورأس المخالفات؛ هو الإعراض عن الله تعالى والبعد عن طاعته[(٣)].

---

(١) (جامع المسائل).
(٢) (تفسير السراج المنير).
(٣) (مدارج السالكين ببين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

١٣- ما يشهده قلب المسلم من خلال تلاوته لآيات الفاتحة مع التفكر.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: فإن العبد يشهد من قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾؛ الذات الجامعة لجميع صفات الكمال، التي لها كل الأسماء الحسنى، ثم يشهد من قوله: ﴿نَعۡبُدُ﴾ جميع أنواع العبادة ظاهرًا وباطنًا، قصدًا وقولًا وعملًا، حالًا واستقبالًا، ثم يشهد من قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾؛ جمع الاستعانة، والتوكل والتفويض، فيشهد منه جميع الربوبية، ويشهد من ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾؛ جميع الإلهية، ويشهد من ﴿إِيَّاكَ﴾؛ الذات الجامعة لكل الأسماء الحسنى والصفات العلى[١].

١٤- احتواء الفاتحة على أركان التعبد القلبية.

قال الدكتور ناصر بن سليمان العمر: تحوي سورة الفاتحة أركان التعبد القلبية التي لا تستقيم العبادة إلا بها، وهي: المحبة، والخوف، والرجاء، فالمحبة في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، والرجاء في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، والخوف في قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾[٢].

١٥- اشتمال الفاتحة على شرطَيْ قبول العبادة.

قال الدكتور ناصر بن سليمان العمر: اشتملت السورة على شرطَيْ قبول العبادة، ففي قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ شرط الإخلاص، حيث قدَّم المعمول، وتقديمه يدل على الحصر، فمعنى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾: نخصك وحدك بالعبادة ولا نصرف شيئًا من العبادة لأحد غيرك، وفي قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، وقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ شرط

---

(١) (تدبر سورة الفاتحة) للدكتور ناصر العمر.

(٢) (تدبر سورة الفاتحة) للدكتور ناصر العمر.

المتابعة؛ لأن الله تعالى لا يقبل العمل إلا إذا كان على ضوء الصراط المستقيم الذي دعا إليه النبي ﷺ، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم وأولهم النبيون، وفي مقدمتهم نبينا عليه وعليهم الصلاة والتسليم[١].

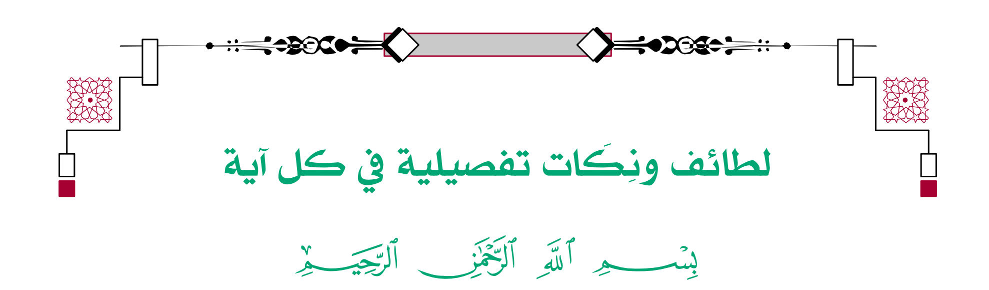
١٦- احتواء الفاتحة على آداب الدعاء وأنواع التوسل الثلاثة.

قال الدكتور ناصر بن سليمان العمر: احتوت سورة الفاتحة على آداب الدعاء التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم؛ ليظفر ببغيته من ربه تعالى، فأولها الإخلاص، بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، ثم المتابعة، ففيها قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، وشُرِع الإلحاح فيه، فسورة الفاتحة تُقرَأ في كل ركعة، ويؤمّن على دعائها، وفيها الجزم في الدعاء والعزم فيه، وذلك بطلب الهداية ورجائها من الله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، وفيها حضور القلب فيه وعدم الغفلة، وذلك من جهة تهيؤ الداعي بالثناء على الله تعالى والإقبال عليه، وفيها أيضًا التوسل إليه، وقد جاء بأنواعه الثلاثة؛ وذلك بالتوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، والتوسل إليه بالعمل الصالح، حيث تقدم عليه قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، وكذلك الدعاء للآخرين، فيستفاد من صيغة الجمع في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ دعاء المسلم لنفسه ولغيره، ثم يؤمّن على الدعاء، وإذا دعا المسلم لأخيه وكَّل الله تعالى ملَكًا يقول له: ولك بمثل، وفيها الدعاء بجوامع الكلم، فقد جمع دعاء سورة الفاتحة خيري الدنيا والآحرة، وفيها الجمع في الدعاء بين الرجاء والخوف، فيطلب النعمة رجاءً؛ وهي صراط الذين أنعم الله عليهم، ويستدفع النقمة خوفًا؛ وهي صراط من سواهم[٢].

---

(١) (تدبر سورة الفاتحة)، للدكتور ناصر العمر.

(٢) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).



لطائف ونِكَات تفصيلية في كل آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

◈ اللطيفة الأولى: وهي تقديم أسمائه الحسنى على أفعاله، مثل فعل الإنعام والغضب في السورة.

قال الإمام محمد بن جرير الطبري: القول في تأويل ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾، القول في تأويل قوله ﴿بِسۡمِ﴾:

قال أبو جعفر: إن الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه؛ أدَّب نبيه محمدًا ﷺ بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وتقدَّم في وصفه بها قبل جميع مهماته، وجعل ما أدَّبه به من ذلك وعلمه إياه؛ منه لجميع خلقه سنة يستنون بها، وسبيلًا يتبعونه عليها، في افتتاح أوائل منطقهم وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم[١].

◈ اللطيفة الثانية: وهي أن حرف الجر؛ الباء في (بسم)؛ متعلق بمحذوف، أو ما يسمى: حذف العامل.

قلت: الباء عند نحاة البصرة متعلق بمحذوف اسم، تقديره: ابتداء، وعند نحاة الكوفة بفعل تقديره: ابتدأت بسم الله، وفائدة الحذف - سواءً كان المحذوف اسمًا أو فعلًا - أنه يصح الابتداء بالبسملة في كل عمل أو

---

(١) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

قول، ولم تحصر فقط في بدايات السور؛ بل أصبحت سنة يَبدَأ بها كل من يشرع بالأعمال الصالحة، ولو سُبِقت البسملة بلفظ: اقرؤوا بسم الله؛ لما كانت عامة في كل الأعمال، ولحُصِرت فقط في بداية السور، لكنَّ حذف المتعلق جعلها عامة تقال في بداية كل الأعمال الصالحة، وأستدلُّ على ذلك من كلام العلماء:

قال الإمام محمد بن جرير الطبري: القول في تأويل قوله ﴿بِسْمِ﴾: أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ على ما بطن من مراده الذي هو محذوف، وذلك أن الباء من ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ مقتضية فعلًا يكون لها جالبًا، ولا فعل معها ظاهر، فأغنت سامع القائل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ معرفته بمراد قائله من إظهار قائل ذلك مرادَه قولًا، إذ كان كل ناطق به عند افتتاحه أمرًا قد أحضر منطقه به إما معه، وإما قبله بلا فصل ما قد أغنى سامعه من دلالة شاهدة على الذي من أجله افتتح قيله به، فصار استغناء سامع ذلك منه عن إظهار ما حذف منه؛ نظير استغنائه إذا سمع قائلًا قيل له: ما أكلت اليوم؟ فقال: طعامًا، عن أن يكرر المسؤول مع قوله: طعامًا؛ أكلتُ، لما قد ظهر لديه من الدلالة على أن ذلك معناه بتقديم مسألة السائل إياه عما أكل، فمعقول إذًا أن القائل إذا قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾، ثم افتتح تاليًا سورة؛ أن إتباعه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ تلاوةَ السورة منبِئٌ عن معنى قوله ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾، ومفهوم به أنه مريد بذلك أقرأُ بسم الله الرحمن الرحيم، وكذلك قوله: باسم الله عند نهوضه للقيام أو عند قعوده وسائر أفعاله، ينبئ عن معنى مراده بقوله: باسم الله، وأنه أراد بقيله باسم الله؛ أقوم باسم الله، وأقعد باسم الله، وكذلك سائر الأفعال[١].

---

(١) (بدائع الفوائد).

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: لحذف العامل في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ فوائد عديدة:

منها: أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوى ذكر الله، فلو ذكرت الفعل، وهو لا يستغني عن فاعله؛ كان ذلك مناقضًا للمقصود وكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى، ليكون المبدوء به اسم الله، كما تقول في الصلاة: (الله أكبر) ومعناه: من كل شيء، ولكن لا تقول هذا المقدر، ليكون اللفظ في اللسان مطابقًا لمقصود الجَنَان، وهو: أن لا يكون في القلب ذكر إلا الله وحده، فكما تجرد ذكره في قلب المصلي؛ تجرد ذكره في لسانه.

ومنها: أن الفعل إذا حُذِف؛ صح الابتداء بالتسمية في كل عمل وقول وحركة، وليس فِعْلٌ أولى بها من فِعل، فكان الحذف أعم من الذكر، فإن أي فعل ذكرته؛ كان المحذوف أعم منه.

ومنها: أن الحذف أبلغ، لأن المتكلم بهذه الكلمة كأنه يدعي الاستغناء بالمشاهدة عن النطق بالفعل، فكأنه لا حاجة إلى النطق به، لأن المشاهدة والحال دالة على أن هذا الفعل وكل فعل فإنما هو باسمه تبارك وتعالى، والحوالة على شاهد الحال؛ أبلغ من الحوالة على شاهد النطق، كما قيل:

وَمِنْ عَجَبٍ قَولُ العَوَاذِلِ مَنْ بِهِ ... وَهَلْ غَيْرُ مَنْ أَهْوى يُحَبُّ وَيُعْشَقُ[1]

وقال محمد الطاهر بن عاشور: واعلم أن متعلق المجرور في بسم الله محذوف تقديره هنا: أقرأ، وسبب حذف متعلق المجرور: أن البسملة سُنَّت عند ابتداء الأعمال الصالحة، فحذف متعلق المجرور فيها حذفًا ملتزمًا إيجازًا اعتمادًا على القرينة... وقد أسعف هذا الحذف بفائدة، وهي:

(١) تفسير: (التحرير والتنوير).

صلوحية البسملة ليبتدئ بها كل شارع في فعل، فلا يلجأ إلى مخالفة لفظ القرآن عند اقتباسه، والحذف هنا من قبيل الإيجاز، لأنه حذف ما قد يصرح به في الكلام[١].

◈ **اللطيفة الثالثة: وهي أن الباء في ﴿بِسْمِ﴾ لطلب الاستعانة؛ هي أولى من أن تكون بمعنى المصاحبة.**

قال شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: وعندي أن الاستعانة أولى، بل يكاد أن تكون متعينة، إذ فيها من الأدب والاستكانة وإظهار العبودية؛ ما ليس في دعوى المصاحبة، ولأن فيها تلميحًا من أول وهلة إلى إسقاط الحول والقوة، ونفي استقلال قدر العباد، وتأثيرها وهو استفتاح لباب الرحمة وظفر بكنز لا حول ولا قوة إلا بالله، ولأن هذا المعنى أَمَسّ بقوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. انتهى[٢].

قلت: رجح عدد من العلماء أن الباء للمصاحبة أو للإلصاق، لكن ذكرت الكلام السابق لأن فيه معانٍ لطيفة جميلة.

◈ **اللطيفة الرابعة: مناسبة تقديم اسم (الله) على اسم (الرحمن الرحيم).**

قال محمد بن جرير الطبري: وإن قال لنا قائل: ولم قدم اسم الله الذي هو (الله)؛ على اسمه الذي هو (الرحمن)، واسمه الذي هو (الرحمن) على اسمه الذي هو (الرحيم)؟ قيل: لأن من شأن العرب إذا أرادوا الخبر عن مخبر عنه أن يقدموا اسمه، ثم يتبعوه صفاته ونعوته، وهذا هو الواجب في الحكم: أن يكون الاسم مقدمًا قبل نعته وصفته، ليعلم السامع الخبر، عمَّن

(١) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).
(٢) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

الخبر، فإذا كان ذلك كذلك وكان لله جل ذكره أسماء قد حرم على خلقه أن يتسموا بها خص بها نفسه دونهم، وذلك مثل: الله، والرحمن، والخالق، وأسماء أباح لهم أن يسمي بعضهم بعضًا بها، وذلك كـ: الرحيم، والسميع، والبصير، والكريم، وما أشبه ذلك من الأسماء؛ كان الواجب أن تقدم أسماؤه التي هي له خاصة دون جميع خلقه، ليعرف السامع ذلك من توجه إليه الحمد والتمجيد، ثم يتبع ذلك بأسمائه التي قد تسمى بها غيره، بعد علم المخاطب أو السامع من توجه إليه ما يتلو ذلك من المعاني.

فبدأ الله جل ذكره باسمه الذي هو الله، لأن الألوهية ليست لغيره جل ثناؤه من وجه من الوجوه لا من جهة التسمي به ولا من جهة المعنى... ثم ثنَّى باسمه الذي هو الرحمن، إذ كان قد منع أيضًا خلقه التسمي به... وأما اسمه الذي هو الرحيم، فقد ذكرنا أنه مما هو جائز وصف غيره به، والرحمة من صفاته جل ذكره، فكان إذ كان الأمر على ما وصفنا واقعًا مواقع نعوت الأسماء اللواتي هي توابعها، بعد تقدم الأسماء عليها.

فهذا وجه تقديم اسم الله الذي هو الله، على اسمه الذي هو الرحمن، واسمه الذي هو الرحمن، على اسمه الذي هو الرحيم[1].

وقال محمد الطاهر بن عاشور: ومناسبة الجمع في البسملة بين علم الجلالة وبين صفتي الرحمن الرحيم، قال البيضاوي: إن المسمى إذا قصد الاستعانة بالمعبود الحق الموصوف بأنه مولي النعم كلها جليلها ودقيقها؛ يذكر علم الذات إشارة إلى استحقاقه أن يستعان به بالذات، ثم يذكر وصف الرحمن إشارة إلى أن الاستعانة على الأعمال الصالحة هي نِعَم[2].

(١) تفسير: (التحرير والتنوير).

(٢) تفسير: (الشعراوي).

وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي: ومن رحمة الله ﷻ أنه علمنا أن نبدأ كل شيء باسم الله، لأن الله هو الاسم الجامع لصفات الكمال ﷻ... فأنت حين تبدأ عملًا؛ تحتاج إلى قدرة الله وإلى عونه وإلى رحمته[١].

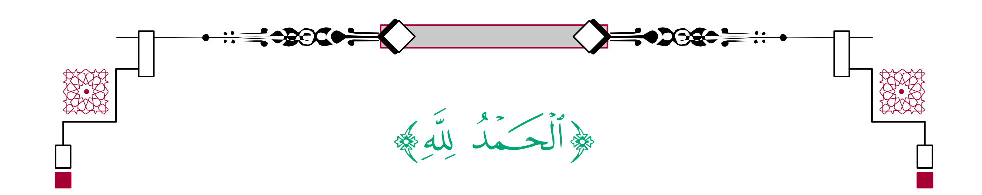
وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ أي أبتدئ بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ ﴿ٱسۡمَ﴾ مفرد مضاف، فيعم جميع الأسماء الحسنى. انتهى[٢].

قلت: اسم (الله) إليه ترجع الأسماء كلها قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾.

---

(١) (تيسيرالكريم الرحمن في تفسير كلام المنان).

(٢) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).



◈ اللطيفة الأولى: وهي الفائدة في دخول الألف واللام في الحمد.

قال الإمام محمد بن جرير الطبري: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: قال: فإن قال لنا قائل: وما وجه إدخال الألف واللام في الحمد؟ وهلَّا قيل: حمدًا لله رب العالمين، قيل: إن لدخول الألف واللام في الحمد معنى لا يؤديه قول القائل (حمدًا لله) بإسقاط الألف واللام، وذلك أن دخولهما في الحمد منبئ عن أن معناه: جميع المحامد والشكر الكامل لله، ولو أسقطتا منه؛ لما دل إلا على أن حمد قائل ذلك له دون المحامد كلها[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فذكر ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ بالألف واللام التي تقتضي الاستغراق لجميع المحامد، فدل على أن الحمد كله لله[٢].

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: (الحمد) في كلام العرب معناه: الثناء الكامل، والألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد، فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلى[٣].

---

(١) (مجموع الفتاوى).
(٢) تفسير القرطبي: (الجامع لأحكام القرآن).
(٣) (تفسير البحر المحيط).

وقال أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي: النوع الثاني: المبالغة في الثناء، وذلك لعموم (أل) في الحمد[١].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: والألف واللام في (الحمد) لاستغراق جميع المحامد، وهو ثناء أثنى به تعالى على نفسه، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه[٢].

وقال محمد جمال الدين القاسمي: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾: واللام في الحمد للاستغراق أي: استغراق جميع أجناس الحمد وثبوتها لله تعالى تعظيمًا وتمجيدًا، وبالجملة فكل صفة علياء، واسم حسن، وثناء جميل، وكل حمد، ومدح، وتسبيح، وتنزيه، وتقديس، وجلال، وإكرام؛ فهو لله ﷻ على أكمل الوجوه وأتمها وأدومها[٣].

وقال الدكتور فاضل السامرائي: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، الحمد معرفة، واللام فيها قد تكون للعهد وقد تكون لاستغراق الجنس كله.

اختلف المفسرون، منهم من قال: هي للعهد، أي الحمد المعهود كله لله، ومنهم من قال: هي لاستغراق الجنس كله لله، والحقيقة أنها للمعنيَيْن، أي الحمد المعروف المعهود كله لله ﷻ، وإفادة الحمد المعهود على سبيل الاستغراق، وهذا هو الاتساع في المعنى[٤].

---

(١) (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن).
(٢) (محاسن التأويل) للقاسمي.
(٣) برنامج لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.
(٤) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

◈ اللطيفة الثانية: وهي النكتة من دخول الرفع على ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ بدلًا من النصب.

قال الإمام محمد بن جرير الطبري: التأويل في ذلك ما وصفنا قبل؛ من أن جميع المحامد لله بألوهيته وإنعامه على خلقه بما أنعم به عليهم من النعم التي لا كفاء لها في الدين والدنيا والعاجل والآجل، ولذلك من المعنى تتابعت قراءة القرأة وعلماء الأمة على رفع الحمد من ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، دون نصبها الذي يؤدي إلى الدلالة على أن معنى تاليه كذلك: أحمد الله حمدًا[1].

وقال أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري: وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله، وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم، بإضمار فعله على أنه من المصادر التي تنصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الإخبار، كقولهم شكرًا، وكفرًا، وعجبًا، وما أشبه ذلك، ومنها سبحانك، ومعاذ الله، ينزلونها منزلة أفعالها ويسدون بها مسدها، لذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة، والعدل بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء؛ للدلالة على ثبات المعنى واستقراره، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾؛ رفع السلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حياهم بتحية أحسن من تحيتهم، لأن الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه، والمعنى: نحمد لله حمدًا[2].

وقال أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني ثم الأندلسي: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾... والنصب جائز في الحمد في الكلام على المصدر،

(١) تفسير الزمخشري: (الكشاف).

(٢) (الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره).

لكن الرفع فيه أعم، لأن معناه إذا رفعته؛ جميع الحمد مني ومن جميع الخلق لله، وإذا نصبت؛ فمعناه أحمد الله حمدًا، فإنما هو حمد منك لله لا غير، فالرفع يدل على أن الحمد منك ومن غيرك لله، فهو أعم وأكمل، فلذلك أجمع القَرَأة على رفعه في جميع ما وقع في القرآن من لفظ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إذا لم يكن قبله عامل[١].

وقال الإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: وأجمع القراء السبعة وجمهور الناس على رفع الدال من ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وروي عن سفيان بن عيينة ورؤبة بن العجاج ﴿الْحَمْدَ لِلَّهِ﴾ بنصب الدال، وهذا على إضمار فعل، ويقال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بالرفع مبتدأ وخبر، وسبيل الخبر أن يفيد، فما الفائدة في هذا؟ فالجواب أن سيبويه قال: إذا قال الرجل ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بالرفع ففيه من المعنى مثل ما في قولك: حمدت الله حمدًا، إلا أن الذي يرفع الحمد يخبر أن الحمد منه ومن جميع الخلق لله، والذي ينصب الحمد يخبر أن الحمد منه وحده لله[٢].

وقال الدكتور فاضل بن صالح السامرائي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هي بالرفع، وكان من الممكن أن تأتي بالنصب أي (الحمدَ لله)، لكن الجملة الاسمية ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بالرفع، والرفع أثبت من النصب، مثال: تحية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على الملائكة ﴿قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ﴾ رد عليهم بالرفع، وهو رد التحية بخير منها، لأن الرفع فيه دلالة على الثبوت.

وأيضًا مثال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾، (ضَرْب) جاءت بالنصب، لكن قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍۗ﴾، قال:

---

(١) تفسير القرطبي: (الجامع لأحكام القرآن).

(٢) برنامج لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.

(فإمساكٌ وتسريحٌ)؛ جاءت بالرفع، لأن الرفع يدل على الثبوت، فهي بعد الطلقتين أصبحت تأبيدية، أما ضرب الرقاب؛ فهو مؤقت بوقت المعركة، لذلك جاءت بالنصب، ومثال أيضًا ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾...، ولم يقل (ويلًا) بالنصب، وذلك للدلالة على الدعاء عليهم بالهلاك الدائم غير المنقطع، ولو كانت بالنصب لكان دعاء غير ثابت، لذلك آخر السورة قال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ⑧﴾، أي: مستمرة[1].

◈ اللطيفة الثالثة: الفائدة في دخول اللام في (لله)، واستعمال اسم (الله) بدل من اسم آخر كالرحمن والعليم... إلخ.

قال فخر الدين الرازي: الفائدة الثالثة: اللام في قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يحتمل وجوهًا كثيرة، أحدها الاختصاص اللائق... فإن حملته على الاختصاص اللائق؛ فمن المعلوم أنه لا يليق الحمد إلا به لغاية جلاله، وكثرة فضله وإحسانه. انتهى.

وقال أيضًا: ثانيهما أن قولنا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ معناه أن الحمد والثناء حق لله وملكه، فإنه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة أياديه من أنواع الآلائه على العباد، فقولنا الحمد لله؛ معناه أن الحمد لله حق يستحقه لذاته، ولو قال أَحمَدُ الله؛ لم يدل ذلك على كونه مستحقًا للحمد لذاته، ومعلوم أن اللفظ الدال على كونه مستحقًا للحمد؛ أولى من اللفظ الدال على أن شخصًا واحدًا حمده.

ثالثها: أنه لو قال أَحمَدُ الله؛ لكان قد حمد، لكن لا حمدًا يليق به، وأما إذا قال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فكأنه قال من أنا حتى أحمد؟! لكنه محمود بجميع

---

(١) (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير).

حمد الحامدين، مثاله ما لو سُئِلت: هل لفلان عليك نعمة؟ فإن قلت: نعم، فقد حمدته ولكن حمدًا ضعيفًا، ولو قلت في الجواب: بل نِعَمه على كل الخلائق؛ فقد حمدته بأكمل المحامد. انتهى[(١)].

قلت: قول الرازي السابق (لا يليق الحمد إلا به) وقوله (فإنه تعالى هو المستحق للحمد) لعله يوضحها قول سيد طنطاوي الآتي:

قال محمد سيد طنطاوي: وإنما كان الحمد مقصورًا في الحقيقة على الله، لأن كل ما يستحق أن يقابل بالثناء فهو صادر عنه ومرجعه إليه، إذ هو الخالق لكل شيء، وما يقدم إلى بعض الناس من حمد جزاء إحسانهم؛ فهو في الحقيقة حمدٌ لله، لأنه سبحانه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم عليه. انتهى[(٢)].

وقال الدكتور فاضل السامرائي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: جاء باسم ﴿ٱللَّهِ﴾ ولم يأت باسم آخر، مثلًا لم يقل: (الحمد للرحمن أو العليم...)؛ وذلك لأنه يستحق الحمد بذاته وصفاته لا بوصف دون وصف، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن لفظ (الله) ناسب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، لأن لفظ الله هو المناسب للفظ العبودية، لأن الذي عليه أكثر أهل اللغة أن الله هو: الإله، أي المعبود، من أَلَه يَأْلَه، أي: عبَدَ، والإله معناه: المعبود، إذ لو قال الحمد للعليم، أو الرحيم، أو الرحمن؛ لكان استحق الحمد بهذا الاسم المذكور، أما لما قال: الحمد لله؛ ذكر الذات، فاستحق الحمد لذاته لا بوصف دون وصف. انتهى[(٣)].

---

(١) (التفسير الوسيط للقرآن الكريم).

(٢) برنامج لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.

(٣) (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية الطيبي على الكشاف).

قلت: لأنه لو قال: الحمد للرحمن؛ لكان الحمد لما يتضمنه اسم الرحمن من الرحمة، أو قال: للعليم؛ لكان الحمد لما يتضمنه اسم العليم من العلم، لكن (لله) شاملة للجميع.

وقال الحسن بن عبد الله الطيبي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: وخص اسمه المقدس؛ لكونه جامعًا لمعاني الأسماء الحسنى ما عُلِم وما لم يُعلَم. انتهى[١].

قلت: من خلال كلام الطيبي تبين أن الفائدة من أنه خص اسمه (الله) بالحمد؛ لأنه مرجع لكل أسمائه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، هذا أولًا، وثانيًا: بما أنه مرجع لكل الأسماء؛ فهو جامع لكل معانيها.

تنبيه: نلاحظ أنني لم أكتب هنا اللطيفة لمجرد الحصر في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، أي أن الحمد كله لله، بل كتبتها للطائف والنِّكات التي استنبطها العلماء من هذا الحصر، لأنهم استخرجوا من هذا الحصر الظاهر بإعمال الفكر؛ دقائقَ تستحق الكتابة.

◈ اللطيفة الرابعة: وهي أن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جاءت بصيغة الخبر يقصد به الأمر.

قال فخر الدين محمد الرازي: الفائدة الثانية: أنه تعالى لم يقل أحمد الله، ولكن قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وهذه العبارة الثانية أَوْلَى لوجوه:

أحدها: أنه لو قال أحمد الله أفاد ذلك؛ كون ذلك القائل قادرًا على حمده، أما لما قال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فقد أفاد ذلك أنه كان محمودًا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين، فهؤلاء سواء حمدوا أو لم يحمدوا وسواء شكروا أو لم يشكروا؛ فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد[٢].

---

(١) (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير).

(٢) (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير).

وقال أيضًا: الفائدة السابعة: . . . أن الإنسان محتاج إلى إنعام الله في ذاته وفي صفاته وفي أحواله، والله تعالى غني عن شكر الشاكرين وحمد الحامدين، فكيف يمكن مقابلة نعم الله بهذا الشكر وبهذا الحمد، فثبت بهذه الوجوه أن العبد عاجز عن الإتيان بحمد الله وبشكره، فلهذه الدقيقة لم يقل احمدوا الله، بل قال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، لأنه لو قال احمدوا الله؛ فقد كلفهم ما لا طاقة لهم به، أما لما قال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ كان المعنى أن كمال الحمد حقه وملكه، سواء قدر الخلق على الإتيان أو لم يقدروا عليه[(١)].

قال محمد الطاهر بن عاشور: والحق الذي لا محيد عنه أن الحمد لله خبر مستعمل في الإنشاء، فالقصد هو الإنشائية لا محالة، وعدل إلى الخبرية؛ لتحمل جملة الحمد من الخصوصيات ما يناسب جلالة المحمود بها من الدلالة على الدوام، والثبات، والاستغراق، والاختصاص، والاهتمام، وشيء من ذلك لا يمكن حصوله بصيغة إنشاء نحو: حمدًا لله، أو أحمد الله حمدًا[(٢)].

وقال الدكتور فاضل بن صالح السامرائي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قد يقال لم تأتِ الحمد بصيغة الأمر احمدوا الله، وقال: «الحمد لله» قد تأتي بمعنى الأمر، يعني المصدر المرفوع قد يأتي بمعنى الأمر، فالمصدر المنصوب يأتي بمعنى الأمر، مثال (البِدَار البِدَار)؛ بمعنى أسرعوا وبادروا، والمصدر المرفوع أيضًا يأتي للدلالة على الأمر مثل: (صبرٌ جميل)، فإذا قلت صبرًا يا فلان؛ هذا أمر، لكن إذا أردت الأمر بالصبر الثابت الدائم الطويل؛ قلت: صبرٌ جميل، لذلك يعقوب عليه السلام قال ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾؛ أي أنَّه وطَّن نفسه

---

(١) تفسير: (التحرير والتنوير).

(٢) برنامج لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.

على الصبر الدائم الطويل الثابت؛ لأنه لا يعلم أن لصبره أمدًا معيَّنًا[١].

وقال أيضًا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقال هل هي خبر أم إنشاء؟، قال أكثر المفسرين والذين ينظرون في اللغة؛ أنها إخبار، وقسم قال هي إنشاء؛ لأنها تتضمن التعظيم والمحبة، وقسم قال هي خبر يتضمن إنشاء، والحقيقة أن الكلام قد يكون خبرًا أو إنشاء حسب المقام الذي يقال فيه، مثال: تقول لشخص: رزقك الله؛ دعاء له بالرزق، وهذا إنشاء، وقد تقول له في مقام آخر إخبارًا فتقول: أنت رزقك الله وأعطاك، فاستعمل هذا الرزق في مرضاة الله؛ فهذا خبر، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ من هذه العبارات التي يمكن أن تستعمل خبرًا أو إنشاء، فهي إذًا خبر يتضمن إنشاء، لذلك لم تأتِ: إن الحمد لله، لأن دخول (إن) يجعلها خبرًا محضًا[٢].

◈ **اللطيفة الخامسة: وهي ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جاءت بصيغة المصدر، لم تتعلق بزمن.**

قال فخر الدين الرازي: قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ له تعلق بالماضي وتعلق بالمستقبل، أما تعلقه بالماضي فهو أن يقع شكرًا على النعم المتقدِّمة، وأما تعلقه بالمستقبل فهو أنه يوجب تجدد النعم في الزمان المستقبل، لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٣].

وقال الإمام محمد الأمين الشنقيطي: قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لم يذكر لحمده هنا ظرفًا مكانيًا ولا زمانيًا، وذكر في سورة الروم أن من ظروفه

---

(١) المرجع السابق.
(٢) (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير).
(٣) (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن).

المكانية السماوات والأرض، في قوله ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ الآية، وذكر في سورة القصص أن من ظروفه الزمانية: الدنيا والآخرة، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ...﴾ الآية، وقال في أول سورة سبأ: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[(١)].

وقال الدكتور فاضل بن صالح السامرائي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مصدر غير مقيد بزمن، فحَمدتُّ الله؛ ماضٍ يدل على الماضي، أحمدُ الله؛ مضارع يدل على الحال والاستقبال، فالحمد لله مطلقة غير مقيدة بزمن، فهو المحمود قبل حمد الحامدين، وسواء كان من يحمده أم لا؛ فهو محمود، وهو أيضًا محمود مطلقًا في كل زمن.

وقال أيضًا: لم يقيد بزمن لذلك استغرق الحمد في كل زمان سابق ولاحق... أو هو استغراق الحمد من الأزل إلى الأبد[(٢)].

◈ اللطيفة السادسة: وهي مجيء ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة اسمية لا فعلية.

قال الدكتور فاضل بن صالح السامرائي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة اسمية من مبتدأ وخبر، وجملة أحمد الله جملة فعلية، والاسم يدل على الثبات، والفعل يدل على التجدد والحدوث، قال: من المعروف من قواعد اللغة أن الاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على التجدد والحدوث، مثال: عندما تقول فلان متعلم، وفلان يتعلم، فلان متفقّه، وفلان يتفقَّه؛ فالاسم أمدَح، لأنه يدل على الثبوت، فالاسم أثبت وأقوى من الفعل.

وكذلك الفعل في أحمدُ يحتمل الصدق والكذب، ولكن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

(١) برنامج لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.
(٢) برنامج لمسات بيانية، فاصل صالح السامرائي، قناة الشارقة.

لا تحتمل إلا الصدق، لأن من قال أحمد الله؛ قد يَصدُق وقد لا يَصدُق[١].

وقال أحمد بن مصطفى المراغي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة (الحمد لله) خبر، لكنها استعملت لإنشاء الحمد، وفائدة الجملة الاسمية؛ ديمومة الحمد واستمراره وثباته[٢].

وقال محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش: جملة (الحمد لله) خبر، لكنها استعملت لإنشاء الحمد، وفائدة الجملة الاسمية؛ ديمومة الحمد واستمراره وثباته[٣].

◈ **اللطيفة السابعة: وهي وجه الترابط بين ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فذكر ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ بالألف واللام التي تقتضي الاستغراق لجميع المحامد، فدل على أن الحمد كله لله، ثم حصره في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، فهذا تفصيل لقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ فهذا يدل على أنه لا معبود إلا الله، وأنه لا يستحق أن يعبد أحد سواه، فقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إشارة إلى عبادته بما اقتضته إلهيته من المحبة، والخوف، والرجاء، والأمر، والنهي ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى ما اقتضته الربوبية من التوكل، والتفويض، والتسليم، لأن الرب ﷻ هو المالك، وفيه أيضًا معنى الربوبية والإصلاح، والمالك الذي يتصرف في ملكه كما يشاء[٤].

(١) (تفسير المراغي).
(٢) (إعراب القرآن الكريم وبيانه).
(٣) (مجموع الفتاوى).
(٤) تفسير: (التحرير والتنوير).

◈ **اللطيفة الثامنة: وهي وجه تقديم ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ على لفظ الجلالة.**

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: قدم الحمد؛ لأن المقام هنا مقام الحمد، إذ هو ابتداء أولى النعم بالحمد؛ وهي نعمة تنزيل القرآن الذي فيه نجاح الدارين، فتلك المنة من أكبر ما يحمد الله عليه من جلائل صفات الكمال، لا سيما وقد اشتمل القرآن على كمال المعنى واللفظ والغاية(١).

وقال أيضًا: وإنما لم يقدم المسند المجرور وهو متضمن لاسم الجلالة على المسند إليه فيقال: لله الحمد، لأن المسند إليه حمد على تنزيل القرآن والتشرف بالإسلام؛ وهما مِنَّة من الله تعالى، فحمده عليهما عند ابتداء تلاوة الكتاب الذي به صلاح الناس في الدارين، فكان المقام للاهتمام به اعتبارًا لأهمية الحمد العارضة، وإن كان ذكر الله أهم أصالة، فإن الأهمية العارضة تُقدَّم على الأهمية الأصلية، لاقتضاء المقام والحال، والبلاغة هي المطابقة لمقتضى الحال، على أن الحمد لما تعلق باسم الله تعالى؛ كان في الاهتمام به اهتمام بشؤون الله تعالى(٢).

وقال عماد بن زهير حافظ: نعمة تنزيل القرآن الكريم هي أعظم النعم الدالة على جلائل صفاته تعالى وكمالها، خاصة وأنه قد اشتمل القرآن الكريم على كمال المعنى واللفظ والغاية، فكان افتتاحه أولى المواطن بثناء الله تبارك وتعالى على ذاته، ومنها أنه لما كانت الفاتحة مناجاة للخالق عَزَّوَجَلَّ بما لا يهتدي إلى الإحاطة بها في كلامه غيره تعالى؛ قدَّم الحمد لذاته وجعله في أولها، وليضعه المناجون له في كل مناجاتهم ودعائهم له، جريًا

---

(١) تفسير: (التحرير والتنوير).

(٢) كتاب (حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة).

على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء؛ بافتتاح خطابهم إياهم وطلبتهم بالثناء والذكر الجميل، قال أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني | حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا | كفاه عن تعرضه الثناء

ومنها: في وجه الحكمة في إسناد الحمد إلى اسم الذات الإلهية وما جاء بعده من أوصاف، والحكمة في ذلك - والله أعلم بمراده - التنبيه على استحقاقه تعالى للحمد أولًا لذاته لا لشيء غيرها، باعتبار أنها حائزة لجميع الكمالات الإلهية، وأنها مصدر جميع الوجود وما فيه من الخيرات والنعم، ومن بعد إسناد الحمد لاسم ذاته تنبيهًا على الاستحقاق الذاتي؛ أتبعه سبحانه بأربعة أوصاف له تعالى؛ ليؤذن باستحقاقه الوصفي للحمد أيضًا لما استحقه بذاته. انتهى[1].

وقال فاضل السامرائي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ولم يقل لله الحمد، لأن المقام ليس مقام حصر، مثل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، ولأن الحمد ليس محصورًا بالله، فالعبد يحمد على فعله الحسن[2].

وقال فخر الدين الرازي: الفائدة الخامسة: أضاف الحمد إلى نفسه، فقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ثم أضاف نفسه إلى العالمين، والتقدير: إني أحب الحمد فنسبته إلى نفسي بكونه ملكًا لي، ثم لما ذكرت نفسي عرَّفتُ نفسي بكوني ربًا للعالمين، ومن عرف ذاتًا بصفة فإنه يحاول ذكر أَمَسّ

(١) برنامج لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.
(٢) (مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير).

الصفات وأكملها. انتهى[(١)].

قلت: وفي الحديث عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**ما أحد أحب إليه المدح من الله؛ من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله؛ من أجل ذلك حرم الفواحش**»[(٢)].

◈ **اللطيفة التاسعة: وهي مجيء ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بعد ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.**

قال بديع الزمان سعيد النورسي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وجه النظم مع ما قبله أن ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لمَّا دلَّتا على النعم؛ استوجبتا تعقيب الحمد[(٣)].

◈ **اللطيفة العاشرة: وهي وجه الارتباط في تقديم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ثم ذكر باقي الأسماء والأوصاف.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قال الله ﷻ في أول السورة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ فبدأ بهذين الاسمين: الله والرب، والله هو الإله المعبود، فهذا الاسم أحق بالعبادة، ولهذا يقال: الله أكبر، الحمد لله، سبحان الله، لا إله إلا الله، والرب هو المربي الخالق الرازق الهادي، وهذا الاسم أحق باسم الاستعانة والمسألة، ولهذا يقال ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا﴾، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، فعامة المسألة والاستعانة المشروعة باسم الرب، فالاسم الأول يتضمن غاية العبد، ومصيره ومنتهاه، وما خلق له، وما فيه

(١) أخرجه مسلم (٢٧٦٠).
(٢) (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز).
(٣) (مجموع الفتاوى).

صلاحه وكماله؛ وهو عبادة الله، والاسم الثاني يتضمن خلق العبد ومبتداه، وهو أنه يربه ويتولاه، مع أن الثاني يدخل في الأول دخول الربوبية في الإلهية، والربوبية تستلزم الألوهية أيضًا، واسم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يتضمن كمال التعلقَيْن، وبوصف الحالَيْن فيه تتم سعادته في دنياه وأخراه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾، فذكر هنا الأسماء الثلاثة: (الرحمن)، و(ربي)، و(الإله)، وقال: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾، كما ذكر الأسماء الثلاثة في أم القرآن، لكن بدأ هناك باسم الله، ولهذا بدأ في السورة بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فقدم الاسم وما يتعلق به من العبادة، لأن تلك السورة فاتحة الكتاب وأم القرآن، فقدم فيها المقصود الذي هو العلة الغائيَّة[١].

وقال أيضًا: وفي قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ فجمع بين الاسمين: اسم الإله واسم الرب، فإن الإله هو المعبود الذي يستحق أن يعبد، والرب هو الذي يربُّ عبده فيدبره، ولهذا كانت العبادة متعلقة باسمه الله، والسؤال متعلقًا باسمه الرب، ولما كانت العبادة متعلقة باسمه الله؛ جاءت الأذكار المشروعة بهذا الاسم مثل: كلمات الأذان: الله أكبر الله أكبر، ومثل: الشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، ومثل التشهد: التحيات لله، ومثل: التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وأما السؤال فكثيرًا ما يجيء باسم الرب، كقول آدم وحواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وقول نوح: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾، وقول موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾،

---

(١) (مجموع الفتاوى).

وقول الخليل: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وقوله مع إسماعيل: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، وكذلك قول الذين قالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، ومثل هذا كثير[١].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: وفي ذكر هذه الأسماء بعد الحمد، وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها؛ ما يدل على أنه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود، ورب محمود، ورحمان محمود، ومَلِك محمود، فله بذلك جميع أقسام الكمال: كمال من هذا الاسم بمفرده، وكمال من الآخر بمفرده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، فالغنى صفة كمال، والحمد صفة كمال، واقتران غناه بحمده كمال أيضًا، وعلمه كمال، وحكمته كمال، واقتران العلم بالحكمة كمال أيضًا[٢].

وقال محمد الطاهر بن عاشور: ﴿رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾، وصف لاسم الجلالة، فإنه بعد أن أسند الحمد لاسم ذاته تعالى تنبيهًا على الاستحقاق الذاتي؛ عقَّبَ بالوصف وهو الرب؛ ليكون الحمد متعلقًا به أيضًا، لأن وصف المتعلق متعلِّق أيضًا، فلذلك لم يقل: (الحمد لرب العالمين) كما قال ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾؛ ليؤذن باستحقاقه الوصفي أيضًا للحمد، كما استحقه بذاته[٣].

---

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

(٢) تفسير: (التحرير والتنوير).

(٣) (تفسير الشعراوي).

وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي: فاتحة الكتاب تبدأ بـ (الحمد لله رب العالمين) لماذا قال الله ﷻ رب العالمين؟ نقول إن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تعني حمد الألوهية، فكلمة الله تعني المعبود الحق، فكأن الحمد أولًا لله، ثم يقتضي بعد ذلك أن يكون الحمد لربوبية الله على إيجادنا من عدم وإمدادنا من عدم[١].

وقال الدكتور عماد بن زهير حافظ: ومنها: في وجه الحكمة في إسناد الحمد إلى الذات الإلهية وما جاء بعده من أوصاف، والحكمة في ذلك -والله أعلم بمراده- التنبيه على استحقاقه تعالى للحمد أولًا لذاته لا لشيء غيرها، باعتبار أنها حائزة لجميع الكمالات الإلهية، وأنها مصدر جميع الوجود وما فيه من الخيرات والنعم، ومن بعد إسناد الحمد لاسم ذاته تنبيهًا على الاستحقاق الذاتي؛ أتبعه سبحانه بأربعة أوصاف له تعالى، ليؤذن باستحقاقه الوصف للحمد أيضًا كما استحقه بذاته، وذلك باعتبار تعلقها وآثارها، وهذه الأوصاف أولها: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، أن استحقاق الله تعالى للحمد بربوبيته للعالمين لأن ربوبيته للعالمين تقتضي تربيته لهم، وتدبيره، وإصلاحه لأمورهم وشؤونهم، وثاني الأوصاف وثالثها: الوصفان الجليلان ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، لتأكيد استحقاقه تعالى للحمد، إذ إن من رحمته تعالى بخلقه ما يتقلبون به من نعمه وإحسانه صباح مساء، وآخر الأوصاف الإلهية في هذا المقام: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، ولا ريب أن هذا الوصف يدل أيضًا على استحقاقه الحمد، فمن كان مالكًا ليوم الثواب والعقاب، وبيده الجزاء على ما قدموا في دنياهم؛ فهو حقيق بأن لا يحمد إلا هو[٢].

---

(١) كتاب (حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة).

(٢) (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية الطيبي على الكشاف).

وقال شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت٧٤٣ هـ): إن في تعقيب هذه الصفات للحمد؛ إشعارًا بأن الحمد إنما استحقه لما أنه متصف بها كما صرح به في قوله: وهذه الأوصاف دليل على أن من كانت هذه صفاته؛ لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء، وقد تقرر في الأصول أن في اقتران الوصف المناسب بالحكم؛ إشعارًا بالعِلِّية[(١)].

وقال سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم: لما قال تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ أتبع ذلك بوصفه تعالى بقوله ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، إشارة إلى أن المستحق للعبادة هو المتفرد بالربوبية، والملك، والخلق، والتدبير[(٢)].

وقال الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، ومنها: تقديم وصف الله بالألوهية على وصفه بالربوبية، وهذا إما لأن الله هو الاسم العلم الخاص به والذي تتبعه جميع الأسماء، وإما لأن الذين جاءتهم الرسل ينكرون الألوهية فقط[(٣)].

وقال الدكتور ناصر العمر: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، قدمت الإلهية على الربوبية؛ لأن الإلهية تختص بالعبادة، والله قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وتوحيد الإلهية هي الغاية، ومن أجلها بعثت الرسل[(٤)].

وقال الدكتور فاضل بن صالح السامرائي: معنى رب: هو السيد، والمالك، والقَيِّم، والمنعم، والمربِّي، إذ هو مالكهم، وسيدهم، ومربيهم، ومالك الشخص ومربِّيه والمنعم عليه والقَيِّم عليه؛ هو أولى بالحمد من غيره، لذلك

(١) (اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب).

(٢) (تفسير الفاتحة والبقرة) لابن عثيمين.

(٣) تفسير سورة الفاتحة، دروس سماعية على الإنترنت.

(٤) برنامج لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.

ناسب أن تأتي بعد الحمد لله؛ رب العالمين[١].

◈ **اللطيفة الحادية عشرة: لم قيل ﴿قُلْ﴾ غير مقدرة قبل ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.**

قال الراغب الأصفهاني: وقيل إن (قل) غير مقدرة في هذا الموضوع، لأن الله حمد نفسه ليُقتَدى به في حمده، بدلالة ما روي عن النبي ﷺ: «**ليس شيء أحب إلى الله من الحمد، أثنى على نفسه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾**، ولأن أرفع حمد ما كان من أرفع حامد وأعرفهم بالمحمود وأقدرهم على إيفاء حقه في الحمد، وما حامد أرفع منه وأعرف بذاته وأقدر على حمده منه تعالى، كما لا محمود أرفع منه وأعلى. انتهى[٢].

قلت: كتبت هذه اللطيفة لأن فيها لفتة جميلة، وإلا فكثير من المفسرين ومنهم ابن جرير الطبري قدَّروا كلمة (قل) قبل ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، أي قولوا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ولا تعارض سواء قدر أم لم يقدر، فقد أمرنا بقول ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، والله أعلى وأعلم.

◈ **اللطيفة الثانية عشرة: ما الحكمة في ورود الثناء على الله بالاسم الظاهر، وبلفظ الغيبة (الحمد لله - الرحمن الرحيم - مالك).**

قال الإمام ابن قيم الجوزية: فجوابه: أن الثناء على الله عامة ما يجيء مضافًا إلى أسمائه الحسنى الظاهرة دون الضمير، إلا أن يتقدم ذكر الاسم الظاهر فيجيء بعد المضمر، وهذا نحو قول المصلي: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①﴾، وقوله في الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي السجود: سبحان ربي الأعلى، وفي هذا من السر أن تعليق الثناء بأسمائه الحسنى؛ هو

(١) (تفسير الراغب الأصفهاني).

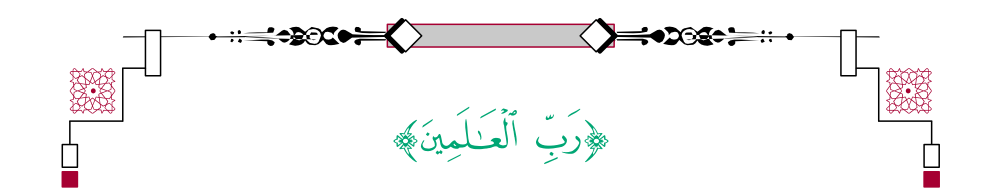
(٢) (بدائع الفوائد).

لما تضمنت معانيها من صفات الكمال ونعوت الجلال، فأتى بالاسم الظاهر الدال على المعنى الذي يثني به ولأجله عليه تعالى، ولفظ الضمير لا إشعار له بذلك، ولهذا إذا كان لا بدَّ من الثناء عليه بخطاب المواجهة؛ أُتِيَ بالاسم الظاهر مقرونًا بميم الجمع الدالة على جميع الأسماء والصفات، نحو قوله في رفع رأسه من الركوع: (اللهم ربنا لك الحمد)، وربما اقتصر على ذكر الرب تعالى لدلالة لفظه على هذا المعنى، فتأمله؛ فإنه لطيف المَنْزع جدًّا. انتهى[١].

قلت: أي جاء الثناء بلفظ الغيبة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ولم يقل الحمد لك، وجاء الثناء مضافًا إلى الاسم الظاهر (الله - الرحمن)، ولم يضاف الثناء إلى الاسم المضمر؛ مثل: الحمد له.

❖ ❖ ❖

(١) (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية الطيبي على الكشاف).



◈ اللطيفة الأولى: فائدة أن ﴿ٱلْعَالَمِينَ﴾ جمع قلة لا جمع كثرة.

قال الحسين بن عبد الله الطيبي: وإنما جمع بالواو والنون مع أنه جمع قلة، والظاهر مستدعٍ للإتيان بجمع الكثرة؛ تنبيهًا على أنهم وإن كثروا؛ قليلون في جنب عظمته وكبريائه. انتهى[١].

(العالَم): الخلق كله، وقيل: كل ما حواه بطن الفلك، والجمع: عوالِمُ، وعالمون.

◈ اللطيفة الثانية: ما سر التعبيرب ﴿ٱلْعَالَمِينَ﴾ التي مفردها عالَم على وزن فاعَل -بفتح العين-؟

قال الراغب الأصفهاني: (العالَم) اسم للفلك وما يحويه، وجميع ما فيه من الجواهر والأعراض، وهو في الأصل: اسم لما يعلم به، و(فاعل) كثيرًا ما يجيء في اسم الآلة التي فعل بها الشيء كـ: الطابَع، والخاتَم، والقالَب، فجعل بناؤه على هذه الصيغة؛ لكونه كالآلة في الدلالة على صانعه[٢].

وقال الحسين بن عبد الله الطيبي: المطلع؛ العالم: فاعل من العَلَم، كالطابَع والخاتَم من الطبع والختم، سمي به لكونه علمًا على حدوثه وافتقاره إلى محدث قديم... وقال صاحب الفرائد: كل عالَم؛ مَعْلَم من

(١) (تفسير الراغب الأصفهاني).

(٢) (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية الطيب على الكشاف).



حيث إنه دل على الخالق تعالى وتقدس[١].

وقال محمد الطاهر بن عاشور: والعالَم: الجنس من أجناس الموجودات، وقد بنته العرب على وزن فاعل بفتح العين؛ مشتقًا من العَلَم أو من العلامة، لأن كل جنس له تميز عن غيره فهو له علامة، أو هو سبب العلم به فلا يختلط بغيره، وهذا البناء مختص بالدلالة على الآلة غالبًا كخاتَم وقالَب وطابَع؛ فجعلوا العوالم لكونها كالآلة للعلم بالصانع، أو العلم بالحقائق، ولقد أبدع العرب في هذه اللطيفة إذ بنوا اسم جنس الحوادث على وزن فاعل لهذه النكتة[٢].

◈ **اللطيفة الثالثة: لم جاءت كلمة ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بصيغة الجمع، وعُرِّفت باللام.**

قال محمد الطاهر بن عاشور: وإنما جمع العالَم ولم يؤت به مفردًا؛ لأن الجمع قرينة على الاستغراق، لأنه لو أفرد لتوهم أن المراد من التعريف العهد أو الجنس، فكان الجمع تنصيصًا على الاستغراق، وهذه سنة الجموع مع (أل) الاستغراقية على التحقيق. انتهى[٣].

قال الزمخشري: فإن قلت: لم جمع؟ قلت: ليشمل كل جنس مما سمي به.

قال الطيبي: كل ما خلق الله كما قال: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ وهو جمع عالَم، تقول: هؤلاء عالَمون ورأيت عالَمين، ولا واحد لعالَم من لفظه، لأن عالمًا جمع لأشياء مختلفة، فإن جعل عالَم لواحد؛ صار جمعًا لأشياء متفقة، قوله: ليشمل كل جنس مما سمي به، فإن قلت: أليس هذا مخالفًا

---

(١) تفسير: (التحرير والتنوير).

(٢) المرجع السابق.

(٣) (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية الطيبي على الكشاف).

لقولهم: الاستغراق في المفرد أشمل؟ قلت: لا، لأنهم يريدون أن الجمع قد يحتمل غير الشمول في بعض المقامات، والمفرد وإن دل على الشمول والاستغراق لكن الغرض استغراق الأجناس المختلفة، فلو أفرد وقيل: رب العالَم؛ لاحتمل الاستغراق شمول أفراد كل ما يصح عليه إطلاق اسم العالَم، فلا تعلم نصوصية تعدد الأجناس وكثرتها كالجن، والإنس، والملائكة، وغيرها، كما تعلم من الجمعية، فجمع ليشمل ذلك المعنى.

وأما قول صاحب الانتصاف: والتحقيق فيه وفي كل ما يجمع من أسماء الأجناس ثم يعرف تعريف الجنس أنه يفيد أمرين: أحدهما: أن ذلك الجنس تحته أنواع مختلفة، والآخر: أنه مستغرق لجميع ما تحته منها والمفيد لاختلاف الأنواع؛ الجمع، والمفيد للاستغراق؛ التعريف، إذ لو جمع مجردًا عن التعريف؛ أفاد اختلاف الأنواع، ولو عُرِّف مجردًا عن الجمع أفاد الاستغراق.

وظهر ضعف قول الزمخشري: (جمع؛ ليشمل)، إذ الشمول من التعريف لا من الجمع، فمندفع. انتهى[(١)].

وقال الخطيب الشربيني: والعالَمين، اسم جمع عالَم بفتح اللام، وليس جمعًا له، لأن العالَم عام في العقلاء وغيرهم، والعالَمين مختص بالعقلاء، والخاص لا يكون جمعًا لما هو أعم منه، قاله ابن مالك وتبعه ابن هشام في (توضيحه): وذهب كثيرٌ إلى أنه جمع عالَم على حقيقة الجمع[(٢)].

---

(١) (تفسير السراج المنير).

(٢) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

◈ **اللطيفة الرابعة: وجه الاقتران بين ربوبيته؛ ورحمته سبحانه** ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: واقتران ربوبيته برحمته؛ كاقتران استوائه على عرشه برحمته، فـ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ مطابق لقوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فإن شمول الربوبية وسعتها بحيث لا يخرج شيء عنها؛ اقتضى شمول الرحمة وسعتها، فوسع كل شيء برحمته وربوبيته، مع أن في كونه ربًّا للعالمين؛ ما يدل على علوه على خلقه، وكونه فوق كل شيء[(١)].

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: وصف نفسه تعالى بعد ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بأنه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، لأنه لما كان في اتصافه بـ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ترهيبٌ؛ قرنه بـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لما تضمن من الترغيب، ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته وأمنع، كما قال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣]، وفي (صحيح مسلم) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**»[(٢)(٣)].

وقال محمد رشيد رضا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: والنكتة فيها ظاهرة، وهي أن تربيته تعالى للعالمين ليست لحاجة به إليهم كجلب منفعة أو دفع

---

(١) أخرجه مسلم (٦٩٧٩).

(٢) تفسير القرطبي: (الجامع لأحكام القرآن).

(٣) (تفسير المنار).

مضرة، وإنما هي لعموم رحمته وشمول إحسانه، وثمَّ نكتة أخرى؛ وهي أن البعض يفهم من معنى الربّ؛ الجبروت والقهر، فأراد الله تعالى أن يذكرهم برحمته وإحسانه، ليجمعوا بين اعتقاد الجلال والجمال[١].

وقال محمد الطاهر بن عاشور: وإجراء هذين الوصفين العَلِيَّيْن على اسم الجلالة بعد وصفه بأنه رب العالمين؛ لمناسبة ظاهرة للبليغ، لأنه بعد أن وصف بما هو مقتضٍ استحقاقه الحمد من كونه رب العالمين؛ أي مدبر شؤونهم ومبلِّغهم إلى كمالهم في الوجودين الجثماني والروحاني؛ ناسب أن يُتبِع ذلك بوصفه بالرحمان، أي الذي الرحمة له وصف ذاتي؛ تصدر عنه آثاره بعموم واطراد على ما تقدم، فلما كان ربًّا للعالمين وكان المربوبون ضعفاء؛ كان احتياجهم للرحمة واضحًا، وكان ترقبهم إياها من الموصوف بها بالذات ناجحًا، فإن قلت: إن الربوبية تقضتي الرحمة لأنها إبلاغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا وذلك يجمع النعم كلها؛ فلماذا احتيج إلى ذكر كونه رحمانًا؟ قلت: لأن الرحمة تتضمن أن ذلك الإبلاغ إلى الكمال لم يكن على وجه الإعنات، بل كان برعاية ما يناسب كل نوع وفرد ويلائم طوقه واستعداده، فكانت الربوبية نعمة، والنعمة قد تحصل بضرب من الشدة والأذى؛ فأتبع ذلك بوصفه بالرحمان؛ تنبيهًا على أن تلك النعم الجليلة وصلت إلينا بطريق الرفق واليسر ونفي الحرج[٢].

وقال الدكتور فاضل بن صالح السامرائي: وفيها أن صفة (الرحمن الرحيم) بعد (رب العالمين) ليبين أن صفة هذا الرب هي الرحمة، لذلك على المربِّي أن تكون أبرز صفاته هي الرحمة لا القسوة[٣].

(١) تفسير: (التحرير والتنوير).

(٢) لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.

(٣) تفسير: (في ظلال القرآن).

وقال سيد قطب بعد ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: هذه الصفة التي تستغرق كل معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها، تتكرر هنا في قلب السورة في آية مستقلة؛ لتؤكد السمة البارزة في تلك الربوبية الشاملة، ولتثبت قوائم الصلة الدائمة بين الرب ومربُوبِيه، وبين الخالق ومخلوقاته، إنها صلة الرحمة والرعاية[(١)].

وقال شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣هـ) بعد قوله تعالى ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: فانظر إلى حسن هذا الترتيب السري، وهذا النظم الأنيق؛ تدهش منه، وذلك أن ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أذن بالتصرف التام في الدنيا ملكًا وتربية، و﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ دل على ذلك في العقبى تسلطًا وقهرًا، وتوسيط ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بينهما مُنادٍ بترجيح جانب الرحمة، وأنه تعالى رحمن الدنيا ورحيم الآخرة[(٢)].

وقال الشيخ محمد الشعراوي: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ترغيب، ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ ترهيب، إن أبيت الترغيب؛ فلك الترهيب[(٣)].

وقال الدكتور خالد بن عثمان السبت: الرب فيها؛ ترهيب، والرحمن الرحيم؛ ترغيب، ليكون العبد بين الرهبة والرحمة كجناحي الطائر[(٤)].

◈ **اللطيفة الخامسة: وجه الارتباط بين اسم (الرب)، وقوله: ﴿ٱهۡدِنَا﴾.**

قال الدكتور فاضل بن صالح السامرائي: اسم (الرب) يناسب ما بعده، فإن من أشهر معاني الرب هو التربية، وهذا يناسب ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ

---

(١) (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية الطيبي على الكشاف).

(٢) دروس للشعراوي في الفاتحة، قناة المحور.

(٣) دروس على موقعه بعنوان: مجالس في تدبر القرآن.

(٤) لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.

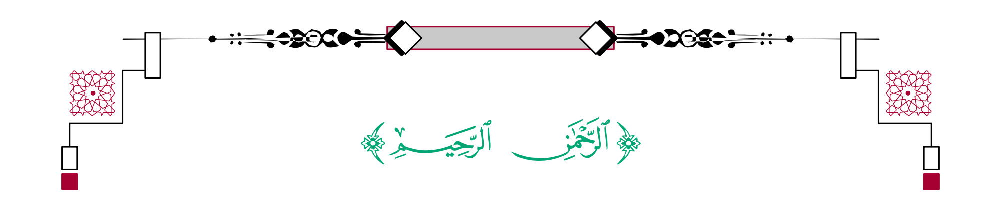
ﱡﭐ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﱠ. . .، لأن من أهم مهام أعمال المربِّي هي الهداية، وكما قلنا -سابقًا- أن العبادة اقترنت باسم الله كثيرًا، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، وغيرها من الآيات، كذلك الهداية اقترنت باسم الرب كثيرًا، قال تعالى: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾، وقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾، وقوله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1].

◈ اللطيفة السادسة: ما سر الارتباط بين اسم الرب و(إياك نستعين)؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قال الله ﷻ في أول السورة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ فبدأ بهذين الاسمين: الله والرب، والله هو الإله المعبود، فهذا الاسم أحق بالعبادة، ولهذا يقال: الله أكبر، الحمد لله، سبحان الله، لا إله إلا الله، والرب هو المربي الخالق الرازق الهادي، وهذا الاسم أحق باسم الاستعانة والمسألة، ولهذا يقال ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾، ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾، ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا﴾، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾، فعامة المسألة والاستعانة المشروعة باسم الرب، فالاسم الأول يتضمن غاية العبد، ومصيره ومنتهاه، وما خلق له، وما فيه صلاحه وكماله؛ وهو عبادة الله، والاسم الثاني يتضمن خلق العبد ومبتداه، وهو أنه يربه ويتولاه، مع أن الثاني يدخل في الأول دخول الربوبية في الإلهية، والربوبية تستلزم الألوهية أيضًا.

---

(١) تفسير الخازن المسمى: (لباب التأويل في معاني التنزيل).



◈ اللطيفة الأولى: لم تكرر اسم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في التسمية والفاتحة.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: فصفات الجلال والجمال أخص باسم (الله)، وصفات الفعل والقدرة والتفرد بالضر والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة، وكمال القوة، وتدبير أمر الخليقة؛ أخص باسم (الرب)، وصفات الإحسان، والجود، والبر، والحنان، والمنة، والرأفة، واللطف؛ أخص باسم (الرحمن الرحيم)، وكرر إيذانًا بثبوت الوصف، وحصول أثره وتعلقه بمتعلقاته، فالرحمن الذي الرحمة وصفه، والرحيم الراحم لعباده، ولهذا يقول تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

وقال علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن: فإن قلت: قد ذكر الرحمن الرحيم في البسملة؛ فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية؟ قلت: ليعلم أن العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور، وأن الحاجة إليها أكثر، فنَبَّه ﷻ بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها، وأنه هو المتفضل بها على خلقه[١].

وقال سيد قطب: بعد قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، هذه الصفة التي تستغرق كل معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها؛ تتكرر هنا في قلب السورة في آية مستقلة؛ لتؤكد السمة البارزة في تلك الربوبية الشاملة،

(١) تفسير: (في ظلال القرآن).

ولتثبت قوائم الصلة الدائمة بين الرب ومربُوبِيه، وبين الخالق ومخلوقاته، إنها صلة الرحمة والرعاية(١).

وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي: فلاحظ أن هناك ثلاثة أسماء لله قد تكرر في بسم الله الرحمن الرحيم، وفي فاتحة الكتاب، وهذه الأسماء هي: (الله، والرحمن، والرحيم)، نقول: أن ليس هناك تكرار في القرآن الكريم، وإذا تكرر اللفظ يكون معناه في كل مرة مختلفًا عن معناه في المرة السابقة، لأن المتكلم هو الله ﷻ، ولذلك فهو يضع اللفظ في مكانه الصحيح وفي معناه الصحيح... و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في البسملة لها معنى غير ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في الفاتحة، ففي البسملة هي تذكرنا برحمة الله ﷻ... فالله ﷻ يريدنا أن نستعين باسمه دائمًا في كل أعمالنا، فإذا سقط واحد منا في معصية؛ قال: كيف أستعين باسم الله وقد عصيته؟ نقول له: أُدخل عليه ﷻ من باب الرحمة، فيغفر لك، وتستعين به فيجيبك، ولكن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في الفاتحة مقترنة برب العالمين، الذي أوجدك من عدم وأحدَّك بنعم لا تعد ولا تحصى، أنت تحمده على هذه النعم التي أخذتها برحمة الله ﷻ في ربوبيته، والله ﷻ رب للمؤمن والكافر، فهو الذي استدعاهم جميعًا إلى الوجود، ولذلك فإنه يعطيهم من النعم برحمته وليس بما يستحقون، فالشمس تشرق على المؤمن والكافر... والمطر ينزل على من يعبدون الله ومن يعبدون أوثانًا من دون الله... وكل النعم التي هي من عطاء الربوبية لله؛ هي في الدنيا لخلقه جميعًا، وهذه رحمة، فالله رب الجميع؛ من أطاعه ومن عصاه، وهذه رحمة، إذًا ففي الفاتحة تأتي ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بمعنى رحمة الله في ربوبيته لخلقه، فهو يمهل العاصي، ويفتح أبواب التوبة لكل

---

(١) (تفسير الشعراوي).

من يلجأ إليه[١].

◈ **اللطيفة الثانية: لم اسم (الرحمن) أشد مبالغة من (الرحيم) وتقدَّم عليه وجُمع بينهما؛ والظاهر أنهما بمعنى واحد.**

وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: وأما ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ فهو فعلان من رَحِم و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ فَعيلٌ منه، والعربُ كثيرًا ما تبني الأسماء من (فَعِل يَفعلُ) على (فَعْلَان)، كقولهم من غضِب: غضبان، ومن سكِر: سكران، ومن عطِش: عطشان، فكذلك قولهم: رحمن من رحِم لأن، (فَعِل) منه: رَحِم يَرْحَمُ.

قيل: رَحيمٌ. وإن كان عينُ (فعِل) منه مكسورةً، لأنه مدحٌ ومن شأن العرب أن يحملوا أبنية الأسماء إذا كان فيها مدحٌ أو ذمٌ على (فَعِيل)، وإن كانت عين (فعل) منها مكسورةً أو مفتوحةً، كما قالوا مِن (عَلِم): عالمٌ عليمٌ، ومِن (قدَر): قادرٌ وقديرٌ، وليس ذلك منها بناءً على أفعالها، لأن البناء من (فعِل يَفْعَل) و(فعَل يَفْعِل): فاعل، فلو كان (الرحمن والرحيم) خارجين على بناء أفعالهما؛ لكانت صورتُهما: الراحم.

فإن قال قائل: فإذا كان (الرحمن، والرحيم) اسمين مشتقين من الرحمة، فما وجه تكرير ذلك وأحدهما مؤدٍّ عن معنى الآخر؟ قيل له: ليس الأمر في ذلك كما ظننت، بل لكل كلمة منهما معنى لا تؤدي الأخرى منهما عنها.

فإن قال: وما المعنى الذي انفردت به كل واحدةٍ منهما؛ فصارت إحداهما غير مؤدية المعنى عن الأخرى؟

قيل: أما من جهة العربية، فلا تمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب أن

(١) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

قول القائل: الرحمن عن أبنية الأسماء من (فعِل ويَفْعَل)؛ أشد عدولًا من قوله: الرحيم، ولا خلاف مع ذلك بينهم أن كل اسم كان له أصل في (فعِل ويَفْعَلُ) ثم كان عن أصله من (فعِل ويَفْعَلُ) أشد عدولًا؛ أن الموصوف به مفَضَّلٌ على الموصوف بالاسم المبني على أصله من (فعُل ويَفْعُل) إذا كانت التسمية به مدحًا أو ذمًا، فهذا ما في قول القائل: الرحمن من زيادة المعنى، على قوله: الرحيم في اللغة.. وأما من جهة الأثر... قال: سمعت العرزمي يقول: (الرحمن الرحيم) قال: (الرحمن) بجميع الخلق، (الرحيم) قال: بالمؤمنين... وقال عن أبي سعيد قال رسول الله ﷺ: «**إن عيسى ابن مريم قال: الرحمن رحمن الآخرة والدنيا، والرحيم رحيم الآخرة**» فهذان الخبران قد أنبآ عن فرق ما بين تسمية الله جل ثناؤه باسمه الذي هو: رحمن، وتسميته باسمه الذي هو رحيم... فإن قال: فأي هذين التأويلين أولى عندك بالصحة؟ قيل: لجميعهما عندنا في الصحة مخرج، فلا وجه لقول قائل: أيهما أولى بالصحة؟ وذلك أن المعنى الذي في تسمية الله بالرحمن دون الذي في تسميته بالرحيم؛ هو أنه بالتسمية بالرحمن موصوفٌ بعموم الرحمة جميعَ خلقه، وأنه بالتسمية بالرحيم موصوفٌ بخصوص الرحمة بعضَ خلقِه، إمَّا في كلِّ الأحوال، وإمَّا في بعض الأحوال، فلا شكَّ إذ كان ذلك كذلك؛ أن ذلك الخصوصَ الذي يوصفه بالرحيم لا يَسْتَحيلُ عن معناه، في الدنيا كان ذلك أو في الآخرة، أو فيهما جميعًا[١].

قلت: العرب لا تعدل من شيء إلى شيء آخر إلا لفائدة؛ وكلام الإمام ابن جرير هنا سيبينه أكثر ما بعده من كلام الإمام ابن القيم وغيره، والأثران اللذان ذكرهما ابن جرير لا يصحَّان، قال عنهما محمود محمد شاكر في

(١) (بدائع الفوائد).

تحقيقه على تفسير الطبري: إسنادان ضعيفان.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: استبعد قوم أن يكون (الرحمن) نعتًا لله، من قولنا ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾، وقالوا ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ عَلَم، والأعلام لا ينعت بها...

قال السهيلي:...وفائدة الجمع بين الصفتين ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: الإنباء عن رحمة عاجلة وآجلة، أو خاصة وعامة، انتهى كلامه.

قلت: أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت، فإنها دالة على صفات كماله، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه، لا تنافي اسميَّتُه وصفيَّته، فمن حيث هو صفة؛ جرى تابعًا على اسم الله تعالى، ومن حيث هو اسم؛ ورد في القرآن غير تابع، بل وردَ الاسم العَلَم.

ولما كان هذا الاسم مختصًا به تعالى؛ حَسُن مجيئه مفردًا غير تابع، كمجيء اسمه (الله) كذلك، وهذا لا ينافي دلالته على صفة (الرحمة)، كاسمه (الله) فإنه دال على صفة الألوهية، ولم يجِئْ قط تابعًا لغيره، بل متبوعًا، وهذا بخلاف العليم والقدير، والسميع والبصير، ونحوها، ولهذا لا تجيء هذه مفردة بل تابعة، فتأمل هذه النكتة البديعة، يظهر لك بها أن (الرحمن) اسم وصفة، لا ينافي أحدهما الآخر، وجاء استعمال القرآن بالأمرين جميعًا، وأما الجمع بين ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ففيه معنى هو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما، وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفة، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، ولم يجِئ قط (رحمن بهم)، فعُلِم أن (رحمن)

هو الموصوف بالرحمة، (رحيم) هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب، وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجَلِ لك صورتها[١].

وقال أيضًا: فالرحمن الذي الرحمة وصفه، والرحيم الراحم لعباده، ولهذا يقول تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾، ولم يجئ (رحمن بعباده)، ولا (رحمن بالمؤمنين) مع ما في اسم (الرحمن) الذي هو وزن فعلان من سعة هذا الوصف، وثبوت جميع معناه للموصوف به، ألا ترى أنهم يقولون: غضبان للممتلئ غضبًا، وندمان، وحيران، وسكران، ولهفان؛ لمن مُلِئ بذلك، فبناء فعلان للسعة والشمول، ولهذا يقرن استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيرًا، كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، فاستوى على عرشه باسم الرحمن، لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾، فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، فلذلك وسعت رحمته كل شيء[٢].

وقال السمين الحلبي بعد قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: الصحيح أن الرحمن أبلغ... والظاهر أن جهة المبالغة فيهما مختلفة، فمبالغة فعلان من حيث الامتلاء والغلبة، ومبالغة فعيل من حيث التكرار والوقوع بمحالِّ الرحمة.

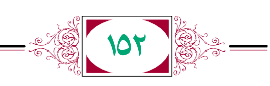
وقال أبو عبيدة: وبناء فعلان ليس كبناء فعيل، فإن بناء فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل، نحو: رجل غضبان؛ للممتلئ غضبًا، وفعيل يكون

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).
(٢) (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون).

بمعنى الفاعل والمفعول، قال:

فأمَّا إذا عَضَّتْ بك الحرب عضَّةً فإنك معطوف عليك رحيمُ

فالرحمن خاصُّ الاسم عامُّ الفعل، والرحيم عامُّ الاسم خاصُّ الفعل، ولذلك لا يتعدى فعلان، ويتعدى فعيل[(١)].

وقال مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بعد : هما وصفان لله تعالى، واسمان من أسمائه الحسنى، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، لأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم وذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، وعلى هذا أكثر العلماء، وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا[(٢)].

وقال محمد الطاهر بن عاشور: وبعد كون كل من صفتَيْ (الرحمن الرحيم) دالة على المبالغة في اتصافه تعالى بالرحمة، فقد قال الجمهور: إن الرحمن أبلغ من الرحيم؛ بناءً على أن زيادة المبنى؛ تؤذن بزيادة المعنى، وإلى ذلك مَالَ جمهور المحققين؛ مثل أبي عبيدة، وابن جِنِّي، والزجَّاج، والزمخشري، وعلى رعي هذه القاعدة، أعني أن زيادة المبنى؛ تؤذن بزيادة المعنى، فقد شاع ورود إشكال على وجه إرداف وصفه الرحمن بوصفه بالرحيم، مع أن شأن أهل البلاغة إذا أجروا وصفين في معنى واحد على موصوف في مقام الكمال؛ أن يرتقوا من الأعم إلى الأخص، ومن القوي إلى الأقوى، كقولهم: شجاع باسل، وجواد فياض، وعالم نحرير، وخطيب مصقع، وشاعر مُفلِق، وقد رأيت للمفسرين في توجيه الارتقاء من الرحمن

(١) (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز).

(٢) تفسير: (التحرير والتنوير).

إلى الرحيم أجوبة كثيرة مرجعها إلى اعتبار الرحمن أخص من الرحيم، فتعقيب الأول بالثاني تعميم بعد خاص، ولذلك كان وصف الرحمن مختصًا به تعالى، وكان أول إطلاقه مما خصه به القرآن على التحقيق؛ بحيث لم يكن التوصيف به معروفًا عند العرب، ومدلول الرحيم كون الرحمة كثيرة التعلق؛ إذ هو من أمثلة المبالغة، ولذلك كان يطلق على غير الله تعالى، كما في قوله تعالى في حق رسوله ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فليس ذكر إحدى الصفتين بمغْنٍ عن الأخرى، وتقديم الرحمن على الرحيم لأن الصيغة الدالة على الاتصاف الذاتي؛ أولى بالتقديم في التوصيف في الصفة الدالة على كثرة متعلقاتها[١].

وقال علي بن محمد الماوردي البصري، بعد قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، لأن الرحمن يتعدى لفظه ومعناه، والرحيم لا يتعدى لفظه وإنما يتعدى معناه، ولذلك سمي قوم بالرحيم، ولم يتسَمَّ أحد بالرحمن[٢].

وقال الإمام ابن كثير: قال ابن جرير: . . . سمعت العرزمي يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: قال ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ للجميع، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ قال: بالمؤمنين.

قال بعده ابن كثير: قالوا: ولهذا قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، فذكر الاستواء باسمه (الرحمن) لِيَعُمَّ جميع خلقه برحمته، وقال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ فخصهم باسمه الرحيم، قالوا: فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في

(١) (تفسير الماوردي، النكت والعيون).

(٢) تفسير ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم).

الدارين لجميع خلقه، والرحيم خاصة بالمؤمنين. انتهى[(١)].

قلت: ولا تعارض بين ما سبق من كلام وبين ما روي من حديث: «... **رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما**»[(٢)] لأنه لا يصح، ضعَّفَه الشيخ الألباني في (السلسلة الضعيفة)، (٥٢٨٧)، قال: (منكر)، والحديث إن صح فقد أجاب الإمام محمد الأمين الشنقيطي عنه كما في تفسيره (أضواء البيان) بعد أن ذكر كلام الإمام ابن كثير السابق، قال: فإن قيل: كيف الجمع بين ما قررتم وبين ما جاء في الدعاء المأثور في قوله ﷺ: «**رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما**»؟ فالظاهر في الجواب، والله أعلم: أن الرحيم خاص بالمؤمنين كما ذكرنا، لكنه لا يختص بهم في الآخرة، بل يشمل رحمتهم في الدنيا أيضًا فيكون معنى (رحيمهما) رحمته بالمؤمنين فيهما[(٣)].

وقال الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي بعد قوله، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: فالرحمن من يصل رحمته إلى الخلق على العموم، والرحيم من يصل رحمته إليهم على الخصوص، ولذلك يُدعَى غير الله رحيمًا ولا يُدعَى رحمانًا، فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى[(٤)].

وقال محمد بن محمد بن عرفة المالكي: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: إن قلت: لم قُدِّم الوصف بالرحمن مع أنه أبلغ؛ على الوصف بالرحيم؟

---

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير)، (١٦٧٣٩)، والحاكم في (المستدرك)، (١٨٩٨) وغيرهم.

(٢) (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن).

(٣) (تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل).

(٤) (تفسير ابن عرفة).

فيلزم أن يكون تأكيد للأقوى بالأضعف، فأجيب بوجهين:

الأول: الرحمن لما كان خاصًا بالله تعالى؛ جرى مجرى (الأسماء) الأعلام التي تلي العوامل على الرحيم.

الثاني: إن الرحمن دالٌّ على جلائل النعم والرحيم على دقائقها[١].

وقال بيان الحق محمود بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وقدم الرحمن وإن كان أبلغ؛ لأنه كالعلم، إذ كان لا يوصف به غير الله، فصار كالمعرفة في الابتداء بها[٢].

وقال عبد القادر بن أحمد بدران: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسمان بُنيا للمبالغة، فوزن الأول فعلان؛ كغضبان وعطشان، وهذا الباب يأتي للصفات العارضة، ألا ترى أن الغضب والعطش صفات تعرض وتزول، ووزن الثاني فعيل؛ كعليم وجميل وحليم، وهو يدل على المعاني الثابتة ألا ترى أن الحلم صفة ثابتة، وكذا العليم، وهما من جملة الأخلاق والسجايا، فلفظ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ لما كان يدل على من تصدر منه آثار الرحمة بالفعل؛ التي هي إفاضة النعم والإحسان، اختلج في قلب السامع أن هذا الوزن للصفات العارضة التي ربما لا تدوم؛ أردفه بقوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الدال على الصفات الثابتة، إشارة إلى أنه تعالى مفيض لجميع النعم، سواء كانت عارضة أو ثابتة، فالوصف الثاني دالٌّ على منشأ هذه الرحمة والإحسان، وعلى أن هذه الصفة ثابتة واجبة، فليس الثاني تأكيدًا للأول، بل هو كذكر الدليل بعد المدلول[٣].

(١) (إيجاز البيان عن معاني القرآن).

(٢) (جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار).

(٣) (محاسن التأويل)، للقاسمي.

وقال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي: فلفظ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل؛ وهي إضافة النعم والإحسان، ولفظ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ يدل على منشأ الرحمة والإحسان، وعلى أنها من الصفة الثابتة الواجبة، وبهذا المعنى لا يُستَغنى بأحد الوصفين عن الآخر، ولا يكون الثاني مؤكدًا للأول، فإذا سمع العربي وصف الله جل ثناؤه بـ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، وفهم منه أنه المفيض للنعم فعلًا لا يعتقد منه أن الرحمة من الصفات الواجبة له دائمًا، لأن الفعل قد ينقطع إذا كان عارضًا لم ينشأ عن صفة لازمة ثابتة، فعندما يسمع لفظ (الرحيم) يكمل اعتقاده على الوجه الذي يليق بالله تعالى ويرضيه سبحانه[١].

وقال الدكتور فاضل السامرائي: (الرحمن) على وزن فعلان، و(الرحيم) على وزن فعيل، ومن المقرر في الصرف أن فعلان صفة مشبهة، وهي تفيد الحدوث والتجدد والامتلاء، مثال: عطشان، تشرب الماء فيذهب العطش، كذلك ريَّان، جوعان، غضبان، وهكذا تفيد الحدوث والتجدد، إذًا فعلان في أصل وضعها اللغوي تفيد الحدوث والتجدد والامتلاء في الوصف.

(الرحيم) صفة فعيل تفيد الثبوت في الصفة، مثل: طويل، قصير، جميل، قبيح، وهكذا، وتفيد أيضًا ما يسمى التحول في الصفات، وهي أن تمارس صفة حتى تكون ثابتة أو قريبة من الصفة الأولى، مثال: خطيب، لا يقال عنه خطيب حتى يمارس الخطابة فيصبح خطيبًا، وهكذا كريم، وفقيه، وغيرهما.

وهذا الإحساس اللغوي في أن صيغة فعلان؛ تفيد التجدد، وفعيل؛ تفيد الثبوت؛ ما زالت موجودة في لغتنا الدارجة الحاليَّة، مثلًا تقول عن إنسان:

---

(١) لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.

طولان، فيرد عليك أحدهم هو طويل، وقد تقول لبعضهم: ضعفان أو نحفان، فيرد عليك أحدهم هو ضعيف أو هو نحيف، لذلك جاء الله سبحانه بصفتين تفيد التجدد والثبوت، لأنه لو جاء بصيغة (رحمن) وحدها؛ لسبق إلى أذهان العرب أن هذه الصفة طارئة، كما تزول صفة عطشان بعد الشرب وجوعان بعد الأكل، ولو قال (رحيم) وحدها فقد يسبق إلى أذهان العرب أنها صفة ثابتة لكنها غير متجددة، لذلك جاء بالصيغة الثابتة والمتجددة؛ ليدل على أن رحمته مستمرة لا تنقطع. فقدَّم صفة الرحمن المتجددة، على الرحيم الثابتة؛ ليبين للإنسان أن هذه الصفة متجددة عليك مستمرة لا تنقطع[١].

◈ **اللطيفة الثالثة: مناسبة ذكر ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قبل ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.**

قال مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: لما أراد ذكر يوم الدين لأنه مَلِكه ومالكه، وفيه يقع الجزاء والعقاب والثواب، وفي ذكره يحصل للمؤمن ما لا مزيد عليه من الرعب، والخشية، والخوف، والهيبة؛ قُدِّم عليه ذكر ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تطمينًا له وتأمينًا، وتطييبًا لقلبه، وتسكينًا، وإشعارًا بأن الرحمة سابقة غالبة؛ فلا ييأس ولا يأسى، فإن ذلك اليوم وإن كان عظيمًا عسيرًا؛ فإنما عسره وشدته على الكافرين، وأما المؤمن فبين صفتي (الرحمن، الرحيم) من الآمنين[٢].

وقال محمد بن أحمد بن جِزِّي المدعوُّ بالقاسم الكلبي: قُدِّم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ على ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾؛ لأن رحمة الله سبقت غضبه[٣].

---

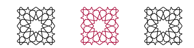
(١) (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز).

(٢) (تفسير التسهيل لعلوم التنزيل)، لابن جزي.

(٣) (اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب).

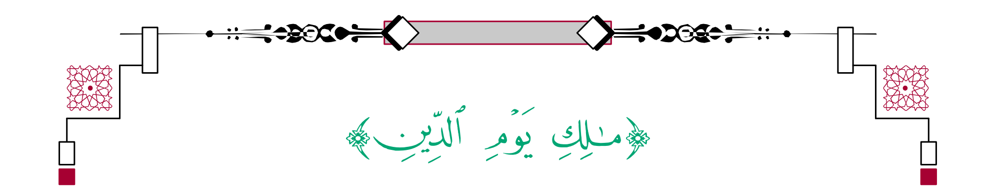
وقال سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم: الجمع بين الترغيب والترهيب؛ يؤخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فهذا ترغيب، ثم قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، وهذا ترهيب، كما قال تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾[١].

وقال الدكتور عبد الكريم الخطيب: ومجيء ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ معطوفًا عطف بيان على ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ للإشعار بأن هذه الملكية رحمانية ورحمة[٢].



(١) (التفسير القرآني للقرآن).

(٢) تفسير القرطبي: (الجامع لأحكام القرآن).



◈ **اللطيفة الأولى: لم أضيف يوم الدين إلى الله وأنه مالكه؛ مع أنه يملك الدنيا والآخرة.**

قال الإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: فيقال: لم خصص يوم الدين وهو مالك يوم الدين وغيره؟ قيل له: لأن في الدنيا كانوا منازعين في الملك، مثل: فرعون ونمرود وغيرهما، وفي ذلك اليوم لا ينازعه أحد في ملكه وكلهم خضعوا له، كما قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾، فأجاب جميع الخلق: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾، فلذلك قال: ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾؛ أي: في ذلك اليوم لا يكون مالكٌ، ولا قاضٍ، ولا مُجازٍ غيره سبحانه، لا إله إلا هو. انتهى[١].

قلت: من معاني الدين: العادة، ففي يوم الدين يبطُلُ ما سنَّه الناس من أعراف وعادات، وقوانين وأحكام؛ مما قُدِّم وفُضِّل على كلامه وشريعته ﷻ، فلا أحد يتقدَّم اليوم عليه بكلام، ولا فكر، ولا عادة، ولا غيرها، وهذا ما ألمح إليه بعض العلماء، مثل النحاس وابن كثير.

قال النحاس بعد قوله تعالى: ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾: وقال مجاهد: الدين؛ الجزاء... والدين أيضًا؛ العادة، كما قال الشاعر:

أهذا دينه أبدًا وديني

(١) (معاني القرآن) للنحاس.

أي أهذه عادته دائمًا وعادتي.

والعادة تجري مجرى الدِّين، وفلان في دين فلان؛ أي في سلطانه وطاعته، فإن قيل: لم خصت القيامة بهذا؟ فالجواب: أن يوم القيامة يوم يضطر فيه الخلائق إلى أن يعرفوا أن الأمر كله لله تعالى، وقيل: خصه؛ لأن في الدنيا ملوكًا وجبارين، ويوم القيامة يرجع الأمر كله إلى الله تعالى[(١)].

وقال ابن كثير بعد قوله ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، وتخصيص الملك بيوم الدين؛ لا ينفيه عما عداه، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك عام في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين؛ لأنه لا يدَّعي أحد هناك شيئًا، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ يقول: لا يملك أحدٌ في ذلك اليوم معه حكمًا؛ كملكهم في الدنيا[(٢)].

وقال الشيخ محمد علي الشنقيطي: لم قال ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وهو مالك الدين والدنيا؟ وذلك؛ لأن في الدنيا هناك من يملك بيته وماله وأشياء فهي تنسب إليه[(٣)].

◈ اللطيفة الثانية: وهي تنوع القراءة في الآية بـ (مَلِك) و(مالك).

قال الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين: وفي الجمع بين القراءتين فائدة عظيمة، وهي أن ملكه جل وعلا ملك حقيقي، لأن من الخلق من يكون ملِكًا ولكن ليس بمالك، يسمى ملِكًا اسمًا وليس له من التدبير شيء،

---

(١) تفسير ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم).

(٢) (تفسير سورة الفاتحة) على موقعه على الإنترنت.

(٣) (تفسير الفاتحة والبقرة) لابن عثيمين.

ومن الناس من يكون مالكًا ولا يكون ملِكًا كعامة الناس، ولكن الرب ﷻ (مالك وملِك)[١].

وقال الدكتور فاضل بن صالح السامرائي: جاءت القراءات بـ (مالك، وملك) لأن كل واحد يختص بصفات لا يختص بها الآخر، فالمَلِك مثلًا لا يملك ما بيد الناس، ومالك يملك الشيء لكنه قد لا يكون ملكًا وهكذا، لذلك جاء (مالك وملك) لتبيين أن الله ملك ومالك[٢].

وقال الإمام الشوكاني: وقد اختلف العلماء، أيهما أبلغ؛ ملك أو مالك؟... والحق أن لكل واحد من الوصفين نوع أخصية لا يوجد في الآخر، فالمالك يقدر على ما لا يقدر عليه المَلِك من التصرفات بما هو مالك له؛ بالبيع والهبة والعتق ونحوها، والمَلِك يقدر على ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة إلى تدبير المُلك وحياطته ورعاية مصالح الرعية، فالمالك أقوى من المَلك في بعض الأمور، والمَلك أقوى من المالك في بعض الأمور، والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب: أن المَلك صفة لذاته، والمالك صفة فعله. انتهى[٣].

وقال الإمام محمد بن جرير الطبري: القراء مختلفون في تلاوة: ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ فبعضهم يتلوه ﴿مَلِكِ يوم الدين﴾، وبعضهم يتلوه ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾... ولا خلاف بين جميع أهل المعرفة بلغات العرب أن المَلِكَ من المُلْكِ مشتق، وأن المالك من المِلْك مأخوذ، فتأويل قراءة من قرأ ذلك (مَلِك يوم الدين) أن لله المُلْك خالصًا يوم الدين دون

(١) لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.
(٢) (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير).
(٣) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكًا جبابرة ينازعونه الملك. . .
وأما تأويل قراءة من قرأ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، عن ابن عباس ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ يقول: لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكمًا كملكهم في الدنيا[١].

◈ **اللطيفة الثالثة: لم ذكر أنه ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ بعد ذكر رحمته في ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.**

قال أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي بعد قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾؛ دلالة على إثبات المعاد، والحشر، والحساب، ولما اتصف تعالى بالرحمة انبسط العبد وغلب عليه الرجاء، فنبَّه بصفة الملك أو المالك؛ ليكون من عمله على وَجَل، وأن لعمله يومًا تظهر له فيه ثمرته من خير وشر[٢].

وقال محمد بن أحمد الشربيني، عند قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾: . . .ثم لما بيَّن الرحمة المضاعفة فكأنه قال: لا تغتروا بذلك، فإني ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، ونظيره قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾[٣].

وقال محمد الطاهر بن عاشور، بعد قوله تعالى ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾:
إتباع الأوصاف الثلاثة المتقدمة بهذا؛ ليس لمجرد سرد صفات من صفاته تعالى، بل هو مما أثارته الأوصاف المتقدمة، فإنه لما وصف تعالى بأنه ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وكان ذلك مفيدًا لما قدَّمناه من التنبيه

---

(١) (تفسير البحر المحيط).
(٢) (تفسير السراج المنير).
(٣) تفسير: (التحرير والتنوير).

على كمال رفقه تعالى بالمربوبين في سائر أكوانهم، ثم التنبيه بأن تصرفه تعالى في الأكوان والأطوار تصرف رحمة عند المعتبر؛ خِيفَ أن تكون تلك الأوصاف المتقدمة في فاتحة الكتاب مخففًا عن المكلفين عِبْء العصيان لما أمروا به، ومثيرًا لأطماعهم في العفو عن استخفافهم بذلك، وأن يمتلكهم الطمع فيعتمدوا على ما علموا من الربوبية والرحمة المؤكدة، فلا يخشوا غائلة الإعراض عن التكاليف، لذلك كان من مقتضى المقام تعقيبه بذكر أنه صاحب الحكم في يوم الجزاء ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧]، لأن الجزاء على الفعل سبب في الامتثال والاجتناب لحفظ مصالح العالم، وأحيط ذلك بالوعد والوعيد، وجعل مصداق ذلك الجزاء يوم القيامة[١].

◈ **اللطيفة الرابعة: لم جاءت كلمة ﴿مَـٰلِكِ﴾ بمعنى الماضي وبصيغة الفاعل.**

قال الحسين بن عبد الله الطيبي: إذا قصد معنى الماضي، كقولك: هو مالك عبده أمس، أو زمان مستمر، كقولك: زيد مالك العبيد... وإنما جمع العبيد في المثال الثاني وأفرده في الأول؛ ليؤذن بتملكه إياهم في الأزمنة المختلفة، هذا هو المعنى في ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، يعني كما قلنا من أن القصد هو المعنى أو الزمان المستمر، كذا هو المعنى في قوله ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ لا لمجرد الحال والاستقبال.

وقال: أن يُقصَد بالإخبار عن الآتي بلفظ المُضِيّ على سنن إخبار الله كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾، فإن إخبار الله عن المستقبل؛ في كونه واجب الوقوع كالماضي المحقق. انتهى[٢].

---

(١) (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية الطيبي على الكشاف).
(٢) (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية الطيبي على الكشاف).

قلت: ﴿مَـٰلِكِ﴾: جاءت الكلمة بصيغة اسم الفاعل، لعل في هذا دلالة على وقوع هذا الأمر وتحققه.

◈ اللطيفة الخامسة: لم كُنِّيَ بالمفعول فيه ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؛ عن المفعول به.

قال الحسين بن عبد الله الطيبي: والمعنى على الظرفية، يعني لمح في المفعول به معنى الأصل، أي: المفعول فيه، فالاتساع حينئذٍ على الكناية، لأنه لا يُراعَى معنى المنقول منه في المنقول إليه إلا في الكناية، وهذه الطريقة أبلغ من الأصل، وإن شئت فاختبر نفسك بين ما إذا قلت: فلان مالك الدهر صاحب الزمان، وبين ما إذا قلت: مالك الأمور في الزمان، تجد الفرق، وفائدتها الشمول التام، لأن تملُّك الزمان يستلزم تملُّك ما فيه على أبلغ وجه في مقام العموم والتعظيم.

قال أبو علي في الحجة: وأما إضافة مَلِك إلى الزمان، فكما يقال: ملك عام كذا، وملوك سني كذا، وملك زمانه، وسيد زمانه، وهو في المدح أبلغ، ولهذا قال: مالك الأمر كله في يوم الدين؛ جعل المفعول فيه مفعولًا به اتساعًا، ثم كنَّاه عن المفعول فيه للمبالغة[1].

◈ اللطيفة السادسة: لم ذكر قبل ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ الإلهية والربوبية والرحمة.

قال شهاب الدين محمود الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠): يقول: يا عبادي إن كنتم تحمدون وتعظمون للكمال الذاتي والصفاتي؛ فاحمدوني فإني أنا الله، وإن كان للإحسان والتربية والإنعام؛ فإني أنا رب العالمين، وإن كان للرجاء والطمع في المستقبل؛ فإني أنا الرحمن الرحيم، وإن كان للخوف؛

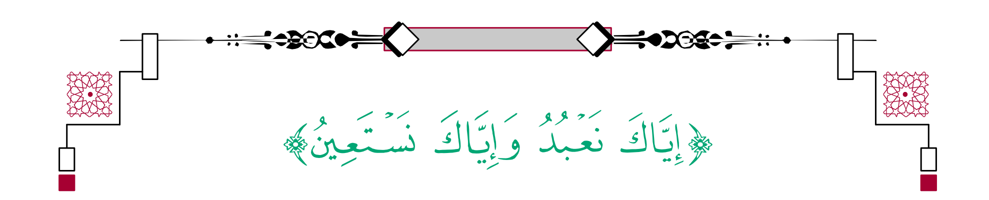
(١) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

فإني أنا مالك يوم الدين[١].

وقال ابن قيم الجوزية: يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، ويقال: الرحمن والرحيم والقدوس والسلام والعزيز من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن أو العزيز ونحو ذلك، فعُلِم أن اسمه مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دالٌّ عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله، واسم الله دالٌّ على كونه مألوهًا معبودًا تؤلِّهه الخلائق محبة وتعظيمًا وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمِّنَيْن لكمال الملك والحمد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه؛ مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته[٢].

---

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).
(٢) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).



﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾

◈ **اللطيفة الأولى: لم قدم المفعول ﴿إِيَّاكَ﴾ على الفعل (نعبد، نستعين).**

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وأما تقديم المعبود والمستعان على الفعلين، ففيه أدبهم مع الله تعالى بتقديم اسمه على فعلهم، وفيه الاهتمام وشدة العناية به، وفيه الإيذان بالاختصاص المسمى بالحصر، فهو في قوة لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك، والحاكم في ذلك ذوق العربية والفقه فيها، واستقراء موارد استعمال ذلك مقدمًا، وسيبويه نص على الاهتمام ولم ينف غيره، ولأنه يقبح من القائل أن يعتق عشرة أعبد مثلًا، ثم يقول لأحدهم: إياك أعتقت، ومن سمعه أنكر ذلك عليه، فقال: وغيره أيضًا أعتقت، ولولا فهم الاختصاص؛ لما قبح هذا الكلام، ولا حسن إنكاره، وتأمل قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾؛ كيف تجده في قوة: لا ترهبوا غيري ولا تتقوا سواي؟ وكذلك ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ هو في قوة: لا نعبد غيرك، ولا نستعين بسواك، وكل ذي ذوق سليم يفهم هذا الاختصاص وهذا السياق، ولا عبرة بجدل من قل فقهه، وفتح عليه باب الشك والتشكيك، فهؤلاء هم آفة العلوم، وبلية الأذهان والفهوم، مع أن في ضمير (إياك) من الإشارة إلى نفس الذات والحقيقة ما ليس في الضمير المتصل، ففي (إياك) قصدت وأحببت من الدلالة على معنى؛ حقيقتك وذاتك قصدي، ما ليس في قولك: قصدتك وأحببتك وإياك أعني، فيه معنى نفسك وذاتك وفيه معنى حقيقتك أعني[١].

(١) (بدائع الفوائد).

وقال أيضًا: وهو أن لفظ (ألف) و(ياء) مكررة راجع في جميع الكلام إلى معنى التعيين والتمييز للشيء من غيره، فمنه: إياه الشمس؛ لضوئها، لأنه يبينها ويميزها من غيرها، ومنه: الآية؛ العلامة، ومنه: خرج القوم بآيتهم، أي بجماعتهم التي يتميزون بها عن غيرهم، ومنه: تأيَّيتَ بالمكان؛ أي: تلبَّثتَ لتَتبيَّن شيئًا أو تُميِّزه، ومنه (إياك) في المضمرات، لأنه في أكثر الكلام مفعول مقدم، والمفعول إنما يتقدم على فعله قصدًا إلى تعيينه، وحرصًا على تمييزه من غيره، وصرفًا للذهن عن الذهاب إلى غيره، ولذلك تقدم في (إياك نعبد) إذ الكلام وارد في معرض الإخلاص وتحقيق الوحدانية، ونفي عوارض الأوهام عن التعلق بغيره، ولهذا اختصت (أي) بنداء ما فيه (الألف واللام) تمييزًا له وتعيينًا، وكذلك: أي زيد، ومنه: إياك المراء والأسد، أي: ميِّز نفسك وأخلصها عنه[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: لا يُعرَف عن أحد من أئمة المسلمين أنه جَوَّز مطلق الاستعانة بغير الله، ولا أنكر على من نفى مطلق الاستعانة عن غير الله، وكذلك الاستعانة أيضًا فيها ما لا يصلح إلا لله، وهي المشار إليها بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ فإنه لا يعين على العبادة الإعانة المطلقة إلا الله، وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه، وكذلك الاستنصار، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ والنصر المطلق هو خلق ما به يغلب العدو، ولا يقدر عليه إلا الله[2].

وقال أيضًا: فمن فهم معنى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ عرف أنه لا يعين على العبادة الإعانة المطلقة إلا الله وحده، وأنه يستعان

(١) (مجموع الفتاوى).

(٢) (مجموع الفتاوى).

بالمخلوق فيما يقدر عليه، وكذلك الاستعانة لا تكون إلا بالله، والتوكل لا يكون إلا عليه ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فالنصر المطلق؛ وهو خلق ما يغلب به العدو؛ لا يقدر عليه إلا الله[(١)].

وقال الإمام ابن كثير: وقدم المفعول وهو ﴿إِيَّاكَ﴾ وكرر للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة، والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين[(٢)].

وقال الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين: ومنها: إخلاص الاستعانة بالله ﷻ لقوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾؛ حيث قدَّم المفعول[(٣)].

وقال أبو محمد محمد بن عطية الأندلسي: وقدم المفعول على الفعل اهتمامًا، وشأن العرب تقديم الأهم[(٤)].

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: إن قيل قدّم المفعول على الفعل، قيل له: قدم اهتمامًا، وشأن العرب تقديم الأهم. يذكر أن أعرابيًا سب آخر فأعرض المسبوب عنه، فقال له الساب: إياك أعني، فقال له الآخر: وعنك أعرض، فقدَّما الأهم، وأيضًا لئلا يتقدم ذكر العبد والعبادة؛ على المعبود[(٥)].

وقال عبد القاهر الجرجاني: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ فلما قدم الضمير لكون ذكره أهم من ذكر العبادة، قيل: كذلك مثاله قولهم: إياه

---

(١) تفسير ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم).

(٢) (تفسير الفاتحة والبقرة) لابن عثيمين.

(٣) تفسير ابن عطية: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز).

(٤) تفسير القرطبي: (الجامع لأحكام القرآن).

(٥) (درج الدرر في تفسير القرآن العظيم)، للجرجاني.

ضربت[١].

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي بعد قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، وإنما لم يقل: نعبدك؛ ليكون أفصح في العبارة وأحسن في الإشارة، لأنهم إذا قالوا ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ كان نظرهم منه إلى العبادة، لا من العبادة إليه[٢].

وقال عبد الكريم بن هوازن القشيري: بعد قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ معناه: نعبدك ونستعين بك، والابتداء بذكر المعبود؛ أتم من الابتداء بذكر صفته التي هي عبادته واستعانته[٣].

وقال محمد بن أحمد الشربيني: فإن قيل لم قدم المفعول؟ أجيب: بأن تقديمه للتعظيم والاهتمام به، والدلالة على الحصر، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه: نعبدك ولا نعبد غيرك، وتقديم ما هو مقدم في الوجود، والتنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون نظره إلى المعبود أولًا وبالذات ومنه إلى العبادة لا من حيث أنها عبادة صدرت عنه، بل من حيث أنها نسبة شريفة إليه ووصلة بينه وبين الحق[٤].

وقال بديع الزمان سعيد النورسي: واعلم أن تقديم (إياك) للإخلاص الذي هو روح العبادة، وأن في خطاب الكاف رمزًا إلى علة العبادة، لأن من اتصف بتلك الأوصاف الداعية إلى الخطاب؛ استحق العبادة[٥].

---

(١) تفسير الثعلبي: (الكشف والبيان عن تفسير القرآن).
(٢) (لطائف الإشارات) للقشيري.
(٣) (تفسير السراج المنير).
(٤) (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز).
(٥) (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز).

وقال أيضًا: واعلم أن نظم (نستعين مع نعبد) كنظم الأجرة مع الخدمة، لأن العبادة حق الله على العبد، والإعانة إحسانه تعالى لعبده، وفي حصر ﴿إِيَّاكَ﴾ إشارة إلى أن بهذه النسبة الشريفة التي هي العبادة والخدمة له تعالى؛ يترفع العبد عن التذلل للأسباب والوسائط، بل تصير الوسائط خادمة له وهو لا يعرف إلا واحد. انتهى[(١)].

قلت: أي أن العبادة كالخدمة، والإعانة إحسان كأنها الأجرة.

وقال أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾: فإنه تعالى مُقدَّم على العابد والعبادة ذاتًا؛ فقُدِّم وضعًا، ليوافق الوضعُ؛ الطبعَ، وتنبيه العابد من أول الأمر على أن المعبود هو الله تعالى الحق، فلا يتكاسل في التعظيم، ولا يلتفت يمينًا وشمالًا، والاهتمام؛ فإن ذكره تعالى أهم للمؤمنين في كل حال، لا سيما حال العبادة لأنها محل وساوس الشيطان، والإشارة إلى حال العارف وأنه ينبغي أن يكون نظره إلى المعبود أولًا وبالذات وإلى العبادة من حيث إنها وصلة إليه وراحلة تغُذُّ به عليه... فهو أبلغ التوحيد، وأبعد عن احتمال الشرك[(٢)].

وقال محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ أشار في هذه الآية الكريمة إلى تحقيق معنى لا إله إلا الله، لأن معناها مركب من أمرين: نفي، وإثبات.. فالنفي: خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، والإثبات: إفراد رب السماوات والأرض وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع، وقد أشار إلى النفي من لا إله

(١) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).
(٢) (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن).

إلا الله بتقديم المعمول الذي هو (إياك)... وفي المعاني في مبحث القصر: أن تقديم المعمول؛ من صيغ الحصر، وأشار إلى الإثبات منها بقوله: (نعبد)[(١)].

وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، تقديم المفعول ﴿إِيَّاكَ﴾ يفيد أننا لا نعبد إلا أنت، ولو قال (نعبدك)؛ لجاز أن يعطف عليها؛ ونعبد سواك[(٢)].

وقال الراغب الأصفهاني: كيف قال ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، ولو قال (نعبدك) كان أوجز منه لفظًا؟ قيل: إن عادتهم أن يقدموا من الفاعل والمفعول ما القصدُ الأول إليه، والاهتمام متوجه نحوه، وإن كان في ذكر الجملة القصدان جميعًا.

تقول بالأمير استخف الجند؛ إذا كان القصد الأول ذكر من وقع به استخفاف الجند، والأمير استخف بالجند؛ إذا كان القصد الأول إلى من أقدم على الاستخفاف بهم، ولما كان المقصود الأول في هذا الموضوع ذكر المعبود دون الإخبار عن اتخاذ عبادتهم؛ كان تقديم ذكره أولى، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾، وأيضًا ففي ذكر المفعول إشارة إلى إثبات الحكم المذكور ونفيه عن غيره، تقول: إليك أفزع، تنبيهًا أني لا أفزع إلا إليك[(٣)].

---

(١) دروس للشيخ الشعراوي على قناة المحور.

(٢) (تفسير الراغب الأصفهاني).

(٣) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

◈ **اللطيفة الثانية: لم كرر الضمير ﴿إِيَّاكَ﴾، ولم يقل (إياك نعبد ونستعين).**

قال محمد بن جرير الطبري: فما وجه تكراره ﴿إِيَّاكَ﴾ مع قوله ﴿نَسْتَعِينُ﴾ وقد تقدم ذلك قبل ﴿نَعْبُدُ﴾، وهلَّا قيل: إياك نعبد ونستعين، إذ كان المخبر عنه أنه المعبود؛ هو المخبر عنه أنه المستعان؟

قيل له: إن الكاف التي مع (إيَّا) هي الكاف التي كانت تتصل بالفعل، أعني بقوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ لو كانت مؤخرة بعد الفعل وهي كناية اسم المخاطب المنصوب بالفعل، فكثرت بـ(إيا) متقدمة، إذ كانت الأسماء إذا انفردت بأنفسها لا تكون في كلام العرب على حرف واحد، فلما كانت الكاف من ﴿إِيَّاكَ﴾ هي كناية اسم المخاطب التي كانت تكون كافًا وحدها متصلة بالفعل، إذا كانت بعد الفعل، ثم كان حظها أن تعاد مع كل فعل اتصلت به، فيقال: اللهم إنا نعبدك ونستعينك ونحمدك، ونشكرك، وكان ذلك أفصح في كلام العرب من أن يقال: اللهم إنا نعبدك ونستعين ونحمد؛ كان كذلك إذا قدمت كناية اسم المخاطب قبل الفعل موصولة بـ(إيا)، كان الأفصح إعادتها مع كل فعل، كما كان الفصيح من الكلام إعادتها مع كل فعل إذا كانت بعد الفعل متصلة به، وإن كان ترك إعادتها جائزًا[١].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: وفي إعادة (إياك) مرة أخرى؛ دلالة على تعلق هذه الأمور بكل واحد من الفعلين، ففي إعادة الضمير من قوة الاقتضاء لذلك ما ليس في حذفه، فإذا قلت لملك مثلًا: إياك أحب، وإياك أخاف؛ كان فيه من اختصاص الحب والخوف بذاته والاهتمام بذكره؛ ما ليس في قولك: إياك أحب وأخاف[٢].

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

(٢) تفسير الثعلبي: (الكشف والبيان عن تفسير القرآن).

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي: وإنما كرر ﴿إِيَّاكَ﴾؛ ليكون أدلَّ على الإخلاص والاختصاص والتأكيد، كقول الله ﷻ حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤﴾ [طه: ٣٣، ٣٤]، ولم يقل: كي نسبحك ونذكرك كثيرًا[(١)].

وقال الراغب الأصفهاني: إن قيل: لم كرر إياك؟ قيل: لأنه لو قال: إياك نعبد ونستعين؛ لكان يصح أن يعتقد أن الاستعانة بغيره، وكان إعادته أبلغ[(٢)].

وقال محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: وكرر (إياك)؛ ليكون كل من العبادة والاستعانة سِيقًا في جملتين، وكل منهما مقصودة، وللتنصيص على طلب العون منه بخلاف لو كان: إياك نعبد ونستعين، فإنه كان يحتمل أن يكون إخبارًا بطلب العون، أي: وليطلب العون من غير أن يعيِّن ممن يطلب[(٣)].

وقال بديع الزمان سعيد النورسي: بعد قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، كرر ﴿إِيَّاكَ﴾ لتزييد لذة الخطاب والحضور، ولأن مقام العيان أعلى وأجل من مقام البرهان، ولأن الحضور أدعى إلى الصدق وبأن لا يكذب، ولاستقلال كل من المقصدين[(٤)].

وقال محمد رشيد بن علي رضا: بعد قوله تعالى، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: ما أفاده الحصر من وجوب تخصيص الاستعانة بالله تعالى وحده.

---

(١) (تفسير الراغب الأصفهاني).

(٢) (تفسير البحر المحيط).

(٣) (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز).

(٤) (تفسير المنار).

وقال أيضًا: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: وخصت بالذكر لئلا يتوهم الجهلاء أن الاستعانة بمن اتخذوهم أولياء من دون الله، واستعانوا بهم فيما وراء الأسباب المكتسبة لعامة الناس؛ هي كالاستعانة بسائر الناس في الأسباب العامة، فأراد الحق جل شأنه أن يرفع هذا اللبس عن عباده ببيان أن الاستعانة بالناس فيما هو في استطاعة الناس؛ إنما هو ضرب من استعمال الأسباب المسنونة، بخلاف الاستعانة بهم في شؤون تفوق القدرة والقوى الموهوبة لهم والأسباب المشتركة بينهم؛ كالاستعانة في شفاءٍ بما وراء الدواء، وعلى غلبة العدو... فإن ذلك مما لا يجوز الفزع والتوجه فيه إلى غير الله تعالى[١].

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: وأعيد لفظ ﴿وَإِيَّاكَ﴾ في الاستعانة دون أن يعطف فعل ﴿نَسْتَعِينُ﴾ على ﴿نَعْبُدُ﴾ مع أنهما مقصودان جميعًا، كما أنبأ عنه عطف الجملة على الجملة؛ لأن بين الحصرين فرقًا، فالحصر في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حقيقي، والقصر في ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ادعائي، فإن المسلم قد يستعين غير الله تعالى، كيف وقد قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾، ولكنه لا يستعين في عظائم الأمور إلا بالله، ولا يعد الاستعانة حقيقية إلا الاستعانة بالله تعالى[٢].

وقال أيضًا: والحصر المستفاد من التقديم في قوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: حصر ادعائي، للمبالغة، لعدم الاعتداد بالاستعانات المتعارفة بين الناس بعضهم ببعض في شئونهم، ومعنى الحصر هنا: لا نستعين على عظائم الأمور التي لا يستعان فيها بالناس؛ إلا بالله تعالى. انتهى[٣].

---

(١) تفسير: (التحرير والتنوير).

(٢) المرجع السابق.

(٣) (مجموع الفتاوى).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: لا يُعرَف عن أحد من أئمة المسلمين أنه جَوَّز مطلق الاستغاثة بغير الله، ولا أنكر على من نفى مطلق الاستغاثة عن غير الله، وكذلك الاستعانة أيضًا، فيها ما لا يصلح إلا لله، وهي المشار إليها بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، فإنه لا يعين على العبادة الإعانة المطلقة إلا الله، وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه، وكذلك الاستنصار، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾، والنصر المطلق هو خلق ما به يغلب العدو، ولا يقدر عليه إلا الله[١].

وقال محمود بن أبي الحسن علي بن الحسين النيسابوري الغزنوي: وإنما كرر (إياك)؛ لأنه بمعنى الكاف في نعبدك ونستعينك، ولأنه تعليم أن يجدد لكل دعوة عزيمة وتوجُّهًا، ولا نجمعهما في ربقة ولا نعرضهما في صفقة[٢].

وقال محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾: إعادة (إياك) مع الفعل الثاني؛ تفيد أن كلًّا من العبادة والاستعانة مقصود بالذات، فلا يستلزم كل منهما الآخر[٣].

◈ اللطيفة الثالثة: النكتة في التحول في الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب.

قال الزمخشري: لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام؛ تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن، حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل: إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك، ولا

(١) (باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن).
(٢) (إعراب القرآن وبيانه).
(٣) تفسير الزمخشري: (الكشاف).

نستعينه؛ ليكون الخطاب أدلّ على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به(١).

وقال الطيبي: معلقًا على كلام الزمخشري السابق: قوله: (لما ذكر الحقيق بالحمد) يعني أن العبد حين خص الحمد بالله تعالى؛ أجرى عليه تلك الصفات العظام على طريقة لزم منها إثبات المطلوب مع التميز التام لتلك الذات، وانضمام استحقاقه لذلك الشكر اللساني بالشكر بالجوارح والقلب؛ خاطبه بقوله: إياك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين، فترقى من البرهان إلى العيان، ومن مدرج علم اليقين إلى عين اليقين(٢).

وقال الإمام فخر الدين محمد الرازي: لقائل أن يقول: قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾؛ كله مذكور على لفظ الغيبة، وقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾: انتقال من لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب، فما الفائدة فيه؟ قلنا: فيه وجوه: أن من أول السورة إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ثناء، والثناء في الغيبة أولى، وقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ إلى آخر السورة دعاء، والدعاء في الحضور أولى(٣).

وقال أيضًا: ثم عند وصول العبد إلى هذه المقامات؛ انتقل الكلام من الغيبة إلى الحضور، فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، كأنه يقول: إنك إذا انتفعت بهذه الأسماء الخمسة في هذه المراتب الخمس، وانتقلت إلى دار الجزاء؛ صرت بحيث ترى الله، فحينئذٍ تكلَّم معه على سبيل المشاهدة، لا على سبيل المغايبة(٤).

---

(١) (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية الطيبي على الكشاف).

(٢) (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير).

(٣) (المرجع السابق).

(٤) تفسير ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم).

وقال الإمام ابن كثير: وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب، وهو مناسبه، لأنه لما أثنى على الله تعالى؛ فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى، فلهذا قال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[١].

وقال السمين الحلبي: لقائل أن يقول: قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، كله مذكور على لفظ الغيبة، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ انتقال من لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب، فما الفائدة فيه؟ قلنا: فيه وجوه: الأول: أن المصلي كان أجنبيًا عند الشروع في الصلاة، فلا جرم أثنى على الله بألفاظ المغايبة، إلى قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، ثم إنه تعالى كأنه يقول له: حمدتني وأقررت بكوني إلهًا ربًّا رحمانًا رحيمًا مالكًا ليوم الدين؛ فنعم العبد أنت، قد رفعنا الحجاب وأبدلنا البعد بالقرب؛ فتكلم بالمخاطبة وقل: (إياك نعبد)[٢].

وقال عبد القادر بن أحمد بدران: وللعدول عن الغيبة إلى الخطاب؛ نكتة تدق عن فهم أرباب المعاني، وهي أنه أتى بالكاف إشارة إلى مقام الإحسان الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله، لما سئل عن الإحسان: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[٣] ومعناه: أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته، فإذا تحقق هذا المقام؛ صح له أنه يخاطبه بخطاب الحضور. انتهى[٤].

وقال أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، بعد قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: في سر الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وقد ازدحمت فيه أذهان العلماء بعد بيان نكتته العامة؛ وهي التفنن في الكلام والعدول من أسلوب

(١) (الدر المصون في علم الكتاب المكنون).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠).
(٣) (جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرج من كلام العزيز الجبار).
(٤) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

إلى آخر تطريةً له وتنشيطًا للسامع، فقيل لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عِظام تميَّز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين؛ خوطب بذلك ليكون أدل على الاختصاص والترقي من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود؛ وكأن المعلوم صار عيانًا، والمعقول مشاهدًا، والغيب حضورًا، وقيل: لما شرح الله تعالى صدر عبده وأفاض على قلبه وقالبه نور الإيمان والإسلام من عنده؛ ترقى بذريعة الحمد المستجلب لمزيد النعم إلى رتبة الإحسان وهو «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[١].

وقال الطيبي: قال ابن جِنِّي: إنما ترك الغيبة إلى الخطاب؛ لأن الحمد دون العبادة، ألا تراك تحمد نظيرك ولا تعبده؟! ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى أمد الطاعة قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إصراحًا بها وتقربًا منه[٢].

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: والانتقال من أسلوب الحديث بطريق الغائب المبتدأ، من قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ إلى أسلوب طريق الخطاب ابتداء من قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إلى آخر السورة؛ فنٌّ بديع من فنون نظم الكلام البليغ عند العرب، وهو المسمى في علم الأدب العربي والبلاغة: التفاتًا... وما هنا التفات بديع، فإن الحامد لما حمد الله تعالى ووصفه بعظيم الصفات؛ بلغت به الفكرة منتهاها، فتخيل نفسه في حضرة الربوبية، فخاطب ربه بالإقبال[٣].

وقال فاضل بن صالح السامرائي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، فائدة الالتفات عامة، وهي: أن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب يجعل السامع ينتبه ويصغي، والفائدة التي يقتضيها المقام؛ هي أن البليغ في الكلام

---

(١) (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية الطيبي على الكشاف).
(٢) تفسير: (التحرير والتنوير).

لما ينتقل من الغيبة للخطاب يبتغي أن يلفت لشيء مهم، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ لأنه لا يغيب عنهم ولا هم يغيبون عنه؛ فكان أولى بلفظ الغائب، وأيضًا الثناء في الغيبة أولى، وأما ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾: خطاب، فهو في الحضور أولى، وعبادة العباد في الحضور أولى. أو كما قال[1].

وقال الإمام محمد الشوكاني، بعد قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: وعَدَل عن الغيبة إلى الخطاب؛ لقصد الالتفات، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن تطرية لنشاط السامع، وأكثر إيقاظًا له؛ كما تقرر في علم المعاني. انتهى[2].

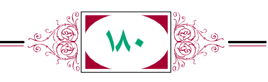
قلت: في الالتفات من الغيبة إلى الخطاب؛ أي بعد تقديم المدح والثناء تحول للخطاب بـ ﴿إِيَّاكَ﴾؛ وذلك قطع لكل من يثبت الوسائط بين العبد وربه.

◈ اللطيفة الرابعة: النكتة في تقديم العبادة على الاستعانة.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وتقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة؛ من باب تقديم الغايات على الوسائل، إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها، ولأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ متعلق بألوهيته واسمه (الله)، و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ متعلق بربوبيته واسمه (الرب)، فقُدِّم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كما تقدم اسم (الله) على الرب في أول السورة، ولأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قسم الرب؛ فكان في الشطر الأول الذي هو ثناء على الرب تعالى، لكونه أولى به، و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قسم العبد، فكان مع

(١) لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.

(٢) (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير).



الشطر الذي له، وهو ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة، ولأن العبادة المطلقة تتضمن الاستعانة من غير عكس، فكل عابد لله عبودية تامة مستعين به، ولا ينعكس، لأن صاحب الأعراض والشهوات قد يستعين به على شهواته، فكانت العبادة أكمل وأتم، ولهذا كانت في قسم الرب تعالى، ولأن الاستعانة جزء من العبادة من غير عكس، ولأن الاستعانة طلب منه، والعبادة طلب له، ولأن العبادة لا تكون إلا من مخلص، والاستعانة تكون من مخلص وغير مخلص، ولأن العبادة حقه الذي أوجبه عليك، والاستعانة طلب العون وهو صدقته التي تصدق بها عليك، وأداء حقه أهم من التعرض لصدقته، ولأن العبادة شكر نعمته عليك، والله يحب أن يشكر، والإعانة فعله بك وتوفيقه لك، فإذا التزمت عبوديته، ودخلت تحت رِقَّها؛ أعانك عليها، فكان التزامها والدخول تحت رِقِّها سببًا لنيل الإعانة، وكلما كان العبد أتم عبودية؛ كانت إعانة الله له أعظم، والعبودية محفوفة بإعانتين: إعانة قبلها على التزامها والقيام بها، وإعانة بعدها على عبودية أخرى، وهكذا أبدًا، حتى يقضي العبد نحبه، ولأن ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ له، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ به، وما له مقدم على ما به، لأن ما له؛ متعلِّق بمحبته ورضاه، وما به؛ متعلِّق بمشيئته، وما تعلق بمحبته؛ أكمل مما تعلق بمجرد مشيئته، فإن الكون كله متعلق بمشيئته، الملائكة والشياطين، والمؤمنين والكفار، والطاعات والمعاصي، والمتعلق بمحبته طاعاتهم وإيمانهم، فالكفار أهل مشيئته، والمؤمنون أهل محبته، ولهذا لا يستقر في النار شيء لله أبدًا، وكل ما فيها فإنه به وبمشيئته، فهذه الأسرار يتبين بها حكمة تقديم ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[(١)].

وقال أيضًا: و﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ هي التي لله، و﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ هي

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

التي للعبد، وما له أكمل مما للعبد، فما تعلق بما هو له؛ أفضل مما تعلق بما هو للعبد[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: معلوم أن المقاصد أشرف من الوسائل، ولهذا قدم سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، لأن العبادة هي المقصود المطلوب، والاستعانة سبب ووسيلة إليها، وكونه سبحانه إلهًا معبودًا للخلق؛ أكمل من جهة كونه ربًا معينًا لهم من جهتهم ومن جهته، أما من جهتهم؛ فإن من لم يعبده منهم ولم يؤمن به ولم يطع رسله؛ يكون شقيًّا معذبًا، وإن كان مربوبًا مخلوقًا، وإنما سعادتهم إذا عبدوه فآمنوا به وأطاعوا رسله، وأما من جهته؛ فإنه يكون إلهًا يفتقرون إلى ذاته، ويكون ربًا يفتقرون إلى ما منه، وكون الشيء مقصودًا لنفسه؛ أشرف من كونه مقصودًا لغيره، وبالجملة فمن المستقر في فِطَر الناس أن ما يُطْلَب لغيره؛ فذلك الغير أشرف منه، وأن المقاصد أشرف من الوسائل[(٢)].

وقال أيضًا: والمصلي إذا قال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾؛ فبدأ بالمقصود الذي هو الغاية على الوسيلة التي هي البداية، فالعبادة غاية مقصودة، والاستعانة وسيلة إليها، تلك حكمة وهذا سبب، والفرق بين العلة الغائية والعلة الفاعلية معروف، ولهذا يقال أول الفكرة آخر العمل، وأول البُغيَة آخر الدَّرك، فالعلة الغائية متقدمة في التصور والإرادة وهي متأخرة في الوجود، فالمؤمن يقصد عبادة الله ابتداء؛ وهو يعلم أن ذلك لا يحصل إلا بإعانته، فيقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾. انتهى[(٣)].

---

(١) (طريق الهجرتين).

(٢) (جامع المسائل).

(٣) (مجموع الفتاوى).

قلت: بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية نفسه؛ معنى العلة الفاعليَّة والعلة الغائيَّة في أكثر من موطن من كتبه، وأنقل له كلمات مختصرة في تعريفها، حيث قال عن العلَّتين: أحدهما: السبب، وهي: العلة الفاعلية، والثاني: الحكمة، وهي العلة الغائية[(١)].

وقال الإمام ابن كثير: وإنما قدم ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾؛ لأن العبادة له هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها، والاهتمام والحزم هو تقديم ما هو الأهم فالأهم، والله أعلم[(٢)].

وقال ابن جرير الطبري: فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ فقدم الخبر على العبادة، وأخرت مسألة المعونة عليها بعدها، وإنما تكون العبادة بالمعونة، فمسألة المعونة كانت أحق بالتقديم قبل المعان عليه من العمل والعبادة بها؟ قيل: لما كان معلومًا أن العبادة لا سبيل للعبد إليها إلا بمعونة من الله جل ثناؤه، وكأنه محالٌ أن يكون العبد عابدًا إلا وهو على العبادة معان، وأن يكون معانًا عليها إلا وهو لها فاعل، كان سواء تقدم ما قدم منها على صاحبه، كما سواء قولك لرجل قضى حاجتك فأحسن إليك في قضائها: قضيت حاجتي فأحسنت إلي. . . أو قلت: أحسنت إليَّ، فقضيت حاجتي[(٣)].

وقال الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، بعد قوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾: الفائدة الأولى: لقائل أن يقول: الاستعانة على العمل إنما تحسن قبل الشروع في العمل، وههنا ذكر قوله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ ثم ذكر عقيبه ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فما الحكمة فيه؟ الجواب من وجوه:

---

(١) (مجموع الفتاوى).

(٢) تفسير ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم).

(٣) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل القرآن).

الأول: كأن المصلي يقول: شرعت في العبادة، فأستعين بك في إتمامها.

الثاني: كأن الإنسان يقول: يا إلهي إني أتيت بنفسي إلا أن لي قلبًا يفر مني؛ فأستعين بك في إحضاره، وكيف وقد قال ﷺ: «**قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ أُصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ**» فدل ذلك على أن الإنسان لا يمكنه إحضار القلب إلا بإعانة الله[(١)].

وقال الإمام الحسين بن مسعود الفراء البغوي، بعد قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾: ويقال: الاستعانة نوع تعبد، فكأنه ذكر جملة العبادة أولًا، ثم ذكر ما هو من تفاصيلها[(٢)].

وقال الراغب الأصفهاني: إن قيل: لم قدم العبادة على الاستعانة؟ قال: والوجه في ذلك؛ أن الله تعالى عَلَّم خلقه بذلك أن يقدموا حقه، ثم يسألوه ليكونوا مستحقين للإجابة[(٣)].

وقال أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشري: فإن قلت: فلم قُدِّمت العبادة على الاستعانة؟ قلت: لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة؛ ليستوجبوا الإجابة إليها[(٤)].

وقال محمد بن علي بن محمد الشوكاني: وقُدِّمت العبادة على الاستعانة؛ لكون الأولى وسيلة إلى الثانية، وتقديم الوسائل؛ سبب لتحصيل المطالب[(٥)].

---

(١) (مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير).

(٢) (تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل).

(٣) (تفسير الراغب الأصفهاني).

(٤) تفسير الزمخشري: (الكشاف).

(٥) (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير).

وقال القاضي أبو سعيد عبد الله الشيرازي البيضاوي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾: لما نسب المتكلم العبادة إلى نفسه؛ أوهم ذلك تبجحًا واعتدادًا منه بما يصدر عنه؛ فتعقَّبه بقوله: وإياك نستعين؛ ليدل على أن العبادة أيضًا مما لا يتم ولا يستَتِبُّ له؛ إلا بمعرفة منه وتوفيق. وقيل: الواو للحال، والمعنى: نعبدك مستعينين بك[(١)].

وقال الكرماني: وفي تأخير ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وحقه التقديم؛ أربعة أقوال:

أحدها: أن الواو للجمع لا للترتيب. والثاني: حقه التقدم وأُخِّر للفاصلة، فإن الآتي فواصل تجري مجرى القوافي للشعر، والثالث: تقدير ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ على عبادة أخرى نستأنفها.

الرابع: نستعين على الهداية، وهي الثبات عليه[(٢)].

وقال الدكتور فاضل السامرائي: العبادة تقدمت؛ لمناسبتها لما قبلها من الجزاء يوم الدين، والاستعانة تأخرت؛ لمناسبتها لما بعدها من دعاء الهداية[(٣)].

وقال الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي: وإتيانه بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بعد قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ فيه إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتوكل إلا على من يستحق العبادة، لأن غيره ليس بيده الأمر[(٤)].

---

(١) تفسير البيضاوي: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل).

(٢) (تفسير الكرماني).

(٣) لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.

(٤) (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن).

وقال أبو السعود: وتقديم العبادة... لأن العبادة لِمَا أنها من حقوق الله تعالى، والاستعانة من حقوق المستعين، ولأن العبادة واجبة حتمًا، والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه(١).

وقال الشيخ محمد بن أحمد الشربيني، بعد قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾: لما نسب المتكلم العبادة إلى نفسه؛ أوهم ذلك فرحًا واعترافًا منه بما يصدر عنه؛ فعقبه بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، ليدل على أن العبادة أيضًا مما لا تتم ولا تتيسر له إلا بمعونة منه تعالى وتوفيق(٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، بعد قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾: وقدم العبادة على الاستعانة؛ من باب تقديم العام على الخاص، واهتمام بتقديم حقه تعالى على حق عبده، وذكر الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها؛ لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى، فإنه إن لم يُعِنه الله؛ لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهي(٣).

وقال محمد رشيد بن علي رضا، بعد قوله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾: إذا تدبرت هذا؛ فهمت منه نكتة من نكت تقديم العبادة على الاستعانة، وهي أن الثانية ثمرة الأولى... فالعبادة تكون سببًا للمعونة من وجه، والمعونة تكون سببًا للعبادة من وجه آخر(٤).

---

(١) (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم).
(٢) (تفسير السراج المنير).
(٣) (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان).
(٤) (تفسير المنار).

وقال أبو الفضل شهاب الدين محمد الآلوسي البغدادي: في سر تقديم فعل العبادة على فعل الاستعانة؛ وجوه:

الأول: أن العبادة أمانة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾، فاهتم للأداء؛ فقدَّم.

الثاني: أنها مطلوبة لله تعالى من العباد، والاستعانة مطلوبهم منه سبحانه، فتقديم العبد ما يريده مولاه منه؛ أدل على صدق العبودية من تقديم ما يريده من مولاه(١).

وقال أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني الإدريسي القاسمي: وقدم العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الآي، وليعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة، فإن من تلبس بخدمة الملك وشرع فيها بحسب وسعه، ثم طلب فيها الإعانة عليها؛ أجيب إلى مطلبه، بخلاف من كلَّفه الملك بخدمته، فقال: أعطني ما يعينني عليها، فهو سوء أدب، وأيضًا: من استحضر الأوصاف العظام(٢) ما أمكنه إلا المسارعة إلى الخضوع والعبادة(٣).

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: ووجه تقديم قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: أن العبادة تقرب للخالق تعالى فهي أجدر بالتقديم في المناجاة، وأما الاستعانة فهي لنفع المخلوق للتيسير عليه، فناسب أن يقدم المناجي ما هو من عزمه ووصفه؛ على ما يسأله مما يعين على ذلك، ولأن الاستعانة بالله تترتب على كونه معبودًا للمستعين به، ولأن

---

(١) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

(٢) **قلت:** أي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

(٣) (تفسير البحر المديد).

من جملة ما تطلب الإعانة عليه؛ العبادة، فكانت متقدمة على الاستعانة في التعقل، وقد حصل من ذلك التقديم أيضًا؛ إيفاء حق فواصل السورة المبنية على الحرف الساكن المتماثل أو القريب من مخرج اللسان(١).

وقال الشيخ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر: وقُدِّمت العبادة على الاستعانة؛ لكون الأولى وسيلة إلى الثانية، وتقديم الوسائل سبب في تحصيل المطالب، وليدل على أنهم لا يستقلون بإقامة العبادات، بل إن عون الله هو الذي ييسر لهم أداءها(٢).

وقال محيي الدين أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ): وقُدِّمت العبادة على الاستعانة؛ لأن الاستعانة ثمرتها(٣).

وقال أبو محمد مكي بن أبي طالب حموشي الأندلسي القرطبي: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾: وقد علم أن الاستعانة قبل العبادة، والعمل لا يقوم إلا بعون الله؛ لأن العبادة لا سبيل إليها إلا بالمعونة، والمعان على العبادة لا يكون إلا عابدًا، فكل واحد مرتبط بالآخر، لا عمل إلا بمعونة، ولا معونة إلا تتبعها عبادة، فلم يكن أحدهما أولى بالتقديم من الآخر، وأيضًا فإن الواو لا توجب ترتيبًا عند أكثر النحويين(٤).

وقال أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾: وأما المعنى: ففي زيادة هذه الكلمة معنى، بليغ فإنك لو قلت: نعبدك ونستعينك وإن كان أوجز لك، لكن في

---

(١) تفسير: (التحرير والتنوير).

(٢) (التفسير الوسيط للقرآن الكريم).

(٣) (إعراب القرآن وبيانه).

(٤) (الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن).

هذا النظم فوائد زوائد: موافقة رؤوس الآي، ونفي العبادة والاستعانة عن غير الله تعالى، وأجلها: البداية بذكر الله دون ذكر نفسه، وهو نظر من الله تعالى إلى العبادة؛ لا من العبادة إلى الله تعالى، وبهذا ظهر علو درجة نبينا محمد ﷺ على موسى ﷺ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾، وقال موسى صلوات الله عليه: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾، وهو معنى لطيف وعلم شريف[(١)].

وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي، عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾: تقديم المفعول يفيد أننا لا نعبد إلا أنت، ولو قال: (نعبدك)؛ لجاز أن يعطف عليها: ونعبد سواك، وبما أننا أعلنا العبودية لله وحده؛ فلا بد أن نخوض معارك مع أعداء التوحيد، ومع الذين يسخِّرون العباد لعبادتهم أو السيطرة عليهم، لذلك جاءت بعدها ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ لأن من استعان بالله وكان في معيَّة الله على أعدائه؛ فلن يُغلَب، أو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)].

قلت: قال بعض العلماء: العبادة قدمت لأنها مقصد وغاية، وقال بعضهم: قدمت لأنها وسيلة، ولا تعارض بين الكلامين؛ بل هو متوافق، لأن من جعلها مقصدًا وغاية؛ أي هي مقصد لإرضاء الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ومن جعلها وسيلة؛ أي هي وسيلة إلى الله سبحانه يتقرب بها إليه.

◈ اللطيفة الخامسة: النكتة في إطلاق العبادة والاستعانة.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وتأمل ما في قوله ﴿إِيَّاكَ﴾ من التخصيص لذاته المقدسة بالعبادة والاستعانة، وما في قوله: ﴿نَعۡبُدُ﴾ الذي هو للحال والاستقبال وللعبادة الظاهرة والباطنة؛ من استيفاء أنواع العبادة حالًا واستقبالًا،

(١) (التيسير في التفسير).

(٢) دروس الشعراوي في الفاتحة، على قناة المحور.

قولًا وعملًا، ظاهرًا وباطنًا، والاستعانة على ذلك به لا بغيره[١].

وقال أبو القاسم جاد الله محمود عمر الزمخشري: فإن قلت: لم أطلقت الاستعانة، قلت: ليتناول كل مستعان فيه، والأحسن أن يراد الاستعانة به، وبتوفيقه على أداء العبادة، ويكون قوله ﴿ٱهۡدِنَا﴾ بيانًا للمطلوب من المعونة، كأنه قيل: كيف أعينكم؟ فقالوا: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[٢].

وقال السمين الحلبي: وأطلق كلًا من فعلي العبادة والاستعانة، فلم يذكر لهما مفعولًا؛ ليتناول كل معبود به وكل مستعان عليه، أو يكون المراد وقوع الفعل من غير نظر إلى مفعول نحو: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ أي: أوقعوا هذين الفعلين[٣].

وقال الإمام محمد بن علي الشوكاني: وإطلاق الاستعانة لقصد التعميم[٤].

وقال محمد الطاهر بن عاشور: والمقصود هنا الاستعانة على الأفعال المهمة كلها التي أعلاها تلقي الدين، وكل ما يعسر على المرء تذليله من توجهات النفوس إلى الخير، وما يستتبع ذلك من تحصيل الفضائل، وقرينة هذا المقصود؛ رسمه في فاتحة الكتاب، ووقوع تخصيص الإعانة عقب التخصيص بالعبادة، ولذلك حذف متعلق ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ الذي حقه أن يذكر مجرورًا بعلى، وقد أفاد هذا الحذف الهام عموم الاستعانة المقصورة على الطلب من الله تأدبًا معه تعالى[٥].

---

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

(٢) تفسير الزمخشري: (الكشاف).

(٣) (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون).

(٤) (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير).

(٥) تفسير: (التحرير والتنوير).

وقال محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر سابقًا: ولم يذكر المستعان عليه من الأعمال؛ ليشمل الطلب كل ما تتجه إليه نفس الإنسان من الأعمال الصالحة[١].

◈ اللطيفة السادسة: لم جاءت كلمة العبادة والاستعانة بنون الجمع.

قال الإمام ابن كثير: فإن قيل فما معنى النون في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾؟ فإذا كانت للجمع فالداعي واحد، وإن كانت للتعظيم فلا يناسب هذا المقام! وقد أجيب: بأن المراد من ذلك الإخبار عن جنس العباد، والمصلي فرد منهم، ولا سيما إن كان في جماعة أو إمامهم فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لأجلها، وتوسط لهم بخير، ومنهم من قال: يجوز أن تكون للتعظيم، كأن العبد قيل له: إذا كنت داخل العبادة فأنت شريف وجاهك عريض، فقل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، وإن كنت خارج العبادة فلا تقل نحن ولا فعلنا، ولو كنت في مائة ألف أو ألف ألف؛ لاحتياج الجميع إلى الله ﷻ وفقرهم إليه، ومنهم من قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ ألطف في التواضع من (إياك عَبَدْنا)، لما في الثاني من تعظيم نفسه، من جعله نفسه وحده أهلًا لعبادة الله تعالى؛ الذي لا يستطيع أحد أن يعبده حق عبادته ولا يثني عليه كما يليق به، والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد لانتسابه إلى جناب الله تعالى، كما قال بعضهم:

لا تـدعُـنِـي إلا بـيَـا عـبـدَهـا فـإنـه أشـرف أسـمـائـي

وقد سمى الله رسول الله ﷺ؛ (عبده) في أشرف مقاماته ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ فسماه عبدًا عند إنزاله عليه، وعند قيامه في الدعوة وإسرائه[٢].

---

(١) (التفسير الوسيط للقرآن الكريم).

(٢) تفسير ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم).

وقال الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ بنون الاستتباع؛ إشعار بأن الصلاة بنيت على الاجتماع[(١)].

وقال الإمام فخر الدين محمد البكري الرازي، بعد قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾: أن المراد من هذه النون نون الجمع، وهو تنبيه على أن الأولى بالإنسان أن يؤدي الصلاة بالجماعة[(٢)].

وقال القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، بعد قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾: والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة، أو له ولسائر الموحدين أدرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم؛ لعلها تقبل ببركتها ويجاب إليها، ولهذا شرعت الجماعة[(٣)].

وقال الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني بعد قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾: والمجيء بالنون في الفعلين لقصد الإخبار من الداعي عن نفسه وعن جنسه من العباد، وقيل: إن المقام لما كان عظيمًا لم يستقل به الواحد استقصارًا لنفسه واستصغارًا لها، فالمجيء بالنون لقصد التواضع، لا لتعظيم النفس[(٤)].

وقال أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي: في شرح قوله: ﴿نَعۡبُدُ﴾ دون (أعبد): فقد قيل: هو الإشارة إلى حال العبد كأنه يقول: إلهي ما بلغت عبادتي إلى حيث أذكرها لأنها ممزوجة بالتقصير،

---

(١) (نظم الدر في تناسب الآيات والسور).

(٢) (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير).

(٣) تفسير البيضاوي: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل).

(٤) (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير).

ولكن أخلطها بعبادة جميع العابدين، وأذكر الكل بعبارة واحدة؛ حتى لا يلزم تفريق الصفقة، وقيل: النكتة في العدول إلى الأفراد؛ التحرز عن الوقوع في الكذب، فإنا لم نزل خاضعين لأهل الدنيا متذللين لهم مستعينين في حوائجنا[١].

وقال الطاهر بن عاشور: وضمير ﴿نَعۡبُدُ﴾، و﴿نَسۡتَعِينُ﴾؛ يعودان إلى تالي السورة ذاكرًا معه جماعة المؤمنين، وفي العدول عن ضمير الواحد إلى الإتيان بضمير المتكلم المشارك؛ الدلالة على أن هذه المحامد صادرة من جماعات، ففيه إغاظة للمشركين إذ يعلمون أن المسلمين صاروا في عزة ومنعة، ولأنه أبلغ في الثناء من: أعبد وأستعين، لئلا تخلو المناجاة عن ثناء أيضًا؛ بأن المحمود المعبود المستعان قد شهد له الجماعات وعرفوا فضله، وقريب من هذا قول النابغة في رثاء النعمان بن الحارث الغساني:

قعودًا له غسان يرجون أوبةً ... وتُركٌ ورهط الأعجمين وكابلُ

إذ قصد من تعداد أصناف من الأمم؛ الكناية عن عظمة النعمان وكثرة رعيته، فكأن الحامد لما انتقل من الحمد إلى المناجاة؛ لم يغادر فرصة يقتنص منها الثناء إلا انتهزها[٢].

وقال محمد سيد طنطاوي، شيخ الأزهر: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾: قال: ﴿نَعۡبُدُ﴾ بنون الجماعة ولم يقل: أعبد؛ ليدل على أن العبادة أحسن ما تكون في جماعة المؤمنين، وللإشعار بأن المؤمنين المخلصين يكونون في اتحادهم وإخائهم بحيث يقوم كل واحد منهم في الحديث عن شؤونهم

---

(١) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

(٢) تفسير: (التحرير والتنوير).

الظاهرة وغير الظاهرة؛ مقام جميعهم. انتهى[١].

قلت: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم[٢].

وقال اليماني: ورد الخضوع أولًا على القلب، ثم سرى إلى الجوارح، ثم تلاها اللسان؛ فأشير إلى ذلك بصيغة الجمع، حتى كأن اللسان عبر عن نفسه، وعن القلب والجوارح. انتهى[٣].

قلت: عند لفظ ﴿ٱهْدِنَا﴾ في صيغة الجمع بالنون، ستأتي معنا زوائد وفوائد من كلام العلماء إضافة لما كُتِب هنا.

◈ اللطيفة السابعة: إذا كان جميع ما يحبه الله داخلًا في اسم العبادة، فلماذا عطفت عليها الاستعانة؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن قيل: فإذا كان جميع ما يحبه الله داخلًا في اسم العبادة، فلماذا عطف عليها غيرها كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾، وقال نوح: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾، وكذلك قول غيره من الرسل؟ قيل: هذا له نظائر، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾، والفحشاء من المنكر، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ وإيتاء ذي القربى هو من العدل والإحسان، كما أن الفحشاء والبغي من المنكر، وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وإقامة الصلاة من أعظم التمسك بالكتاب، وكذلك قوله: ﴿إِنَّهُمْ

---

(١) (التفسير الوسيط للقرآن الكريم).

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٦٨٩)، والبخاري (٦٤٠٨).

(٣) (تفسير الفاتحة) لليماني.

كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ ودعاؤهم رغبًا ورهبًا من الخيرات، وأمثال ذلك في القرآن كثير، وهذا الباب يكون تارة مع كون أحدهما بعض الآخر، فيعطف عليه تخصيصًا له بالذكر، لكونه مطلوبًا بالمعنى العام والمعنى الخاص، وتارة تكون دلالة الاسم تتنوع لما أفرد أحدهما في مثل قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ دخل فيه الآخر، ولما قرن بينهما في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ صاروا نوعين... وفي هذا الباب قوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وتلاوة الكتاب هي اتِّباعه... والكتاب يتناول الصلاة وغيرها، لكن خصها بالذكر لمزيتها، وقوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فإن هذه الأمور هي أيضًا من تمام تقوى الله، وكذلك قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فإن التوكل والاستعانة هي من عبادة الله، لكن خصت بالذكر ليقصدها المتعبد بخصوصها، فإنها هي العون على سائر أنواع العبادة إذ هو - سبحانه - لا يعبد إلا بمعونته[١].

وقال أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشري: فإن قلت: لم قرنت الاستعانة بالعبادة؟ قلت: ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم، وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته[٢].

◈ اللطيفة الثامنة: لم جاءت ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ وسط الفاتحة، بعد الثناء وقبل الدعاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فأصل الدين وقاعدته؛ يتضمن أن يكون الله هو المعبود الذي تحبه القلوب وتخشاه، ولا يكون لها إله سواه، و(الإله):

(١) (مجموع الفتاوى).

(٢) تفسير الزمخشري: (الكشاف).

ما تألهه القلوب بالمحبة، والتعظيم، والرجاء، والخوف، والإجلال، والإعظام، ونحو ذلك، والله ﷻ أرسل الرسل بأنه لا إله إلا هو؛ فتخلو القلوب عن محبة ما سواه بمحبته وبرجائه، وعن سؤال ما سواه بسؤاله، وعن العمل لما سواه بالعمل له، وعن الاستعانة بما سواه بالاستعانة به، ولهذا كان وسط الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**» فوسط السورة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ فالدين ألا يعبد إلا الله، ولا يستعان إلا إياه. انتهى[1].

قلت: جاءت وسط الفاتحة؛ لأن العبادة والاستعانة أصل الدين، وخاصة أن العبادة أكثر ارتباطًا بما قبلها من شكر الله وحمده وذكره، والاستعانة أكثر ارتباطًا بما بعدها من حظ العبد بطلب الهداية والاستعانة على النجاة من منهج المغضوب عليهم والضالين.

◈ **اللطيفة التاسعة: اشتمال ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ على البراءة من الشرك والحول والقوة.**

قال الإمام ابن كثير: وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن،

(١) (مجموع الفتاوى).



وسرُّها هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾، فالأول: تبرؤ من الشرك، والثاني: تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض إلى الله ﷻ، وهذا المعنى في غير آية من القرآن كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾[1].

◈ اللطيفة العاشرة: اشتمال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ على شفاء القلوب من فساد العلم والقصد، ومن الكبر والرياء والعجب.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: فأما اشتمالها على شفاء القلوب؛ فإنها اشتملت عليه أتم اشتمال، فإن مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين: فساد العلم وفساد القصد، ويترتب عليهما داءان قاتلان، وهما: الضلال والغضب، فالضلال نتيجة فساد العلم، والغضب نتيجة فساد القصد، وهذان المرضان هما ملاك أمراض القلوب جميعها، فهداية الصراط المستقيم؛ تتضمن الشفاء من مرض الضلال، ولذلك كان سؤال هذه الهداية أفرض دعاء على كل عبد، وأوجبه عليه كل يوم وليلة في كل صلاة؛ لشدة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة، ولا يقوم غير هذا السؤال مقامه، والتحقيق بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ علمًا ومعرفة، وعملًا وحالًا، ويتضمن الشفاء من مرض فساد القصد؛ فإن فساد القصد يتعلق بالغاية والوسائل، فمن طلب غاية منقطعة مضمحلة فانية وتوسل إليها بأنواع الوسائل الموصلة إليها؛ كان كِلَا نوعي قصده فاسدًا، وهذا شأن كل من كان غاية طلبه غير الله وعبوديته من المشركين، ومتبعي الشهوات الذي لا غاية لهم وراءها، وأصحاب الرياسات المتبعين لإقامة رياستهم بأي طريق كان من حق أو باطل، والمقصود

---

(١) تفسير ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم).

أن قصد هؤلاء فاسد في غاياتهم ووسائلهم، وهؤلاء إذا بطلت الغايات التي طلبوها واضمحلت وفنيت؛ حصلوا على أعظم الخسران والحسرات، وهم أعظم الناس ندامة وتحسرًا إذا حقَّ الحق وبطل الباطل، وهذا يظهر كثيرًا في الدنيا، ويظهر أقوى من ذلك عند الرحيل منها، والقدوم على الله تعالى، وكذلك من طلب الغاية العليا والمطلب الأعلى ولكن لم يتوسل إليه بالوسيلة الموصلة إليه، بل توسل إليه بوسيلة ظنها موصلة إليه وهي من أعظم القواطع عنه؛ فحاله أيضًا كحال هذا، فكلاهما فاسد القصد، ولا شفاء من هذا المرض إلا بدواء: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، فإن هذا الدواء مركب من ستة أجزاء: عبودية لله لا لغيره، بأمره وشرعه لا بالهوى ولا بآراء الرجال وأوضاعهم ورسومهم، وأفكارهم، واستعانة على عبوديته به لا بنفس العبد وقوته وحوله ولا بغيره، فهذه أجزاء ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، فإذا ركبها الطبيب العالم بالمرض، واستعملها المريض؛ حصل بها الشفاء التام، وما نقص من الشفاء فهو لفوات جزء من أجزائها أو اثنين أو أكثر، ثم إن القلب يعرض له مرضان عظيمان، إن لم يتداركهما تراميا به إلى التلف ولا بد، وهما: الرياء والكبر، فدواء الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، ودواء الكبر بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، وكثيرًا ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ تدفع الرياء، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ تدفع الكبرياء، فإذا عوفي من مرض الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، ومن مرض الكبر والعجب بـ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، ومن مرض الضلال والجهل بـ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾؛ عوفي من أمراضه وأسقامه، ورفل في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة، وكان من المنعم عليهم، (غير المغضوب عليهم)؛ وهم أهل فساد القصد الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه، والضالين؛ وهم أهل فساد العلم الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه، وحق لسورة تشتمل على هذا الشفاء أن يستشفى بها

من كل مرض، ولهذا لما اشتملت على هذا الشفاء الذي هو أعظم الشفاءين؛ كان حصول الشفاء الأدنى بها أولى كما سنبيِّنه، فلا شيء أشفى للقلوب التي عقلت عن الله تعالى كلامه وفهمت عنه فهمًا خاصًا اختصها به؛ من معاني هذه السورة[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكثيرًا ما يقرن الناس بين الرياء والعجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر، فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والمعجب لا يحقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فمن حقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ خرج عن الرياء، ومن حقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ خرج عن الإعجاب[٢].

◈ اللطيفة الحادية عشرة: اشتمال آية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ على نوعي التوحيد، وما هو ارتباط اسم (الله، والرب، والرحمن) بها وبما بعدها من آيات.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ وقد اشتملت هذه الكلمة على نوعي التوحيد، وهما: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتضمنت التعبد باسم (الرب) واسم (الله)، فهو يعبد بألوهيته، ويستعان بربوبيته، ويهدي إلى الصراط المستقيم برحمته، فكان أول السورة ذكر اسمه (الله، والرب، والرحمن) مطابقًا لأجلِّ المطالب من عبادته وإعانته وهدايته، وهو المتفرد بإعطاء ذلك كله، لا يعين على عبادته سواه، ولا يهدي سواه[٣].

---

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) باختصار يسير.
(٢) (مجموع الفتاوى).
(٣) (كتاب الصلاة).

◈ **اللطيفة الثانية عشرة: تقديم الخضوع قبل طلب الحاجة.**

قال الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ فيه الإرشاد إلى تقديم الخضوع والتذلل؛ على طلب الحاجة[١].

◈ **اللطيفة الثالثة عشرة: إظهار الإخلاص بعد المدح والثناء.**

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إذا أتم الحامد حمد ربه؛ يأخذ في التوجه إليه بإظهار الإخلاص له، انتقالًا من الإفصاح عن حق الرب إلى إظهار مراعاة ما يقتضيه حقه تعالى على عبده؛ من إفراده بالعبادة والاستعانة، فهذا الكلام استئناف ابتدائي[٢].

◈ **اللطيفة الرابعة عشرة: من أنفع الدعاء: سؤال الله العون على مرضاته، وهو متضمن في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.**

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تأملت أنفع الدعاء؛ فإذا هو في سؤال الله العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة، في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[٣].

قلت: الدعاء قسمان: دعاء عبادة ودعاء مسألة، والدعاء في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ دعاء عبادة، ولا شك أن من أفرد الله سبحانه بالعبادة وأفرده بالاستعانة؛ فهو طالب لمرضاته من أوسع أبوابها.

---

(١) (الإكليل في استنباط التنزيل) للسيوطي.
(٢) تفسير: (التحرير والتنوير).
(٣) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

◈ **اللطيفة الخامسة عشرة: لِمَ العبد مأمور في كل صلاة أن يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كلما حقق العبد الإخلاص في قوله: لا إله إلا الله؛ خرج من قلبه تألُّه ما يهواه، وتصرف عنه المعاصي والذنوب، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾، فلعل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباد الله المخلصين، وهؤلاء هم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾، وقال الشيطان: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٤٠﴾، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**» فإن الإخلاص ينفي أسباب دخول النار؛ فمن دخل النار من القائلين لا إله إلا الله؛ لم يحقق إخلاصها المحرِّم له على النار، بل كان في قلبه نوع من الشرك الذي أوقعه فيما أدخله النار، والشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل، ولهذا كان العبد مأمورًا في كل صلاة أن يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، والشيطان يأمر بالشرك، والنفس تطيعه في ذلك؛ فلا تزال النفس تلتفت إلى غير الله إما خوفًا منه، وإما رجاءً له؛ فلا يزال العبد مفتقرًا إلى تخليص توحيده من شوائب الشرك[١].

◈ **اللطيفة السادسة عشرة: أصلان في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ من عمل بهما؛ كان عابدًا لله، مطيعًا له، مستعينًا به، متوكلًا عليه.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن هذا الباب احتجاج آدم وموسى، لما قال: «**يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك**

(١) (مجموع الفتاوى).

ملائكته، لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه، فبكم وجدت مكتوبًا علي قبل أن أخلق ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ **قال: بكذا وكذا سنة. قال: فحج آدمُ موسَى»**[١].

وذلك أن موسى لم يكن عتبه لآدم لأجل الذنب، فإن آدم قد تاب منه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولكن لأجل المصيبة التي لحقتهم من ذلك، وهم مأمورون أن ينظروا إلى القدر في المصائب وأن يستغفروا من المعائب، كما قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، فمن راعى الأمر والقدر - كما ذكر - كان عابدًا لله، مطيعًا له، مستعينًا به، متوكلًا عليه، من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وقد جمع الله سبحانه بين هذين الأصلين في غير موضع، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾، وقوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾، فالعبادة له والاستعانة به[٢].

وقال أيضًا: قيل: إن هذه الآية جمعت جميع أسرار القرآن: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، لأن أولها اقتضى عبادته بالأمر والنهي والمحبة والخوف والرجاء كما ذكرنا، وآخرها اقتضى عبوديته بالتفويض والتسليم وترك الاختيار، وجميع العبوديات داخلة في ذلك[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٨)، مع يسير اختلاف في لفظ الحديث.

(٢) (التدمرية).

(٣) (مجموع الفتاوى).

◈ **اللطيفة السابعة عشرة: لم قال بعض السلف أن الكتب المنزلة جُمِعت في القرآن، وأن القرآن جُمِع في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.**

قال شيخ الإسلام: فإن المتوكل يتوكل على الله في صلاح قلبه ودينه، وحفظ لسانه وإرادته، وهذا أهم الأمور إليه، ولهذا يناجي ربه في كل صلاة بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾، وقوله: ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾، وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾، فهو قد جمع بين العبادة والتوكل في عدة مواضع، لأن هذين يجمعان الدين كله، ولهذا قال من قال من السلف: إن الله جمع الكتب المنزلة في القرآن، وجمع علم القرآن في المفصل، وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب، وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، وهاتان الكلمتان هما الجامعتان اللَّتان للرب والعبد؛ كما في الحديث الذي في (صحيح مسلم) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله سبحانه: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل**» قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»، فالرب سبحانه له نصف الثناء والخير، والعبد له نصف الدعاء والطلب،

وهاتان جامعتان ما للرب سبحانه وما للعبد، فإياك نعبد؛ للرب، وإياك نستعين؛ للعبد(١).

وقال أيضًا: فقوله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، إشارة إلى عبادته بما اقتضته إلهيته؛ من المحبة، والخوف والرجاء، والأمر والنهي، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، إشارة إلى ما اقتضته الربوبية من التوكل، والتفويض، والتسليم، لأن الرب ﷻ هو المالك، وفيه أيضًا معنى الربوبية والإصلاح، والمالك الذي يتصرف في ملكه كما يشاء، فإذا ظهر للعبد من سر الربوبية أن الملك والتدبير كله بيد الله تعالى، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك: ١] فلا يرى نفعًا، ولا ضرًا، ولا حركة ولا سكونًا، ولا قبضًا، ولا بسطًا، ولا خفضًا، ولا رفعًا؛ إلا والله ﷻ فاعله، وخالقه، وقابضه، وباسطه، ورافعه، وخافضه، فهذه الشهود هي سر الكلمات الكونيات، وهو علم صفة الربوبية، والأولى هو علم صفة الإلهية؛ وهو كشف سر الكلمات التكليفيات، فالتحقيق بالأمر والنهي، والمحبة، والخوف والرجاء؛ يكون عن كشف علم الإلهية، والتحقيق بالتوكل، والتفويض، والتسليم، يكون بعد كشف علم الربوبية، وهو علم التدبر الساري في الأكوان، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠﴾، فإذا تحقق العبد لهذا المشهد ووفَّقه لذلك بحيث لا يحجبه هذا المشهد عن المشهد الأول؛ فهو الفقيه في عبوديته، فإن هذين المشهدين عليهما مدار الدين، فإن جميع مشاهد الرحمة واللطف والكرم والجمال؛ داخل في مشهد الربوبية.

ولهذا قيل: أن هذه الآية جمعت جميع أسرار القرآن: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾، لأن أولها اقتضى عبادته بالأمر والنهي، والمحبة

---

(١) (مجموع الفتاوى).

والخوف والرجاء كما ذكرنا، وآخرها اقتضى عبوديته بالتفويض، والتسليم، وترك الاختيار، وجميع العبوديات داخلة في ذلك[١].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: وسر الخلق والكتب، والأمر والنهي، والشرائع، والثواب والعقاب؛ انتهى إلى هاتين الكلمتين، وعليهما مدار العبودية والتوحيد، حتى قيل: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب؛ جمع معانيها في التوراة والإنجيل والقرآن، وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن، وجمع معاني القرآن في المفصل، ومعاني المفصل في الفاتحة، ومعاني الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب وبين عبده نصفين، فنصفها له تعالى وهو: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، ونصفها لعبده وهو ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[٢].

وقال أيضًا: فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾؛ ففيهما سر الخلق والأمر، والدنيا والآخرة، وهي متضمنة لأَجَلِّ الغايات، وأفضل الوسائل، فأجَلُّ الغايات عبوديته، وأفضل الوسائل إعانته، فلا معبود يستحق العبادة إلا هو، ولا معين على عبادته غيره، فعبادته أعلى الغايات، وإعانته أجل الوسائل[٣].

◈ اللطيفة الثامنة عشرة: صلاح العبد وسعادته في تحقيق معنى ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: أربعة أشياء:

أحدها: أمر هو محبوب مطلوب الوجود.

---

(١) (مجموع الفتاوى).

(٢) (مدارج السالكين بين منازل إياك وإياك نستعين).

(٣) (كتاب الصلاة).

الثاني: أمر مكروه مطلوب العدم.

الثالث: الوسيلة إلى حصول المحبوب.

الرابع: الوسيلة إلى دفع المكروه.

فهذه الأمور الأربعة ضرورية للعبد، بل ولكل حيوان، لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها، فإذا تقرر ذلك؛ فالله تعالى هو الذي يجب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب، الذي يراد وجهه، ويبتغى قربه، ويطلب رضاه، وهو المعين على حصول ذلك، وعبودية ما سواه والالتفات إليه والتعلق به؛ هو المكروه الضار، وهو المعين على دفعه، فهو سبحانه الجامع لهذه الأمور الأربعة دون ما سواه، فهو المعبود المحبوب المراد، وهو المعين لعبده على وصوله إليه وعبادته له، والمكروه البغيض هو بمشيئته وقدرته، وهو المعين لعبده على دفعه عنه... ولهذا كان صلاح العبد وسعادته في تحقيق معنى ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، فإن العبودية تتضمن المقصود لكن على أكمل الوجوه، والمستعان هو الذي يستعان به على المطلوب، فالأول من معنى الألوهية، والثاني من معنى ربوبيته، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب محبة، وإنابة، وإجلالًا وإكرامًا، وتعظيمًا، وذلًّا وخضوعًا، وخوفًا ورجاء، وتوكلًا، والرب هو الذي يربُّ عبده، فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى مصالحه، فلا إله إلا هو، ولا رب إلا هو، فكما أن ربوبية ما سواه؛ أبطل الباطل، فكذلك إلهية ما سواه، وقد جمع الله سبحانه بين هذين الأصلين في مواضع في كتابه، كقوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾، وقوله: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩﴾، وغيرها من الآيات، فهذه مواضع تنتظم هذين الأصلين الجامعين لمعنيَيْ التوحيد؛ اللذين لا سعادة للعبد

بدونهما البتة. انتهى بتصرف يسير[١].

وقال أيضًا: والعبد إذا عزم على فعل أمر، فعليه أن يعلم أولًا: هل هو طاعة لله أم لا؟ فإن لم يكن طاعة؛ فلا يفعله إلا أن يكون مباحًا يستعين به على الطاعة، وحينئذٍ يصير طاعة، فإذا بان له أنه طاعة؛ فلا يقدم عليه حتى ينظر هل هو معانٌ عليه أم لا؟ فإن لم يكن معانًا عليه؛ فلا يقدم عليه فيذل نفسه، وإن كان معانًا عليه بقي عليه نظر آخر، وهو أن يأتيه من بابه، فإن أتاه من غير بابه أضاعه؛ أو فرط فيه أو أفسد فيه شيئًا، فهذه الأمور الثلاثة أصل سعادة العبد وفلاحه، وهي معنى قول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، فأسعد الخلق أهل العبادة والاستعانة والهداية إلى المطلوب، وأشقاهم من عُدِمَ الأمور الثلاثة[٢].

◈ **اللطيفة التاسعة عشرة: المناسبة من مجيء ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ بعد ما سبق من صفات في الآيات.**

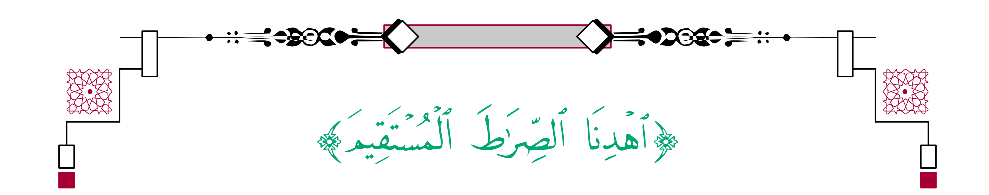
قال سليمان بن إبراهيم بن عبدالله اللاحم: يؤخذ من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ بعد قوله في أول السورة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ أن من كانت هذه صفته؛ لم يكن أحق منه بالعبادة والاستعانة وطلب الهداية[٣].

---

(١) (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان).

(٢) (إعلام الموقعين عن رب العالمين).

(٣) (اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب).



◈ اللطيفة الأولى: لم قُدِّم المدح والثناء والعبودية والتوحيد؛ قبل دعاء ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجلُّ المطالب، ونيله أشرف المواهب؛ علَّم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم، توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء... وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين، وهما التوسل بالحمد والثناء عليه وتمجيده، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده، ثم جاء سؤال أجلّ المطالب وأنجح الرغائب؛ وهو الهداية بعد الوسيلتين، فالداعي به حقيق بالإجابة، ونظير هذا دعاء النبي ﷺ الذي كان يدعو به إذا قام يصلي من الليل رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَلَكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**» فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه وبعبوديته له، ثم سأله المغفرة[1].

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

وقال الإمام ابن كثير، بعد قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: لما تقدم الثناء على المسؤول تبارك وتعالى؛ ناسب أن يُعقَّب بالسؤال كما قال: «**فنصفها لعبدي ولعبدي ما سأل**»، وهذا أكمل أحوال السائل؛ أن يمدح مسؤوله، ثم يسأله حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين، بقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، لأنه أنجح للحاجة، وأنجح للإجابة، ولهذا أرشد الله تعالى إليه لأنه الأكمل[١].

وقال محمد بن جزِّي الكلبي في تفسير الفاتحة: قدم الحمد والثناء على الدعاء؛ لأن تلك السنة في الدعاء، وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وذلك أقرب للإجابة[٢].

◈ اللطيفة الثانية: مناسبة وارتباط ﴿ٱهۡدِنَا﴾ بالآية قبلها.

قال أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي: اتصال (نا) بـ(اهدِ)؛ مناسب لنعبد ونستعين، لأنه لما أخبر المتكلم أنه هو ومن معه يعبدون الله ويستعينونه؛ سأل له ولهم الهداية إلى الطريق الواضح، لأنهم بالهداية تصح منهم العبادة، ألا ترى أن من لم يهتد إلى السبيل الموصلة لمقصوده؛ لا يصح له بلوغ مقصوده[٣].

◈ اللطيفة الثالثة: لم دعاء ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ من أجمع وأنفع الدعاء، وأُمِرنا أن ندعوا به في اليوم والليلة مرات عديدة.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: ولما كان تمام النعمة على العبد إنما هو

---

(١) تفسير ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم).
(٢) (التسهيل لعلوم التنزيل).
(٣) (تفسير البحر المحيط).

بالهدى والرحمة؛ كان لهما ضدان؛ الضلال والغضب، فأمرنا الله سبحانه أن نسأل كل يوم وليلة مرات عديدة أن يهدينا صراط الذين أنعم عليهم؛ وهم أولوا الهدى والرحمة، ويجنبنا طريق المغضوب عليهم؛ وهم ضد المهتدين، ولهذا كان هذا الدعاء من أجمع الدعاء، وأفضله وأوجبه(١).

وقال أيضًا: والغفلة عن الله والدار الآخرة؛ متى تزوجت باتباع الهوى؛ تولَّد ما بينهما كل شر، وكثيرًا ما يقترن أحدهما بالآخر ولا يفارقه، ومن تأمل فساد أحوال العالم عمومًا وخصوصًا؛ وجده ناشئًا عن هذين الأصلين، فالغفلة تحول بين العبد وبين تصور الحق ومعرفته والعلم به؛ فيكون من الضالين، واتباع الهوى يصده عن قصد الحق وإرادته واتباعه؛ فيكون من المغضوب عليهم، وأما المنعم عليهم فهم الذين مَنَّ الله عليهم بمعرفة الحق علمًا، وبالانقياد إليه وإيثاره على ما سواه عملًا، وهؤلاء هم الذين على سبيل النجاة، ومن سواهم على سبيل الهلاك، ولهذا أمرنا الله سبحانه أن نقول كل يوم وليلة عدة مرات: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فإن العبد مضطر كل الاضطرار إلى أن يكون عارفًا بما ينفعه في معاشه ومعاده، وأن يكون مؤثرًا مريدًا لما ينفعه، مجتنبًا لما يضره، فبمجموع هذين يكون قد هدي إلى الصراط المستقيم، فإن فاته معرفة ذلك؛ سلك سبيل الضالين، وإن فاته قصده واتباعه؛ سلك سبيل المغضوب عليهم، وبهذا يعرف قدر هذا الدعاء العظيم، وشدة الحاجة إليه، وتوقف سعادة الدنيا والآخرة عليه(٢).

---

(١) (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان).

(٢) (مجموع الرسائل، رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه).

وقال أيضًا: وأما اشتمالها على شفاء القلوب، فإنها اشتملت عليه أتم اشتمال، فإن مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين: فساد العلم، وفساد القصد، ويترتب عليهما داءان قاتلان، وهما: الضلال والغضب، فالضلال نتيجة فساد العلم، والغضب نتيجة فساد القصد، وهذان المرضان هما ملاك أمراض القلوب جميعها، فهداية الصراط المستقيم تتضمن الشفاء من مرض الضلال، ولذلك كان سؤال هذه الهداية أفرض الدعاء على كل عبد، وأوجبه عليه كل يوم وليلة في كل صلاة، لشدة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة، ولا يقوم غير هذا السؤال مقامه[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولما أمرنا الله سبحانه أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، المغايرين للمغضوب عليهم وللضالين؛ كان ذلك مما يبين أن العبد يخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين، وقد وقع ذلك كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: «**لتسلكن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**»[(٢)].

وكان السلف يرون أن من انحرف من العلماء عن الصراط المستقيم؛ ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العباد؛ ففيه شبه من النصارى، كما يرى في أحوال منحرفة أهل العلم من تحريف الكلم عن مواضعه، وقسوة القلوب، والبخل والعلم، والكبر، وأمر الناس بالبر ونسيان أنفسهم، وغير ذلك، وكما يرى في منحرفة أهل العبادة والأحوال في الغلو في الأنبياء

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٦).

والصالحين، والابتداع في العبادات من الرهبانية والصور والأصوات[١].

وقال أيضًا: فالصراط المستقيم هو ما بعث الله به رسوله محمد ﷺ بفعل ما أمر، وترك ما حظر، وتصديقه فيما أخبر، ولا طريق إلى الله إلا ذلك، وهذا سبيل أولياء الله المتقين وحزب الله المفلحين وجند الله الغالبين، وكل ما خالف ذلك فهو من طريق أهل الغي والضلال، وقد نزه الله تعالى نبيه عن هذا وهذا، فقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١- ٤]، وقد أمرنا الله سبحانه أن نقول في صلاتنا: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وقد روى الترمذي وغيره عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ أنه قال: «**الْيَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ**»، وقال سفيان بن عينية كانوا يقولون: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شبه من النصارى، وكان غير واحد من السلف يقول: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما؛ فتنة لكل مفتون، فمن عرف الحق ولم يعمل به؛ أشبه اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤﴾ [البقرة: ٤٤]، ومن عبد الله بغير علم بل بالغلو والشرك؛ أشبه النصارى الذين قال الله فيهم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، فالأول من الغاوين، والثاني من الضالين، فإن الغي اتباع الهوى، والضلال عدم الهدى... ومن جمع الضلال والغي؛ ففيه شبه من هؤلاء وهؤلاء[٢].

---

(١) (مجموعة الفتاوى).

(٢) (مجموع الفتاوى).

وقال أيضًا: فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله تصديقًا به ودينًا له، لكن يعرض لها ما يفسدها، ومعرفة الحق تقتضي محبته، ومعرفة الباطل تقتضي بغضه، لما في الفطرة من حب الحق وبغض الباطل، لكن قد يعرض لها ما يفسدها، إما من الشبهات التي تصدها عن التصديق بالحق، وإما من الشهوات التي تصدها عن اتباعه، ولهذا أمرنا الله أن نقول في الصلاة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وقال النبي ﷺ: «**الْيَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ**» لأن اليهود يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم؛ ولا يتبعونه لما فيهم من الكبر والحسد الذي يوجب بغض الحق ومعاداته، والنصارى لهم عبادة وفي قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها؛ لكن بلا علم، فهم ضُلَّال، هؤلاء لهم معرفة بلا قصد صحيح، وهؤلاء لهم قصد في الخير بلا معرفة له، وينضم إلى ذلك الظن واتباع الهوى، فلا يبقى في الحقيقة معرفة نافعة ولا قصد نافع، بل يكون كما قال تعالى عن مشركي أهل الكتاب: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾[1].

وقال أيضًا: وليس صلاح الإنسان في مجرد أن يعلم الحق دون ألا يحبه ويريده ويتبعه، كما أنه ليس سعادته في أن يكون عالمًا بالله مقرًا بما يستحقه؛ دون أن يكون محبًا لله، عابدًا لله، مطيعًا لله، بل أشد الناس عذابًا يوم القيامة؛ عالم لم ينفعه الله بعلمه، فإذا علم الإنسان الحق وأبغضه وعاداه؛ كان مستحقًا من غضب الله وعقابه ما لا يستحقه من ليس كذلك، كما أن من كان قاصدًا للحق طالبًا له وهو جاهل بالمطلوب وطريقه؛ كان فيه من الضلال وكان مستحقًا من اللعنة - التي هي البعد عن رحمة الله - ما لا

(١) (مجموع الفتاوى).

يستحقه من ليس مثله، ولهذا أمرنا الله أن نقول ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، المغضوب عليهم علموا الحق فلم يحبوه ولم يتبعوه، والضالون قصدوا الحق لكن بجهل وضلال به وبطريقه، فهذا بمنزلة العالم الفاجر، وهذا بمنزلة العابد الجاهل، وهذا حال اليهود فإنهم مغضوب عليهم، وهذا حال النصارى فإنهم ضالون كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**الْيَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ**»[(١)].

وقال أيضًا: وفي قوله تعالى: . . . ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾، من الفوائد أن العبد لا يركن إلى نفسه ولا يسكن إليها، فإن الشر لا يجيء إلا منها، ولا يشتغل بملام الناس ولا ذمهم إذا أساؤوا إليه؛ فإن ذلك من السيئات التي أصابته وهي إنما أصابته بذنوبه، فيرجع إلى الذنوب فيستغفر منها، ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته، فبذلك يحصل له كل خير، ويندفع عنه كل شر، ولهذا كان أنفع الدعاء، وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فإنه إذا هداه هذا الصراط؛ أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصِبْه شر، لا في الدنيا ولا في الآخرة، لكن الذنوب هي من لوازم نفس الإنسان؛ وهو محتاج إلى الهدى في كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الأكل والشرب، ليس كما يقول طائفة من المفسرين: «إنه قد هداه؛ فلماذا يسأل الهدى؟ وأن المراد بسؤال الهدى: الثبات، أو مزيد الهداية»؛ بل العبد محتاج إلى أن يعلِّمه ربه ما يفعله من تفاصيل أحواله، وإلى ما يتولد من

(١) (مجموع الفتاوى).

تفاصيل الأمور في كل يوم، وإلى أن يلهم أن يعمل ذلك، فإنه لا يكفي مجرد عمله إن لم يجعله الله مريدًا للعمل بعلمه، وإلا كان العلم حجة عليه ولم يكن مهتديًا، والعبد محتاج إلى أن يجعله الله قادرًا على العمل بتلك الإرادة الصالحة؛ فإنه لا يكون مهتديًا إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ إلا بهذه العلوم والإرادات والقدرة على ذلك، ويدخل في ذلك من أنواع الحاجات ما لا يمكن إحصاؤه، ولهذا كان الناس مأمورين بهذا الدعاء في كل صلاة؛ لفرط حاجتهم إليه، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى هذا الدعاء، وإنما يعرف بعض قدر هذا الدعاء من اعتبر أحوال نفسه ونفوس الإنس والجن المأمورين بهذا الدعاء، ورأى ما في النفوس من الجهل والظلم الذي يقتضي شقاءها في الدنيا والآخرة، فليعلم أن الله بفضله ورحمته جعل هذا الدعاء من أعظم الأسباب المقتضية للخير، المانعة من الشر[(١)].

◈ اللطيفة الرابعة: لم قال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ فعدَّى الفعل بنفسه ولم يُعَدِّه بـ (إلى)؟

قال ابن قيم الجوزية: لم قال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ فعدَّى الفعل بنفسه ولم يُعَدِّه بـ (إلى)، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾؟ فأجاب بقوله: وأما المسألة السابعة: وهي تعدية الفعل هنا بنفسه دون حرف (إلى)؛ فجوابها: أن فعل الهداية يتعدى بنفسه تارة، وبحرف (إلى) تارة، وباللام تارة، والثلاثة في القرآن، فمن المعدَّى بنفسه هذه الآية وقوله: ﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾، ومن المعدَّى بإلى قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾،

(١) (مجموع الفتاوى).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾، ومن المعدَّى باللام قول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾، والفرق بين هذه المواضع تدق جدًّا عن أفهام العلماء، ولكن نذكر قاعدة تشير إلى الفرق، وهي: أن الفعل المعدَّى بالحروف المتعددة؛ لا بد أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف، فإن ظهر اختلاف الحرفين؛ ظهر الفرق، نحو: رغبت فيه ورغبت عنه، وعدلت إليه وعدلت عنه، وملت إليه وعنه، وسعيت إليه وبه، وإن تقارب معنى الأدوات عَسُرَ الفرق، نحو: قصدت إليه وقصدت له، وهديته إلى كذا وهديته لكذا، وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر، وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة؛ بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال، فيُشرِبون الفعل المتعدي به معناه، وهذه طريقة إمام الصناعة سيبويه، وطريقة حذاق أصحابه، يضمِّنون الفعل معنى الفعل لا يقيمون الحرف مكان الحرف، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة ولطافةً في الذهن، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾، فإنهم يضمنون يشرب معنى يروي؛ فيُعدُّونه بالباء التي تطلبها، فيكون في ذلك دليل على الفعلين، أحدهما بالتصريح به، والثاني بالتضمن والإشارة إليه بالحرف الذي يقتضيه مع غاية الاختصار، وهذا من بديع اللغة ومحاسنها وكمالها، ومنه قوله في السحاب: (شَرِبْنَ بماء البحر)، أي: رُوِينَ به، ثم ترفعن وصعدن، وهذا أحسن من أن يقال: يشرب منها، فإنه لا دلالة فيه على الريِّ، وأن يقال: يروى بها، لأنه لا يدل على الشرب بصريحه بل باللزوم، فإذا قال: يشرب بها؛ دل على الشرب بصريحه، وعلى الريِّ بحرف الياء فتأمله.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ﴾، وفعل الإرادة لا يتعدى بالباء، ولكن ضمن معنى (يَهِمُّ فيه بكذا) وهو أبلغ من الإرادة، فإن الهم مبدأ الإرادة، فكان في ذكر الباء إشارة إلى استحقاق العذاب بمبدأ الإرادة وإن لم تكن جازمة، وهذا باب واسع لو تتبعناه لطال الكلام فيه، ويكفي المثالان المذكوران، فإذا عرفت هذا؛ ففعل الهداية متى عُدِّيَ بإلى؛ تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة؛ فأتى بحرف الغاية، ومتى عُدِّي باللام؛ تضمن التخصيص بالشيء المطلوب؛ فأتى باللام الدالة على الاختصاص والتعيين، فإذا قلت: هديته لكذا؛ أفهم معنى ذكرته له وجعلته له وهيأته ونحو هذا، وإذا تعدى بنفسه؛ تضمن المعنى الجامع لذلك كله، وهو التعريف والبيان والإلهام، فالقائل إذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ هو طالب من الله أن يعرفه إياه، ويبيِّنه له، ويلهمه إياه، ويُقدِّره عليه، فيجعل في قلبه علمه وإرادته والقدرة عليه، فجرَّد الفعل من الحرف وأتى به مجردًا مُعدّى بنفسه؛ ليتضمن هذه المراتب كلها، ولو عُدِّي بحرف؛ تعين معناه وتخصص بحسب معنى الحرف، فتأمله فإنه من دقائق اللغة وأسرارها[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكذلك لفظ (الإثم) إذا أطلق؛ دخل فيه كل ذنب، وقد يقرن بالعدوان كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾، وكذلك لفظ (الهدى) إذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميعًا، فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ والمراد طلب العلم الحق والعمل به جميعًا، وكذلك قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ والمراد به أنهم يعلمون ما فيه

(١) (بدائع الفوائد).

ويعملون به... ثم قد يقرن الهدى مثل قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾، والهدى هنا هو الإيمان ودين الحق هو الإسلام، وإذا أطلق الهدى؛ كان كالإيمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا(١).

وقال الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين: ﴿ٱهۡدِنَا﴾: ومن فوائد الآية: بلاغة القرآن، حيث حذف حرف الجر من ﴿ٱهۡدِنَا﴾، والفائدة من ذلك لأجل أن تتضمن طلب الهداية التي هي هداية العلم، وهداية التوفيق، لأن الهداية تنقسم إلى قسمين: هداية علم وإرشاد، وهداية توفيق وعمل(٢).

وقال الدكتور فاضل بن صالح السامرائي: فعل الهداية قد يتعدى بنفسه من غير حرف؛ مثل ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾، وكقوله: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾، وقوله: ﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا﴾، وقد يتعدى بإلى كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾، وقوله: ﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩﴾، وقد يتعدى باللام، كقوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِىَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾، وقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾، ذكر أهل اللغة والمفسرون أن التعدية بالحرف إذا لم يكن في الطريق؛ فهو كان بعيدًا عن الطريق ثم أرشده إليه، والتعدية من دون حرف ممكن أن تكون لمن ليس فيه، ولمن هو فيه؛ أي في الطريق، أي هو في الطريق لكن نعرفه الطريق ونبصره فيه.

إذًا التعدية من غير حرف تكون لمن هو في الطريق ولمن ليس فيه، وهذا استعمال القرآن لمن كان خارج الطريق، وفيه مثال قوله تعالى على لسان إبراهيم لأبيه: ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾، وأبوه ليس في الصراط بل هو بعيد عنه، فاستعمل له الفعل الذي يتعدى بنفسه، وقال أيضًا: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ

(١) (مجموع الفتاوى).
(٢) (تفسير الفاتحة والبقرة).

فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّأَتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ وهذا للمنافقين، وهم ليسوا في الصراط، واستعمله في الصراط مثل قوله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ وهم في الصراط، وخاطب رسوله: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾، والتعدية بحرف مثل ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾، إذًا فالبعيد عن الطريق يحتاج من يوصله إليه، ومن هو في الطريق يحتاج من يعرفه به، لذلك جاء الدعاء في ﴿ٱهْدِنَا﴾ متعدي بنفسه؛ ليشمل من ضلَّ عن الطريق من المسلمين ليرجع إليه، ومن هو فيه يحتاج من يعرفه عليه[(١)].

وقال أيضًا: ﴿ٱهْدِنَا﴾ جاءت متعدية بنفسها، وذلك لتشمل من كان خارج الطريق وتعرف من داخله، وأيضًا لتوصل إلى خاتمة الهدايات، كما قال أصحاب الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾...، لذلك لم تأت الهداية في الفاتحة متعدية باللام؛ لأن الهداية إلى الطريق، والطريق ليست غاية بل وسيلة إلى الغاية، لذلك تعدت الهداية عند أهل الجنة باللام، أو كما قال.

وقال: صحيح أن الله استعمل (إلى) في التعدي بالحرف؛ لكنه لم يستعمل في القرآن الهداية باللام إلا في خاتمة الهدايات ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، لذلك هداية اللام اختصها الله سبحانه لنفسه أو للقرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾، وقال: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

وقال: نلاحظ أن القرآن لم يستعمل الهداية متعدية باللام مع السبيل والصراط؛ وذلك لأن الطريق ليس غاية، لذلك يستعمل القرآن اللام في

---

(١) لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.

خاتمة الهدايات[1].

وقال الشيخ خالد بن عثمان السبت: ﴿ٱهۡدِنَا﴾ عدَّاه بنفسه، وذلك ليدخل فيه كل أنواع الهدايات، لذلك جرَّد من حروف التعدية[2].

◈ **اللطيفة الخامسة: أسلوب تعليمي حسن، وهو: الإجمال أولًا في ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، ثم التفصيل في ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾.**

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ وهذا مجمل، ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ وهذا مفصل، لأن الإجمال ثم التفصيل فيه فائدة: فإن النفس إذا جاء المجمل تترقَّب وتتشوَّف للتفصيل والبيان، فإذا جاء التفصيل وورد على نفس؛ وجدَهَا مستعدة لقبوله متشوِّفة إليه[3].

◈ **اللطيفة السادسة: لم قال: ﴿ٱهۡدِنَا﴾ بنون الجمع، ولم يقل: (اهدني) مع أنه قد يكون القارئ وحده.**

قلت: قد تقدم الجواب في ﴿نَعۡبُدُ﴾ و﴿نَسۡتَعِينُ﴾ عن نون الجمع، فلتراجع هناك؛ مع ما أضيف عليها هنا في هذه اللطيفة.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وأما المسألة التاسعة عشرة، وهي: الإتيان بالضمير في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ ضمير جمع، فقد قال بعض الناس في جوابه: إن كل عضو من أعضاء العبد، وكل حاسَّة ظاهرة وباطنة؛ مفتقرة إلى هداية خاصة بها، فأتى بصيغة الجمع؛ تنزيلًا لكل عضو من أعضائه

---

(١) لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.
(٢) (مجالس في تدبر القرآن، على الإنترنت).
(٣) (تفسير الفاتحة) لابن عثيمين.

منزلة المسترشد الطالب لهداه، وعرضت هذه الجواب على شيخ الإسلام ابن تيمية -قدَّس الله روحه- فاستركَّه واستضعفه جدًّا ولم يرضَه، وهو كما قال، فإن الإنسان اسم للجملة لا لكل جزء من أجزائه وعضو من أعضائه، والقائل إذا قال: (اغفر لي وارحمني واجبرني وأصلحني واهدني) سائل من الله ما يحصل لجملته ظاهره وباطنه، فلا يحتاج أن يستشعر لكل عضو مسألة تخصه يفرد لها لفظة، فالصواب أن يقال: هذا مطابق لقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، والإتيان بضمير الجمع في الموضعين أحسن وأفخم، فإن المقام مقام عبودية وافتقار إلى الرب تعالى، وإقرار بالفاقة إلى عبوديته واستعانته وهدايته، فأتى فيه بصيغة ضمير الجمع أي: نحن معاشر عبيدك مقرِّون لك بالعبودية، وهذا كما يقول العبد للملك المعظم شأنه: نحن عبيدك ومماليكك وتحت طاعتك ولا نخالف أمرك، فيكون هذا أحسن وأعظم موقعًا عند الملك من أن يقول: أنا عبدك ومملوكك، ولهذا لو قال: أنا وحدي مملوكك؛ استدعى مقته، فإذا قال: أنا وكل من في البلد مماليكك وعبيدك وجند لك؛ كان أعظم وأفخم، لأن ذلك يتضمن أن عبيدك كثير جدًّا وأنا واحد منهم، فكلنا مشتركون في عبوديتك والاستعانة بك وطلب الهداية منك، فقد تضمن ذلك من الثناء على الرب بسعة مجده وكثرة عبيده وكثرة سائليه الهداية؛ ما لا يتضمنه لفظ الإفراد، فتأمله، وإذا تأملت أدعية القرآن رأيت عامتها على هذا النمط، نحو: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، ونحو: دعاء آخر البقرة، وآخر آل عمران وأولها، وهو أكثر أدعية القرآن[١].

---

(١) (بدائع الفوائد).

وقال الإمام الرازي: لقائل أن يقول: لم قال: ﴿ٱهۡدِنَا﴾ ولم يقل: (اهدني)؟ الجواب: أن الدعاء كلما كان أعم؛ كان إلى الإجابة أقرب[(١)].

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي المالكي: قلت: ونقل بعضهم ما السر في أن قيل: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ بنون العظمة والداعي واحد؟ هو محل تضرع وخضوع، فهلَّا قال: اهدني؟ فأجاب: بأن المصلي وإن كان واحد فهو طالب لنفسه ولجميع المسلمين[(٢)].

وقال الدكتور فاضل السامرائي: ﴿ٱهۡدِنَا﴾، لم تأتِ (اهدني)؛ لأن فيه روح الجماعة وقتل الأنانية والأثرة، وأيضًا كثرة السالكين في الطريق تعطي الأُنْس والقوة، أما السالك وحده تورثه الضعف والوحشة، وقد يملُّ السير في الطريق وحده، فكثرة السالكين أدعى للتثبت والأنس. انتهى كلامه.

قلت: دعاء المصلي بطلب الهداية للجماعة؛ فيها: أن المؤمن قوي بأخيه، ويستأنس به في سلوك الطريق؛ فيدعو الله أن يكثرهم بالهداية من حوله في سلوك طريق الإيمان وفي غربة الدين، والله أعلى وأعلم.

◈ اللطيفة السابعة: لم وصف الطريق بالصراط والاستقامة، وجاء الصراط على وزن فِعَال.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وأما المسألة الثالثة: وهي اشتقاق الصراط، فالمشهور أنه من: (صرطت الشيء أصرطه)؛ إذا بلعته بلعًا سهلًا، فسمي الطريق صراطًا؛ لأنه يسترط المارة فيه، والصراط؛ ماجمع خمسة أوصاف: أن يكون طريقًا مستقيمًا، سهلًا، مسلوكًا، واسعًا، موصِّلًا إلى المقصود،

---

(١) (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير).

(٢) (تفسير ابن عرفة).

فلا تسمي العرب الطريق المعوجَّ صراطًا، ولا الصعب المُشِقّ، ولا المسدود غير الموصِّل، ومن تأمل موارد الصراط في لسانهم واستعمالهم؛ تبين له ذلك، قال جرير:

أمير المؤمنين على صراط ... إذا اعوجَّ الموارد مستقيم

وبنوا الصراط على زنة (فِعَال) لأنه مشتمل على سالكه اشتمال الحلق على الشيء المسروط، وهذا الوزن كثير في المشتملات على الأشياء، كاللحاف والخمار والرداء والغطاء والفراش والكتاب إلى سائر الباب، وهذا الوزن يأتي لثلاثة معان:

أحدهما: المصدر، كالقتال والضراب، والثاني: المفعول، نحو: الكتاب والبناء والفراش، والثالث: أن يقصد به قصد الآلة التي يحصل بها الفعل ويقع بها، كالخمار والغطاء والسداد؛ لما يخمر به ويغطى ويسد به، فهذا آلة محضة، والمفعول هو الشيء المخمَّر والمغطى والمسدود، ومن هذا القسم الثالث: إله؛ بمعنى مألوه[١].

وقال أيضًا: ولا تكون الطريق صراطًا حتى تتضمن خمسة أمور: الاستقامة والإيصال إلى المقصود، والقرب، وسعته للمارين عليه، وتعينه طريقًا للمقصود، ولا يخفى تضمن الصراط المستقيم لهذه الأمور الخمسة، فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه، لأن الخط المستقيم هو أقرب خط فاصل بين نقطتين، وكلما تعوج؛ طال وبَعُد، واستقامته؛ تتضمن إيصاله إلى المقصود، ونصبه لجميع من يمر عليه؛ يستلزم سعته، وإضافته إلى المنعم عليهم ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال؛ يستلزم تعينه طريقًا[٢].

(١) (بدائع الفوائد).

(٢) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

وقال الراغب الأصفهاني: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ وذلك قد تصور على وجهين:

أحدهما: أنه إشارة إلى أن الطريق المستقيم بإضافتها إلى طريق الضلال واحدة؛ وطرق الضلال كثيرة، وعلى هذا النحو قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾، وروي أن النبي ﷺ قال: «**ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبي الصراط ستور مرخاة، وعلى رأس الصراط داعٍ يقول: ادخلوا الصراط ولا تعوجُّوا، ثم قال: الصراط: الإسلام، والستور المرخاة: محارم الله**».

والثاني: أن طريق النجاة بإضافة بعضها إلى بعض كثيرة، ولكن بعضها أقصر، وبعضها أبعد، وأقصر الطرق؛ الطريق المستقيم الذي هو طريق السابقين دون طريق المقتصدين الظالمين، وإن كانا مؤديين إلى النجاة أيضًا ولكنهما أبعد، ألا ترى أنه قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾... فجعل ثلتهم مصطفين، ولكون بعض الطرق أقرب من بعض[1].

قال أبو الهلال العسكري: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ الفرق بين الصراط والطريق والسبيل: أن الصراط هو الطريق السهل، قال الشاعر:

وطئنا أرضهم بالخيل حتى ... تركناهم أذل من الصراط

وهو من الذل خلاف الصعوبة؛ وليس من الذل خلاف العز، والطريق لا يقتضي السهولة، والسبيل: اسم يقع على ما يقع عليه الطريق وعلى ما لا يقع عليه الطريق، تقول: سبيل الله وطريق الله، وتقول: سبيلك أن تفعل

---

(١) (تفسير الراغب الأصفهاني).

كذا ولا تقول: طريقك أن تفعل به[١].

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ الطريق، المنهاج الواضح، قال: فصدَّ عن نهج الصراط القاصد، وقال جرير بن عطية الخطفي أمير المؤمنين:

على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

والموارد: الطرق[٢].

قال فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي: الفائدة الثالثة: فالحاصل أن الخط المستقيم أقصر من جميع الخطوط المعوجة، فكأن العبد يقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ لوجوه:

الأول: أنه أقرب الخطوط وأقصرها، وأنا عاجز فلا يليق بضعفي إلا الطريق المستقيم[٣].

قال الشيخ محمد متولي الشعراوي: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ ما هو الصراط؟ إنه الطريق الموصلة إلى الغاية، ولماذا نص على أنه الصراط المستقيم؟ لأن الله سبحانه وتعالى وضع لنا في منهجه الطريق المستقيم، وهو أقصر الطرق إلى تحقيق الغاية، فأقصر طريق بين نقطتين هو الطريق المستقيم، ولذلك إذا كنت تقصد مكانًا؛ فأقصر طريق تسلكه هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه ولكنه مستقيم تمامًا. انتهى[٤].

---

(١) (الفروق اللغوية) لأبي هلال العسكري.

(٢) (مجاز القرآن) لأبي عبيدة.

(٣) (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير).

(٤) (تفسير الشعراوي).

قلت: إن هذا الطريق إذا سرت عليه؛ وصلت لمقصدك مما أراده الله لك بسرعة لأنه مستقيم، بخلاف الطرق الأخرى المعوجة التي لن توصلك، وإن أوصلتك فلغير المقصود.

قال الدكتور محمد المختار محمد المهدي: في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ كلمة (الصراط) مأخوذة من: سرط الشيء؛ إذا ابتلعه في يسر وسهولة، وهذه اللفظة هي التي حُرِّفت في اللغة العامية إلى: زلط، غير أن اختيار صيغة (فِعال) لطريق الإسلام؛ فيه دلالة أخرى غير الدلالة اللغوية، ذلك أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة للاشتمال والإحاطة، مثل: الإزار، الرداء، اللحاف، الغطاء، الخمار، الإطار، فهي إذًا في الصراط إشارة إلى أن من يدخل في الإسلام يجده سهلًا؛ كما يبتلع المرء اللقمة في سهولة ييسرها له البلعوم بما فيه من مادة مخاطية وهذا هو المعنى اللغوي، وهو كذلك يغطي كل احتياجاته بحيث لا يفتقر إلى رافد آخر يأخذ منه رأيًا أو حكمًا أو توجيهًا، وهذا هو المعنى الصيغي[1].

◈ اللطيفة الثامنة: لم ذكر الصراط المستقيم مفردًا ومعرَّفًا.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وذكر الصراط المستقيم مفردًا معرَّفًا تعريفين، تعريفًا باللام وتعريفًا بالإضافة، وذلك يفيد تعيينه واختصاصه، وأنه صراط واحد، وأما طرق أهل الغضب والضلال؛ فإنه سبحانه يجمعها ولا يفردها، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ فوحَّد لفظ (صراطه) و(سبيله)، وجمع (السبل) المخالفة له[2].

(١) كتاب (أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي).

(٢) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

وقال شيخ الإسلام: وكذلك في الأحاديث الصحيحة، مثل: ما ترجم عليه البخاري فقال: (باب ما جاء في أن دين الأنبياء واحد)، وذكر الحديث المتفق عليه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إنا معاشر الأنبياء إخوة لعلات**» ومثل صفته في التوراة: (لن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء، فأفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غُلفًا)، ولهذا وحد الصراط والسبيل في مثله قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، وقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1].

وقال أيضًا: وكانت القبلة في أول الأمر؛ بيت المقدس، ثم صارت القبلة؛ الكعبة، وفي كلا الحالين الدين واحد؛ وهو دين الإسلام، فهكذا سائر ما شرع للأنبياء قبلنا، ولهذا حيث ذكر اللهُ الحقَّ في القرآن؛ جعله واحدًا، وجعل الباطل متعددًا، كقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾، وقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾[2].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: ما فائدة تعريف ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ باللام، وهلَّا أخبر عنه بمجرد اللفظ دونهما كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾؟

---

(١) (مجموع الفتاوى).

(٢) (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية).

قال: وأما المسألة الثانية، وهي: تعريف الصراط باللام هنا، فاعلم أن الألف واللام إذا دخلت على اسم موصوف؛ اقتضت أنه أحق بتلك الصفة من غيره، ألا ترى أن قولك: جالِس فقيهًا أو عالمًا؛ ليس كقولك: جالِس الفقيه أو العالم، ولا قولك: أكلت طيبًا؛ كقولك: أكلت الطيب، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «**أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق**»، ثم قال: «**ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق**»؛ فلم يدخل الألف واللام على الأسماء المحدثة، وأدخلها على اسم الرب تعالى ووعده وكلامه. فإذا عرفت هذا، فلو قال: اهدنا صراطًا مستقيمًا؛ لكان الداعي إنما يطلب الهداية إلى صراطٍ ما مستقيم على الإطلاق، وليس المراد ذلك؛ بل المراد الهداية إلى الصراط المعيَّن الذي نصبه الله تعالى لأهل نعمته، وجعله طريقًا إلى رضوانه وجنته؛ وهو دينه الذي لا دين له سواه، فالمطلوب أمرٌ معيَّن في الخارج والذهن؛ لا شيء مطلق منكر، واللام هنا؛ للعهد العلمي الذهني، وهو أنه طلب الهداية إلى معهود قد قام في القلوب معرفته والتصديق به وتميُّزه عن سائر طرق الضلال، فلم يكن بد من التعريف، فإن قيل: فلم جاء منكرًا في قوله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، فالجواب عن هذه المواضع بجواب واحد، وهو: أنها ليست في مقام الدعاء والطلب؛ وإنما هي في مقام الإخبار عن الله تعالى عن هدايته إلى صراط مستقيم، وهداية رسوله إليه، ولم يكن للمخاطبين عهدٌ به ولم يكن معروفًا لهم؛ فلم يجئ



معرَّفًا بلام العهد المشيرة إلى معروف في ذهن المخاطب قائم في خَلَده، ولا تقدَّمه في اللفظ معهود تكون اللام مصروفة إليه، وإنما تأتي لام العهد في أحد هذين الموضعين، أعني أن يكون لها معهود ذهني أو ذكر لفظي، وإذ لا واحد منهما في هذه المواضع؛ فالتنكير هو الأصل، وهذا بخلاف قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، فإنه لما تقرر عند المخاطبين أن لله صراطًا مستقيمًا هدى إليه أنبياءه ورسله، وكان المخاطب سبحانه المسؤول منه هدايته عالمًا به؛ دخلت اللام عليه، فقال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[1].

وقال ابن قيم الجوزية: قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾، فجمع سبل الباطل ووحَّد سبيله الحق، ولا يناقض هذا قوله تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾، فإن تلك هي طرق مرضاته التي يجمعها سبيله الواحد وصراطه المستقيم، فإن طرق مرضاته كلها ترجع إلى صراط واحد وسبيل واحد، وهي سبيله التي لا سبيل إليه إلا منها[2].

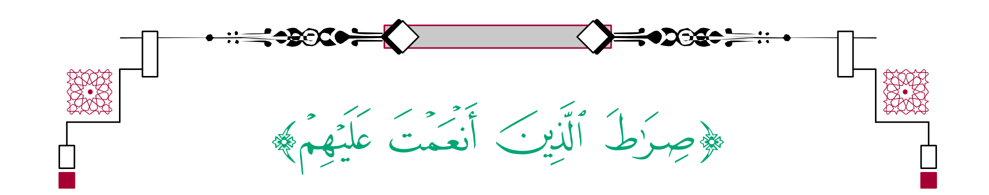
وقال الدكتور فاضل بن صالح السامرائي: الصراط لم يأت في القرآن إلا مفردًا، بخلاف السبل؛ جاءت مفردة وجاءت جمعًا، وذلك لأن الصراط هو الذي تفضي إليه السبل قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾، وقال: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ وهي: طرق الخير المتعددة التي تفضي إلى الصراط، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ

(١) (بدائع الفوائد).

(٢) (اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية).

ﵟأَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚﵞ، لأن الدعوة إلى الله هي سبيل واحد؛ وهي كل الإسلام، لكن الصراط؛ هو الإسلام، فهو طريق الإسلام الرحب الواسع الذي تفضي إليه السبل[١].

(١) لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.



﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمۡ﴾

◈ **اللطيفة الأولى: مناسبة الآية لما قبلها.**

قال برهان الدين إبراهيم البقاعي: فلما أشرق واستنار، وعرف مواقع الأسرار بالأقدار، كأنه قيل له: ماذا تطلب وفي أي مذهب تذهب؟ فقال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، ولما طلب أشرف طريق؛ سأل أحسن رفيق ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾(١).

◈ **اللطيفة الثانية: أن أهل الصراط المستقيم؛ هم أهل الوسطية بين طرفي الانحراف والفساد.**

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وقوله: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ يتضمن بيان طرفي الانحراف عن الصراط المستقيم، وأن الانحراف إلى أحد الطرفين؛ انحراف إلى الضلال الذي هو فساد العلم والاعتقاد، والانحراف إلى الطرف الآخر؛ انحراف إلى الغضب الذي سببه فساد القصد والعمل(٢).

◈ **اللطيفة الثالثة: صلاح العبد؛ بمعرفة سبيل الحق وأهله واتباعه، ومعرفة سُبُل الضلال وأهلها واجتنابها.**

قال الإمام ابن قيم الجوزية: ولا صلاح للعبد إلا بمعرفة الحق وقصده، كما قال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ

---

(١) (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور).

(٢) كتاب (الفوائد).

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، فمن لم يعرف الحق؛ كان ضالًّا، ومن عرفه ولم يتبعه؛ كان مغضوبًا عليه، ومن عرفه واتبعه؛ فقد هدي إلى الصراط المستقيم، وأول الشر؛ الضلال، ومنتهاه؛ الغضب، كما أن أول الخير؛ الهدى، ومنتهاه؛ الرحمة والرضوان. انتهى[١].

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وهذان الأصلان أعني: الضلال والشقاء؛ يذكرهما سبحانه كثيرًا في كلامه، ويخبر أنهما حظ أعدائه، ويذكر ضدهما، وهما: الهدى والفلاح؛ كثيرًا، ويخبر أنهما حظ أوليائه.

أما الأول؛ فكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧﴾، فالضلال؛ الضلال، والسُّعُر هو الشقاء والعذاب، وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾.

وأما الثاني: فكقوله تعالى في أول البقرة وقد ذكر المؤمنين وصفاتهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾... ولما كانت سورة أمِّ القرآن أعظم سورة في القرآن، وأفرضها قراءة على الأمة، وأجمعها لكل ما يحتاج إليه العبد، وأعمها نفعًا؛ ذكر فيها الأمرين، فأمرنا أن نقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ﴾ فذكر الهداية والنعمة، وهما الهدى والفلاح... ثم قال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فذكر المغضوب عليهم؛ وهم أهل الشقاء، والضالين؛ وهم أهل الضلال. انتهى[٢].

◈ تنبيه مهم جدًّا أوجِّهه للدعاة إلى الله خاصة، وللمسلمين عامة:

قلت: إن تبيين سبيل الحق وأهله وسُبُل الضلال وأهله؛ هو منهج قرآني؛

(١) (الصواعق المرسلة).
(٢) (مفتاح دار السعادة).

كما هو واضح في سورة الفاتحة بقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، فهذا سبيل الحق وأهله، وقوله: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فهذه سُبُل الضلال وأهلها، وهذا المنهج في غير الفاتحة كثير، وذلك من خلال الآيات التي تذكر أهل الجنة وصفاتهم ومقابلَتِها بذكر أهل النار وصفاتهم، فهو منهج ربَّاني قرآني ينبِّه كل مسلم وخاصة الدعاة منهم؛ على أنه تجب معرفة منهج وطريق أهل الحق والإيمان معرفة تفصيلية، وبثِّه في الناس، ومعرفة طرق أهل الضلال والإجرام معرفة تفصيلية، وتحذير الناس منه، وأنه لا يكفي أن نعرف منهج أحد الطرفين فقط ونهمل الآخر، وأوضِّح ما أبتغي التنبيه إليه بكلام جميل دقيق للإمام ابن قيم الجوزية في هذا الموضوع ذكره في كتابه الماتع الرائع (الفوائد)، ولا يُظَنُّ أن في نقلي هذا خروج عن موضوع اللطائف؛ بل هو من صلب فوائد ولطائف الفاتحة، وكان لا بد من التنبيه عليه؛ لأهميته وإهمال كثير من الدعاة لهذا المنهج بهذا التفصيل الذي سأنقله عن الإمام ابن قيم الجوزية، حيث قال:

قاعدة جليلة:

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٥٥﴾، وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾، والله تعالى قد بيَّن في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة، وسبيل المجرمين مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة وعاقبة هؤلاء مفصلة، وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء، وأولياء هؤلاء وأولياء هؤلاء، وخذلانه لهؤلاء وتوفيقه لهؤلاء، والأسباب التي وفق بها هؤلاء والأسباب التي خذل بها هؤلاء، وجلَّى سبحانه الأمرين في كتابه وكشفهما وأوضحهما، فالعالمون بالله وكتابه

ودينه؛ عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلى مقصوده والطريق الموصل إلى الهلكة، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة... وكانوا أحبَّ الناس في التوحيد والإيمان والإسلام، وأبغض الناس في ضده، عالمين بالسبيل على التفصيل، وأما من جاء بعد الصحابة؛ فمنهم من نشأ في الإسلام غير عالم تفصيل ضده، فالتبس عليه بعض تفاصيل سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين، فإن اللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما، كما قال عمر بن الخطاب: «إنما تُنقَض عُرى الإسلام عروة عروة؛ إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية»، وهذا من كمال علم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنه إذا لم يعرف الجاهلية وحكمها وهو كل ما خالف ما جاء به الرسول ﷺ فإنه من الجاهلية فإنها منسوبة إلى الجهل، وكل ما خالف الرسول فهو من الجهل، فمن لم يعرف سبيل المجرمين ولم تستبن له؛ أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين، كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل هي من سبيل المجرمين والكفار وأعداء الرسل، أدخلها من لم يعرف أنها من سبيلهم في سبيل المؤمنين، ودعا إليها، وكفر من خالفها، واستحل منه ما حرمه الله ورسوله؛ كما وقع لأكثر أهل البدع من الجهمية، والقدرية، والخوارج، والروافض، وأشباههم ممن ابتدع بدعة ودعا إليها، وكفَّر من خالفها، والناس في هذا الموضع أربع فرق:

الأولى: من استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصيل علمًا وعملًا، وهؤلاء أعلى الخلق.

الفرقة الثانية: من عميت عنه السبيلان من أشباه الأنعام، وهؤلاء بسبيل المجرمين أخص ولها أسلك.

الفرقة الثالثة: من صرف عنايته إلى معرفة سبيل المؤمنين دون ضدها، فهو يعرف ضدها من حيث الجملة والمخالفة، وأن كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل، وإن لم يتصوره على التفصيل، بل إذا سمع شيئًا مما يخالف سبيل المؤمنين؛ صرف سمعه عنه، ولم يشغل نفسه بفهمه ومعرفة وجه بطلانه، وهو بمنزلة من سَلِمت نفسه من إرادة الشهوات فلم تخطر بقلبه ولم تَدْعُه إليها نفسه، بخلاف الفرقة الأولى، فإنهم يعرفونها وتميل إليها نفوسهم ويجاهدونها على تركها لله، وقد كتبوا إلى عمر بن الخطاب يسألونه عن هذه المسألة: أيهما أفضل؛ رجل لم تخطر له الشهوات ولم تمر بباله، أو رجل نازعته إليها نفسه فتركها لله؟ فكتب عمر: إن الذي تشتهي نفسه المعاصي ويتركها لله ﷻ من ﴿ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾.. وهكذا من عرف البدع والشرك والباطل وطرقه؛ فأبغضها لله، وحَذِرها، وحذَّر منها، ودفعها عن نفسه، ولم يدعها تخدش وجه إيمانه ولا تورثه شبهة ولا شكًا، بل يزداد بمعرفتها بصيرة في الحق ومحبة له وكراهة لها ونفرة عنها؛ أفضل ممن لا تخطر بباله ولا تمر بقلبه، فإنه كلما مرت بقلبه وتصورت له ازداد محبة للحق ومعرفة بقدره وسرورًا به فيقوى إيمانه به، كما أن صاحب خواطر الشهوات والمعاصي كلما مرت به فرغب عنها إلى ضدها؛ ازداد محبة لضدها ورغبة فيه وطلبًا له وحرصًا عليه، فما ابتلى الله سبحانه عبده المؤمن بمحبة الشهوات والمعاصي وميل نفسه إليها؛ إلا لسوقه بها إلى محبة ما هو أفضل منها وخير له وأنفع وأدوم، وليجاهد نفسه على تركها له سبحانه؛ فتورثه تلك المجاهدة الوصول إلى

المحبوب الأعلى. . . .

الفرقة الرابعة: فرقة عرفت سبيل الشر والبدع والكفر مفصلة، وسبيل المؤمنين مجملة، وهذا حال كثير ممن اعتنى بمقالات الأمم ومقالات أهل البدع، فعرفها على التفصيل ولم يعرف ما جاء به الرسول كذلك، بل عرفه معرفة مجملة، وإن تفصلت له في بعض الأشياء، ومن تأمل كتبهم رأى ذلك عيانًا، وكذلك من كان عارفًا بطرق الشر والفساد والظلم على التفصيل سالكًا لها؛ إذا تاب ورجع عنها إلى سبيل الأبرار يكون علمه بها مجملًا، غير عارف بها على التفصيل معرفة من أفنى عمره في تصرفها وسلوكها.

والمقصود؛ أن الله سبحانه يحب أن تُعرَفَ سبيلُ أعدائه لتُجتَنب وتُبغَض؛ كما يحب أن تعرف سبيل أوليائه لتُحبَّ وتُسلَك، وفي هذه المعرفة من الفوائد والأسرار ما لا يعلمه إلا الله، من معرفة عموم ربوبيته سبحانه، وحكمته، وكمال أسمائه وصفاته، وتعلقها بمتعلقاتها، واقتضائها لآثارها وموجباتها، وذلك من أعظم الدلالة على ربوبيته وملكه وإلهيته، وحبه وبغضه، وثوابه وعقابه. انتهى بتصرف يسير[١].

قلت: فقد تبين من خلال ما سبق من كلام الإمام ابن القيم أن المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله؛ هو: أن يتعلم الداعية المنهج الرباني القرآني النبوي لأهل الحق تفصيلًا، ثم يبثه في الناس، وأن يتعلم سبل أهل الضلال والفساد ويطلع عليها تفصيلًا ليحذر منها ويحذِّرَ الناس منها، لا أن يكون مطلعًا أو متقنًا لأحد الأطراف أو مطلعًا مجملًا على الطرفين أو أحد الأطراف؛ ثم ينزل بهذا النقص إلى الساحة الدعوية؛ فيقل نفعه في تعليم الناس، وقد يضر من حيث لا يعلم، وهذا ملاحظ ومشاهد في زماننا هذا

(١) كتاب (الفوائد).

عند كثير من الدعاة وخاصة ممن يبث فقط ما اطلع عليه من مجمل منهج وطريق أهل الحق؛ ولا يلتفت إلى تحذير الناس من سبل أهل الإجرام والضلال، والكلام أطول من ذلك، لكن لعل فيما تقدم كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

◈ اللطيفة الرابعة: لم أضيف الصراط إلى المنعم عليهم؟

قال الإمام ابن قيم الجوزية: ولما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمرٍ أكثر الناس ناكبون عنه مريدًا لسلوك طريق مُرافِقه فيها في غاية العزة، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد وعلى الأنس بالرفيق؛ نبَّه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم هم الذين ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾، فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له، وهم الذين أنعم الله عليهم؛ ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده من أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم، فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له، فإنهم الأقلون قدرًا وإن كانوا الأكثرين عددًا، كما قال بعض السلف: «عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين»، وكلما استوحشت في تفردك؛ فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عمن سواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفتَّ إليهم؛ أخذوك أو عاقوك، والقصد أن في ذكر هذا الرفيق ما يزيل وحشة التفرد، ويحث على السير والتشمير للحاق بهم، وهذه إحدى الفوائد في دعاء القنوت: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتْ**»، أي أدخلني في هذه الزمرة، واجعلني رفيقًا لهم ومعهم.

والفائدة الثانية: أنه توسل إلى الله بنعمه وإحسانه إلى من أنعم عليهم بالهداية، أي قد أنعمت بالهداية على من هديت، وكان ذلك نعمة منك؛ فاجعل لي نصيبًا من هذه النعمة، واجعلني واحدًا من هؤلاء المنعم عليهم، فهو توسل إلى الله بإحسانه.

والفائدة الثالثة: كما يقول السائل الكريم: تصدق عليَّ في جملة من تصدقت عليه، وعلِّمني في جملة من علمته، وأحسن إليَّ في جملة من شملته بإحسانك(١).

وقال أيضًا: وفي تخصيصه لأهل الصراط المستقيم بالنعمة؛ ما دل على أن النعمة المطلقة هي الموجبة للفلاح الدائم، وأما مطلق النعمة؛ فعلى المؤمن والكافر، فكل الخلق في نعمة، فالنعمة المطلقة لأهل الإيمان، ومطلق النعمة يكون للمؤمن والكافر، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾(٢). انتهى.

قلت: النعمة المطلقة هي النعمة الكاملة، ومطلق النعمة هي الناقصة، مثلها: الإيمان المطلق ومطلق الإيمان، الأول الكامل والثاني هو أصل الإيمان أي: الناقص، ومثال ذلك الصفحة البيضاء؛ يقال عنها: البياض المطلق، أما البيضاء وقد كُتِب فيها فهو مطلق البياض.

وقال الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾: فيه الإشارة إلى الاقتداء بالسلف الصالح(٣).

---

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

(٢) المرجع السابق.

(٣) (الإكليل في استنباط التنزيل) للسيوطي.

وقال محمد سيد طنطاوي: قال بعض العلماء: وإنما اختار في البيان أن يضيف الصراط إلى المنعم عليهم لمعنَيَيْن:

أولهما: هو إبراز نفسية المحب المخلص، وأنه شديد الاحتياط دقيق التحري عن الطريق الموصل إلى ساحة الرضا في ثقة تملأ نفسه، وتفعم قلبه، ولا يجد في مثل هذا المقام ما يملأ نفسه ثقة إلا أن يبين الطريق بأنه الطريق الذي وصل بالسير عليه من قبله الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون.

وثانيهما: أن من خواطر المؤمل في نعيم ربه؛ أن يكون تمام أنسه في رفقة من الناس صالحين، وصحب منهم محسنين[(١)].

وقال عبد الرحمن المعلمي اليماني: قوله ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾: فهو الدلالة على أن الصراط المستقيم؛ هو صراط هؤلاء دون أولئك، وهذا أصل عظيم، ولا سيما بعد القرون الأُوَل، فإن البدع والضلالات انتشرت وألصقت بالدين، وأصبح كثير منها عند كثير من الناس أو أكثرهم حتى كثير من المشهورين بالعلم والولاية؛ هو من نفس الدين بل من صلبه، بل عند جماعة عندهم هو الدين، وتميز هذا بمجرد العقل والاستحسان أو النظر في كتب المتأخرين أو بسؤال أكثرهم؛ لا مطمع فيه، وإنما يتميز ذلك بالرجوع إلى صراط المنعم عليهم، وكذلك مناظرة أصحاب البدع لا تكاد تعني شيئًا إلا بالرجوع إلى هذا الأصل[(٢)].

---

(١) (التفسير الوسيط للقرآن الكريم).

(٢) (تفسير الفاتحة) لليماني.

◈ **اللطيفة الخامسة: لم فرق بين المنعم عليهم والمغضوب عليهم، فقال تعالى في أهل النعمة: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، وفي أهل الغضب ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ بحذف الفاعل؟**

قال ابن قيم الجوزية بعد أن أورد السؤال السابق: جواب المسألة، وفيها فوائد عديدة:

أحدها: أن هذا جاء على الطريقة المعهودة في القرآن، وهي أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله ﷻ، فيُذكَر فاعلها منسوبة إليه ولا يُبنَى الفعل معها للمفعول، فإذا جاء إلى أفعال العدل والجزاء والعقوبة؛ حذف الفاعل وبنى الفعل معها للمفعول أدبًا في الخطاب، وإضافة إلى الله أشرف قسمي أفعاله، فمنه هذه الآية، فإنه لما ذكر النعمة؛ فأضافها إليه ولم يحذف فاعلها، ولما ذكر الغضب؛ حذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول، فقال: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾، وقال في الإحسان: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، ونظيره قول إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨- ٨٠]، فنسب الخلق والهداية والإحسان بالطعام والسقي إلى الله، ولما جاء إلى ذكر المرض قال: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ﴾، ولم يقل: أمرضني، وقال: ﴿فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾، ومنه قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ۝١٠﴾، فنسبوا إرادة الرشد إلى الرب، وحذفوا فاعل إرادة الشر وبنوا الفعل للمفعول، ومنه قول الخضر عليه السلام في السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾، فأضاف العيب إلى نفسه، وقال في الغلامَيْن: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾، ومنه قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ﴾، فحذف الفاعل وبناه للمفعول، وقال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ

﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ لأن في ذكر الرفث ما يحسن منه أن لا يقترن بالتصريح بالفاعل، ومنه: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ﴾، وقوله: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ﴾ إلى آخرها، ومنه وهو ألطف من هذا وأدق معنى قوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ﴾ إلى آخرها، ثم قال: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾، وتأمل قوله تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ كيف صرح بفاعل التحريم في هذا الموضع، وقال في حق المؤمنين: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ﴾.

الفائدة الثانية: أن النعمة بالهداية إلى الصراط؛ لله وحده، وهو المنعم بالهداية دون أن يشركه أحد في نعمته، فاقتضى اختصاصه بها أن تضاف إليه بوصف الإفراد، فيقال: ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، أي: أنت وحدك المنعم المحسن المتفضل بهذه النعمة، وأما الغضب؛ فإن الله سبحانه غضب على من لم يكن من أهل الهداية إلى هذا الصراط، وأمر عباده المؤمنين بمعاداتهم، وذلك يستلزم غضبهم عليهم؛ موافقة لغضب ربهم عليهم، فموافقته تعالى تقتضي أن يُغضب على من غضب عليه ويُرضَى عمن رضي عنه، فيغضب لغضبه ويرضى لرضاه، وهذا حقيقة العبودية، واليهود قد غضب الله عليهم فحقيق بالمؤمنين الغضب عليهم، فحذف فاعل الغضب وقال: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ لما كان للمؤمنين نصيب من غضبهم على من غضب الله عليه، بخلاف الإنعام فإنه لله وحده، فتأمل هذه النكتة البديعة.

الفائدة الثالثة: أن المغضوب في مقام الإعراض عنهم وترك الالتفات إليهم والإشارة إلى نفس الصفة التي لهم والاقتصار عليها، وأما أهل النعمة فهم في مقام الإشارة إليهم وتعيينهم والإشادة بذكرهم، وإذا ثبت هذا؛ فالألف واللام في ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾ وإن كان بمعنى ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فليست مثل

(الذين) في التصريح والإشارة إلى تعيين ذات المسمى، فإن قولك: الذين فعلوا؛ معناه: القوم الذين فعلوا، وقولك: الضاربون والمضروبون؛ ليس فيه ما في قولك: الذين ضَربوا أو ضُرِبوا، فتأمل ذلك، فـ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة إلى تعريفهم بأعيانهم وقصد ذواتهم، بخلاف ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فالمقصود التحذير من وصفهم والإعراض عنهم وعدم الالتفات، إليهم والمعوَّل عليه في الأجوبة ما تقدم. انتهى[(١)].

وقال أيضًا: وأضاف النعمة إليه وحذف فاعل الغضب؛ لوجوه:

منها: أن النعمة هي الخير والفضل، والغضب من باب الانتقام والعدل، والرحمة تغلب الغضب، فأضاف إلى نفسه أكمل الأمرين، وأسبقهما وأقواهما، وهذه طريقة القرآن في إسناد الخيرات والنعم إليه وحذف الفاعل في مقابلها، كقول مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ وغيرها.

الوجه الثاني: أن الله سبحانه هو المتفرد بالنعم ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، فأضيف إليه ما هو متفرد به، وإن أضيف إلى غيره؛ فلكونه طريقًا ومجرى للنعمة، وأما الغضب على أعدائه؛ فلا يختص به تعالى، بل ملائكته وأنبياؤه ورسله وأولياؤه يغضبون لغضبه، فكان في لفظة المغضوب عليهم من الإشعار بموافقة أوليائه له في غضبه؛ ما لم يكن في (غضبت عليهم)، وكان في لفظة ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ من الدلالة على تفرده بالإنعام، وأن النعمة المطلقة منه وحده، وهو المتفرد بها؛ ما ليس في لفظة (المنعم عليهم).

الوجه الثالث: أن في حذف فاعل الغضب من الإشعار بإهانة المغضوب

(١) (بدائع الفوائد).

عليه، وتحقيره وتصغير شأنه؛ ما ليس في ذكره، وفي ذكر فاعل النعمة من إكرام المنعم عليه، والإشادة بذكره، ورفع قدره؛ ما ليس في حذفه، فإذا رأيت من قد أكرمه ملك وشرفه ورفع قدره، فقلت: هذا الذي أكرمه السلطان وخلع عليه وأعطاه ومنَّاه؛ كان أبلغ في الثناء والتعظيم من قولك: هذا الذي أُكرم وخُلع عليه وشُرِّف وأُعطِي. انتهى[(١)].

وقال أيضًا: وتأمل طريقة القرآن في إضافة الشر تارة إلى سببه ومن قام به، كقوله: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾، وقوله: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ﴾، وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦﴾، وهو في القرآن أكثر من أن يذكر هاهنا عشر معشاره، وإنما المقصود التمثيل، وتارة بحذف فاعله، كقوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾ فحذفوا فاعل الشر ومريده وصرحوا بمريد الرشد، ونظيره في الفاتحة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾، فذكر النعمة مضافة إليه سبحانه، والضلال منسوبًا إلى من قام به، والغضب محذوفًا فاعله، ومثله قول الخضر في السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾، وفي الغلامَيْن: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾، ومثله قول الخليل: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾ فنسب إلى ربه كل كمال من هذه الأفعال، ونسب إلى نفسه النقص منها، وهو المرض والخطيئة، وهذا كثير في القرآن الكريم، منه أمثلة كثيرة في كتاب (الفوائد

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

المكية)، وبينًّا هناك السر في مجيء ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ والفرق بين الموضعين؛ أنه حيث ذكر الفاعل كان من آتاه الكتاب واقعًا في سياق المدح، وحيث حذفه كان من أوتيه واقعًا في سياق الذم أو منقسمًا، وذلك من أسرار القرآن الكريم، ومثله: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾، وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾، وقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾، فهذا خلف سوء، وبالجملة فالذي يضاف إلى الله تعالى كله خير وحكمة ومصلحة وعدل، والشر ليس إليه[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الشر لم يضَفْ إلى الله في الكتاب والسنة إلا على أحد وجوه ثلاثة: إما بطريق العموم، كقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، وإما بطريقة إضافته إلى السبب، كقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾، وإما أن يحذف فاعله، كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾، وقد جمع في الفاتحة الأصناف الثلاثة، فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾، وهذا عام، وقال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ فحذف فاعل الغضب، وقال: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فأضاف الضلال إلى المخلوق، ومن هذا قول الخليل: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾، وقول الخضر: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾[(٢)].

وقال أيضًا: ومما يبين هذا أن الشر لم يرد في أسمائه، وإنما ورد في مفعولاته، ولم يضف إليه إلا على سبيل العموم، وإضافة إلى السبب المخلوق أو بحذف فاعله، وذلك كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾،

---

(١) (بدائع الفوائد).

(٢) (مجموع الفتاوى).

و﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، وكأسمائه المقترنة مثل: المعطي المانع، الضار النافع، المعز المذل، الخافض الرافع، وكقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾، وكقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، وكقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾، وقد ثبت في (صحيح مسلم) عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعاء الاستفتاح: «**والخير بيديك والشر ليس إليك**»، وسواء أريد به أنه لا يضاف إليك ولا يتقرب به إليك، أو قيل: إن الشر إما عدم وإما من لوازم العدم، وكلاهما ليس إلى الله، فهذا يبين أنه سبحانه إنما يضاف إليه الخير وأسماؤه تدل على صفاته، وذلك كله خير حسن جميل ليس فيه شر، وإنما وقع الشر في المخلوقات، قال تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾[(١)].

وقال أيضًا: والشر المخلوق لا يضاف إلى الله مجردًا عن الخير قط، وإنما يذكر على أحد وجوه ثلاثة: إما مع إضافته إلى المخلوق، كقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، وإما مع حذف الفاعل كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾، ومنه في الفاتحة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ فذكر الإنعام مضافًا إليه، وذكر الغضب محذوفًا فاعله، وذكر الضلال مضافًا إلى العبد، وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾، وإما أن يدخل في العموم كقوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، ولهذا إذا ذكر باسمه الخاص قرن بالخير، كقوله في أسمائه الحسنى: الضار النافع، المعطي المانع، الخافض الرافع، المعز المذل، فجمع بين الاسمين؛ لما فيه من

(١) (مجموعة الفتاوى).

العموم والشمول الدال على وحدانيته، وأنه وحده يفعل جميع هذه الأشياء، ولهذا لا يُدعَى بأحد الاسمين: كالضار والنافع، والخافض الرافع، بل يذكران جميعًا، ولهذا كان كل نعمة منه فضلًا، وكل نقمة منه عدلًا(١).

وقال الإمام ابن كثير: وما أحسن ما جاء إسناد الإنعام إليه في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾، وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾، وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به وإن كان هو الذي أضلهم بقدره، كما قال تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرۡشِدًا﴾، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المتفرد بالهداية والإضلال(٢).

وقال محمد بن أحمد بن محمد بن جزِّي الكلبي: ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ إسناد النعمة عليهم إلى الله، والغضب لما لم يسمى فاعله؛ على وجه التأدب(٣).

وقال أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الفاسي: بعد قوله تعالى: ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾، وإنما أسند النعمة إلى الله والغضب إلى المجهول؛ تعليمًا للأدب ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾(٤).

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: وإسناد فعل الإنعام عليهم إلى ضمير الجلالة؛ تنويه بشأنهم، خلافًا لغيرهم من المغضوب عليهم والضالين(٥).

---

(١) (منهاج السنة).
(٢) (تفسير ابن كثير).
(٣) (تفسير التسهيل لعلوم التنزيل) لابن جزي.
(٤) تفسير: (البحر المريد).
(٥) تفسير: (التحرير والتنوير).

وقال الدكتور فاضل السامرائي: إنه من عادات القرآن أن الله سبحانه ينسب الخير إلى نفسه والشر إلى غيره، وأما ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ ليعم الغضب عليهم من الله والملائكة وغيرهم، أي يشمل غضب الله وغضب الغاضبين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[١].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ومن فوائد الآيتين بلاغة القرآن، حيث جاء التعبير عن المغضوب عليهم باسم المفعول الدال على أن الغضب عليهم حاصل من الله تعالى، ومن أوليائه[٢].

◈ اللطيفة السادسة: لم عبر عن الذين أنعم عليهم باستخدام الفعل الماضي ﴿أَنۡعَمۡتَ﴾، والمغضوب عليهم والضالين بالاسم.

قال الدكتور فاضل السامرائي: لماذا عبر عن الذين أنعم عليهم باستخدام الفعل ﴿أَنۡعَمۡتَ﴾، والمغضوب عليهم والضالين بالاسم؟

الاسم يدل على الشمول ويشمل سائر الأزمنة من المغضوب عليهم والدلالة على الثبوت، أما الفعل فيدل على التجدد والحدوث، فوصفه أنهم مغضوب عليهم وضالون دليل على الثبوت والدوام.

إذًا فلماذا لم يقل المنعم عليهم للدلالة على الثبوت؟

لو قال: (صراط المنعم عليهم) بالاسم؛ لم يتبين المعنى، أي من الذين أنعم إنما بيَّن المنعِم -بكسر العين- في قوله: ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، لأن معرفة المنعم مهمة فالنعم تقدر بمقدار المنعِم -بكسر العين-، لذا أراد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يبين المنعِم؛ ليبين قدر النعمة وعظمها، ومن عادة القرآن أن ينسب الخير

(١) لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.

(٢) (تفسير الفاتحة والبقرة) لابن عثيمين.

إلى الله تعالى وكذلك النعم والتفضل، وينزه نسبة السوء إليه سبحانه: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾[(١)].

وقال أيضًا: لم جاءت ﴿أَنْعَمْتَ﴾ بالماضي ولم تأتِ (تنعم) مثلًا؟ وذلك لأشياء، **أولًا:** ليتعين زمانه، أي صراط الذين تحققت عليهم النعمة ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾.

ثانيًا: ولو قال تُنعِم؛ لأغفل كل من مضى من الرسل والصالحين، وأيضًا تنعم؛ لا يدل على أنه أنعم على أحد، ولاحتمال أن يكون صراط الأولين غير الآخرين فعندما قال: ﴿أَنْعَمْتَ﴾ دل على التواصل بين زمر المؤمنين بين الأولين والآخرين[(٢)].

وقال ابن قيم الجوزية: الإنعام بالهداية يستوجب شكر المنعم بها، وأصل الشكر: ذكر المنعم والعمل بطاعته، وكان من شكره إبراز الضمير المتضمن لذكره تعالى الذي هو أساس الشكر، وكان في قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ من ذكره وإضافة النعمة إليه؛ ما ليس في ذكر (المنعم عليهم) لو قاله، فتضمن هذا اللفظ الأصلين، وهما الشكر والذكر المذكور في قوله ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢﴾.

وقال أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي: والمقصود طلب الهداية إلى صراط من ثبت إنعام الله تعالى عليه وتحقق، ولذلك أتى بالفعل ماضيًا، وانحرف عن ذلك عند ذكر الغضب إلى الغيبة؛ تأدبًا، ولأن من طلب منه الهداية ونسب الإنعام إليه؛ لا يناسب نسبة الغضب إليه، لأنه مقام

---

(١) لمسات بيانية، كتاب على المكتبة الشاملة.

(٢) لمسات بيانية، فاضل السامرائي، قناة الشارقة.

تلطف وترفق وتذلل لطلب الإحسان، فلا يناسب مواجهته بوصف الانتقام[(١)].

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي: ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾:

الثالث: إنما لم يقل صراط المنعم عليهم؛ لأن إبراز ضمير فاعل النعمة ذكر وشكر له باللسان وبالقلب، فيكون دعاء مقرونًا بالشكر والذكر.

الرابع: فيه فائدة بيانية وهو أنه من (التفنن) في الكلام، لأنه لو أجري على أسلوب واحد لم يكن فيه تلك اللذاذة، وإذا اختلف أسلوبه ألقى السامع إليه سمعه وهو تنبيه وطلب إحضار ذهنه من قريب ومن بعيد[(٢)].

وقال محمد الطاهر بن عاشور: إن في اختيار وصف الصراط المستقيم بأنه ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ دون بقية أوصافه؛ تمهيدًا لبساط الإجابة، فإن الكريم إذا قلت له: أعطني كما أعطيت فلانًا؛ كان ذلك أنشط لكرمه كما في قوله ﷺ: «**كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**» فيقول السائلون: اهدنا الصراط المستقيم؛ الصراط الذي هديت إليه عبيد نعمك[(٣)].

وقال محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي: وبناء ﴿أَنۡعَمۡتَ﴾ للفاعل؛ استعطاف لقبول التوسل بالدعاء في الهداية وتحصيلها، أي طلبنا منك الهداية إذ سبق إنعامك، فمن إنعامك؛ إجابة سؤالنا ورغبتنا، كمثل أن تسأل من شخص قضاء حاجة وتذكره بأن من عادته الإحسان بقضاء الحوائج، فيكون ذلك آكد في اقتضائها وأدعى إلى قضائها... ومضمون هذه الجملة طلب

---

(١) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

(٢) (تفسير ابن عرفة).

(٣) تفسير: (التحرير والتنوير).

استمرار الهداية إلى طريق من أنعم الله عليهم، لأن من صدر منه حمد الله وأخبر بأنه يعبده ويستعينه؛ فقد حصلت له الهداية، لكن يسأل دوامها واستمرارها[١].

◈ **اللطيفة السابعة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بدل من الصراط المستقيم، فما فائدة البدل، وهلَّا قيل: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم.**

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وأما المسألة الحادية عشرة: وهي ما فائدة إخراج الكلام في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ فخرج البدل، مع أن الأول فيه نية الطرح.

فالجواب أن قولهم: الأول في البدل في نية الطرح؛ كلام لا يصح أن يؤخذ على إطلاقه، بل البدل نوعان: نوع يكون الأول فيه في نية الطرح، وهو بدل البعض من الكل وبدل الاشتمال، لأن المقصود هو الثاني لا الأول وقد تقدم، ونوع لا ينوي فيه طرح الأول وهو بدل الكل من الكل، بل يكون الثاني فيه بمنزلة التكرير والتوكيد وتقوية النسبة مع ما تعطيه النسبة الإسنادية إليه من الفائدة المتجددة الزائدة على الأول، فيكون فائدة البدل: التوكيد والإشعار بحصول وصف المبدل للمبدل منه، فإنه لما قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ فكأن الذهن طلب معرفة ما إذا كان هذا الصراط مختصًا بنا أم سلكه غيرنا ممن هداه الله تعالى، فقال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، وهذا كما إذا دللت رجلًا على طريق لا يعرفها، وأردت توكيد الدلالة وتحريضه على لزومها وأن لا يفارقها، فأنت تقول له: هذه هي الطريق الموصلة إلى مقصودك، ثم تزيد ذلك عنده توكيدًا وتقوية فتقول: وهي الطريق يسلكها الناس والمسافرون وأهل النجاة، أفلا ترى كيف أفاد وصفك

(١) (تفسير البحر المحيط).

لها بأنها طريق السالكين الناجين قدرًا زائدًا على وصفك لها بأنها طريق موصلة وقريبة، سهلة مستقيمة! فإن النفوس مجبولة على التأسي والمتابعة، فإذا ذكر لها من تتأسى به في سلوكها أنست واقتحمتها، فتأمل[١].

وقال جاد الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بدل من (الصراط المستقيم)، وهو في حكم تكرير العامل، كأنه قيل: (اهدنا الصراط المستقيم، اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم) فإن قلت: فما فائدة البدل؟ وهلَّا قيل: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم؟ قلت: فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير، والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره؛ صراط المسلمين، ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده، كما تقول: هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم؛ فلان، فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك: هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل؛ لأنك ثنيت ذكره مجملًا أولًا، ومفصلًا ثانيًا، وأوقعت فلانًا تفسيرًا وإيضاحًا للأكرم الأفضل، فجعلته علمًا في الكرم والفضل، فكأنك قلت: من أراد رجلًا جامعًا للخصلتين؛ فعليه بفلان، فهو المُشخَّص المعين لاجتماعهما فيه، غير مدافع ولا منازع، والذين أنعمت عليهم؛ هم المؤمنون[٢].

وقال محمد بن الطاهر بن عاشور: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بدل وعطف بيان من الصراط المستقيم، وإنما جاء نظم الآية بأسلوب الإبدال أو البيان دون أن يقال: (اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم المستقيم) لفائدتين:

---

(١) (بدائع الفوائد).

(٢) تفسير الزمخشري: (الكشاف).

الأولى: أن المقصود من الطلب ابتداءً؛ هو كون المهدي إليه وسيلةً للنجاة واضحة سمحة سهلة، وأما كونها سبيل الذين أنعم الله عليهم فأمر زائد لبيان فضله.

الفائدة الثانية: ما في أسلوب الإبدال من الإجمال المعقب بالتفصيل، ليتمكن معنى الصراط للمطلوب فضل تمكن في نفوس المؤمنين الذين لُقِّنوا هذا الدعاء، فيكون له من الفائدة مثل ما للتوكيد المعنوي، وأيضًا لما في هذا الأسلوب من تقرير حقيقة هذا الصراط وتحقيق مفهومه في نفوسهم، فيحصل مفهومه مرتين، فيحصل له من الفائدة ما يحصل بالتوكيد اللفظي واعتبار البدلية مساوٍ لاعتباره عطف بيان لا مزية لأحدهما على الآخر، خلافًا لمن حاول التفاضل بينهما، إذ التحقيق عندي أن عطف البيان اسم لنوع من البدل وهو البدل المطابق، وهو الذي لم يفصح أحد من النحاة على تفرقة معنوية بينهما، ولا شاهدًا يعين المصير إلى أحدهما دون الآخر... ثم ذكر شيئًا من كلام الزمخشري السابق، وقال: ومراده أن مثل هذا البدل وهو الذي فيه إعادة لفظ المبدل منه؛ يفيد فائدة البدل وفائدة التوكيد اللفظي، وقد علمت أن الجمع بين الأمرين لا يتأتى على وجه معتبر عند البلغاء إلا بهذا الصوغ البديع، وإن إعادة الاسم في البدل أو البيان ليبنى عليه ما يراد تعلقه بالاسم الأول؛ أسلوب بهيج في الكلام البليغ، لإشارة إعادة اللفظ بأن مدلوله بمحل العناية وأنه حبيب إلى النفس، ومثله تكرير الفعل، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾، وقوله: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ...﴾ فإن إعادة فعل ﴿مَرُّواْ﴾ وفعل ﴿أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ﴾ وتعليق المتعلق بالفعل المعاد دون الفعل الأول؛ تجد له من الروعة والبهجة ما لا تجده لتعليقه بالفعل الأول دون إعادة، وليست الإعادة في مثله لمجرد

التأكيد لأنه قد زيد عليه ما تعلق به[١].

وقال أيضًا: ولا تخفى تمام المناسبة بين المنعم عليهم وبين المهديين حينئذٍ، فيكون في إبدال (صراط الذين) من (الصراط المستقيم) معنى بديع؛ أن الهداية نعمة، وأن المنعم عليهم بالنعمة الكاملة قد هدوا إلى الصراط المستقيم، والذين أنعم الله عليهم هم خيار الأمم السابقة من الرسل والأنبياء الذين حصلت لهم النعمة الكاملة[٢].

◈ **اللطيفة الثامنة: ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بهذا اللفظ ولم يذكرهم بخصوصهم فيقول (صراط النبيين والصديقين) فلِمَ عدَلَ إلى لفظ المبهم دون المفسر.**

أجاب ابن القيم عن التساؤل السابق بعد أن أورده، فقال: وأما المسألة الرابعة: وهي إضافته إلى الموصول المبهم دون أن يقول: صراط النبيين والمرسلين، ففيه ثلاث فوائد:

أحدها: إحضار العلم وإشعار الذهن عند سماع هذا بأن استحقاق كونهم من المنعم عليهم؛ هو بهدايتهم إلى هذا الصراط، فبه صاروا من أهل النعمة، وهذا كما يعلق الحكم بالصلة دون الاسم الجامد؛ لما فيه من الإعلام باستحقاق ما علق عليها من الحكم بها، وهذا كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾، ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ وهذا الباب مُطَّرد، فالإتيان بالاسم موصولًا أولى على هذا المعنى من ذكر الاسم الخاص.

---

(١) تفسير: (التحرير والتنوير).

(٢) المرجع السابق.

الفائدة الثانية: فيه إشارة إلى نفي التقليد عن القلب، واستشعار العلم بأن من هُديَ إلى هذا الصراط فقد أنعم عليه، فالسائل مستشعر بسؤاله الهداية إليه وطلب الإنعام من الله عليه، والفرق بين هذا الوجه والذي قبله؛ أن الأول يتضمن الإخبار بأن أهل النعمة هم أهل الهداية إليه، والثاني يتضمن الطلب والإرادة أن تكون منهم.

الفائدة الثالثة: أن الآية عامة في جميع طبقات المنْعَم عليهم، ولو أتى باسم خاص؛ لكان لم يكن فيه سؤال الهداية إلى صراط جميع المُنعَم عليهم، فكان في الإتيان بالاسم العام من الفائدة؛ أن المسؤولَ الهدي إلى جميع تفاصيل الطريق التي سلكها كل من أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهذا أجل مطلوب وأعظم مسؤول، ولو عرف الداعي قدر هذا السؤال لجعله هجّيراه وقرنه بأنفاسه، فإنه لم يدع شيئًا من خير الدنيا والآخرة إلا تضمنه، ولما كان بهذه المثابة؛ فرضه الله على جميع عباده فرضًا متكررًا في اليوم والليلة، لا يقوم غيره مقامه، ومن ثَمَّ يعلم تعين الفاتحة في الصلاة، وأنها ليس منها عوض يقوم مقامها[١].

وقال جاد الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: وأطلق الإنعام؛ ليشمل كل إنعام، لأن من أنعم الله عليه نعمة الإسلام؛ لم تبقَ نعمة إلا أصابته واشتملت عليه[٢].

وقال ابن المنيِّر في حاشيته على الكشاف للزمخشري: قال الزمخشري: وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام.

---

(١) (بدائع الفوائد).

(٢) تفسير الزمخشري: (الكشاف).

قال ابن المنيِّر: إن إطلاق الإنعام يفيد الشمول كقوله: إن إطلاق الاستعانة يتناول كل مستعان فيه، وليس بمُسلَّم فإن الفعل لا عموم لمصدره، والتحقيق أن الإطلاق إنما يقتضي إبهامًا وشيوعًا، والنفس إلى المبهم أشوق منها إلى المقيد؛ لتعلق الأول مع الإبهام لكل نعمة تخطر بالبال(١).

وقال الطيبي في حاشيته على الكشاف: ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ولم يقل: (أنعمت عليهم بالإسلام) لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإسلام؛ لم تبقَ نعمة إلا اشتملت عليه، فإن قرائن المقام دلت على أن المتعلق المضمر هو الإسلام، فاستدعى معنى العموم إطلاق الإنعام بإطلاقه على الإسلام مجازًا، ليشمل كل إنعام، ولو ذكر نعمة الإسلام لاقتصر عليها ولم ينبه على هذه النكتة... أن الأصل أن يذكر متعلق ﴿أَنۡعَمۡتَ﴾، وهو الإسلام، فأطلق ليشمل كل إنعام، ثم كنى به عن ذلك المقيد ليؤذن بأن نعمة الإسلام مشتملة على جميع النعم، فلو قيد أولًا؛ لم يُفِد هذه الفائدة(٢).

◈ اللطيفة التاسعة: لم تقدم الإنعام على الغضب والضلال.

قال أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي: والجواب: الإيمان إنما يكمل بالرجاء والخوف، قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ يوجب الرجاء الكامل وقوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ يوجب الخوف الكامل، وحينئذٍ يقوى الإيمان بركنيه وطرفيه. انتهى(٣).

وقال السيوطي: تقديم الدالّ على الوعد؛ وهو ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ على الدالّ على الوعيد؛ وهو ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، لأن الترغيب

---

(١) (الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال).

(٢) (فتوح الغيب في الكشاف عن قناع الريب، وهو حاشية الطيبي على الكشاف).

(٣) (تفسير اللباب في علوم الكتاب).

أبعث للنفوس، ولأن رحمته تعالى سبقت غضبه. انتهى[١].

◈ **اللطيفة العاشرة: ما فائدة البدل في الدعاء، والداعي مخاطب لمن لا يحتاج إلى البيان، والبدل يقصد به بيان الاسم الأول؟**

أجاب ابن قيم الجوزية عن التساؤل السابق بعد أن أورده؛ بقوله: المسألة الأولى، وهي فائدة البدل في الدعاء: أن الآية وردت في معرض التعليم للعباد والدعاء، وحق الداعي أن يستشعر عند دعائه ما يجب عليه اعتقاده مما لا يتم الإيمان إلا به، إذ (الدعاء مخ العبادة)، والمخ لا يكون إلا في عظم، والعظام لا يكون إلا في لحم ودم، فإذا وجب إحضار معتقدات الإيمان عند الدعاء، وجب أن يكون الطلب ممزوجًا بالثناء، فمن ثم جاء لفظ الطلب للهداية والرغبة فيها مشوبًا؛ بالخير تصريحًا من الداعي بمعتقده وتوسلًا منه بذلك الاعتقاد الصحيح إلى ربه، فكأنه متوسل إليه بإيمانه واعتقاده أن صراطه الحق هو الصراط المستقيم، وأنه صراط الذين اختصهم بنعمته وحباهم بكرامته، فإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾، والمخالفون للحق يزعمون أنهم على الصراط المستقيم أيضًا، والداعي يجب عليه اعتقاد خلافهم وإظهار الحق الذي في نفسه، فلذلك أبدل وبين لهم؛ ليمرِّن اللسان على ما اعتقده الجنان... وفيه فائدة، وهي أن الداعي إنما أمر بذلك لحاجته، وأن سعادته وفلاحه لا تتم إلا به، وهو مأمور بتدبر ما يطلبه وتصور معناه، فذكر له من أوصافه، وإذا تصور في خَلَده وقام بقلبه؛ كان أشد طلبًا له، وأعظم رغبة فيه، وأحرص على دوام الطلب والسؤال له، فتأمل هذه النكتة البديعة[٢].

---

(١) (نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي).

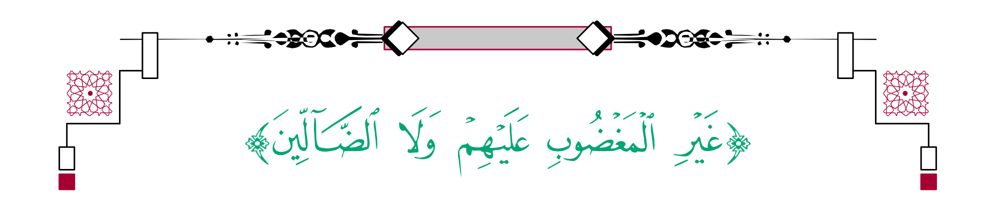
(٢) (بدائع الفوائد).

◈ **اللطيفة الحادية عشرة: البدل في ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، ألا يكفي ويغني عن قوله: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.**

قال الشيخ الخضير: ونكتة البدل ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ألا يكفي ويغني عن قولنا: غير المغضوب عليهم ولا الضالين؟ في الأصل يكفي، لكن لأن من المغضوب عليهم ومن الضالين اليهود والنصارى ممن يدعي أنهم منعم عليهم، بل من غيرهم من الطوائف من يزعم أن اليهود والنصارى منعم عليهم، لأنهم أهل الكتاب، فاحتيج إلى التنصيص عليهم، لأنهم أهل كتاب وإن أنعم عليهم بكتاب إلا أنهم مغضوب عليهم، لأنهم علموا وعرفوا ما في هذا الكتاب وخالفوه، وأيضًا أنعم على آخرين بكتاب، لكنهم أعرضوا عن تعلمه فجهلوه، وعبدوا الله سبحانه على جهل فضلوا بسبب ذلك[١].

---

(١) تعليق الشيخ على (تفسير الجلالين).



◈ **اللطيفة الأولى: لم وصفهم بلفظ ﴿غَيْرِ﴾، وهلَّا قال تعالى: ولا المغضوب عليهم كما قال: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.**

قال ابن قيم الجوزية بعد أن أورد السؤال السابق: وهذا كما تقول: مررت بزيد لا عمرو، وبالعاقل لا الأحمق... ثم قال: وأما المسألة التاسعة، وهي أنه قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ولم يقل: (لا المغضوب عليهم) فيقال: لا ريب أن (لا) يعطف بها بعد الإيجاب، كما تقول: جاءني زيد لا عمرو، وجاءني العالم لا الجاهل، وأما ﴿غَيْرِ﴾ فهي تابع لما قبلها، وهي صفة ليس إلا كما سيأتي.

وإخراج الكلام ههنا مخرج الصفة أحسن من إخراجه مخرج العطف، وهذا إنما يعلم إذا عرف فرق ما بين العطف في هذا الموضوع وبين الوصف، فتقول: لو أخرج الكلام مخرج العطف، وقيل (صراط الذين أنعمت عليهم لا المغضوب عليهم) لم يكن في العطف بها أكثر من نفي إضافة الصراط إلى المغضوب عليهم، كما هو مقتضى العطف، فإنك إذا قلت: جاءني العالم لا الجاهل؛ لم يكن في نفي العطف أكثر من نفي المجيء عن الجاهل وإثباته للعالم، وأما الإتيان بلفظ ﴿غَيْرِ﴾ فهي صفة لما قبلها، فأفاد الكلام معها وصفهم بشيئين:

أحدهما: أنهم منعم عليهم، **والثاني**: أنهم غير مغضوب عليهم، فأفاد ما يفيد العطف مع زيادة الثناء عليهم ومدحهم، فإنه يتضمنه صفتين: صفة

ثبوتية، وهي: كونهم منعمًا عليهم، وصفة سلبية وهي: كونهم غير مستحقين لوصف الغضب وأنهم مغايرون لأهله، ولهذا لما أريد بها هذا المعنى؛ جرت صفة على المنعم عليهم ولم تكن منصوبة على الاستثناء، لأنها يزول منها معنى الوصفية المقصود.

وفيه فائدة أخرى، وهي: أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ادعوا أنهم هم المنعم عليهم دون أهل الإسلام، فكأنه قيل لهم: المنعم عليهم غيركم لا أنتم، وقيل للمسلمين: المغضوب عليهم غيركم لا أنتم، فالإتيان بلفظ ﴿غَيۡرِ﴾ في هذا السياق؛ أحسن وأدل على إثبات المغايرة المطلوبة، فتأمله[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ صفة لا استثناء، لأنه خفض ﴿غَيۡرِ﴾ كما تقول العرب: إني لأمر بالصادق غير الكاذب؛ فالمغضوب عليهم والضالون لم يدخلوا في المنعم عليهم حتى يخرجوا، بل بين أن هؤلاء مغايرون لأولئك؛ كمغايرة الصادق للكذاب[٢].

وقال الكرماني: قال أبو علي: هو مجرور بكونه وصفًا للذين أنعمت عليهم، لأن حكم كل مضاف إلى معرفة أن يصير معرفة، وإنما تنكر (غير) و(مثل) مع إضافتهما إلى المعارف من أجل معناهما، وهو الشياع والعموم، لأنك إذا قلت: جاءني غيرك، فكل شيء سوى المخاطب غيره، فأما إذا كان الشيء معرفة وله ضد واحد، ثم أضفت إلى ذلك الضد؛ كان معرفة لا محالة، نحو: عليك بالحركة غير السكون، والمنعم عليهم ضدهم المغضوب عليهم، فغير المغضوب عليهم؛ معرفة، وذهب غيره إلى أنه مجرور بالبدل،

(١) (بدائع الفوائد).
(٢) (منهاج السنة النبوية).

وقال بعضهم: لما كان الذين أنعمت عليهم لم يقصد بهم قصد أشخاص بأعيانهم؛ قرب من النكرة، ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ وإن كان نكرة قريب من المعرفة للإضافة إلى المعرفة؛ فتوافقا[١].

وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف صح أن يقع (غير) صفة للمعرفة؛ وهو لا يتعرف وإن أضيف إلى المعارف؟ قلت: الذين أنعمت عليهم لا توقيت فيه، كقوله:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّني

ولأن ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ خلاف المنعم عليهم، فليس في (غير) إذًا الإبهام الذي يأبى عليه أن يتعرف[٢].

قال الطيبي: قوله -أي الزمخشري-: (لا توقيت فيه) أي الذين أنعمت عليهم؛ قريب من النكرة، لأنه لم يقصد به قوم بأعيانهم، وغير المغضوب عليهم؛ قريب من المعرفة بالتخصيص الحاصل لها بالإضافة، وكل واحد منهما فيه إبهام من وجه واختصاص من وجه، كقوله:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّني

لم يرد باللئيم لئيمًا بعينه. انتهى[٣].

قال ابن جرير الطبري: وإنما جاز أن يكون ﴿غَيۡرِ﴾ نعتًا لـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ معرفة، و﴿غَيۡرِ﴾ نكرة، لأن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بصلتها ليست بالمعرفة المؤقتة كالأسماء التي هي أمارات بين الناس، مثل: زيد وعمرو وما أشبه ذلك، وإنما هي كالنكرات المجهولات مثل: الرجل والبعير وما أشبه ذلك، فلما

(١) تفسير الكرماني: (غرائب التفسير وعجائب التأويل).
(٢) تفسير الزمخشري: (الكشاف).
(٣) (فتوح الغيب في الكشاف على قناع الريب، وهو حاشية الطيبي على الكشاف).

كان ﴿ٱلَّذِينَ﴾ كذلك صفتها وكانت ﴿غَيۡرِ﴾ مضافة إلى مجهول من الأسماء نظير ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في أنه معرفة غير مؤقتة كما ﴿ٱلَّذِينَ﴾ معرفة غير مؤقتة؛ جاز من أجل ذلك أن يكون ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ نعتًا لـ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، كما يقال: لا أجلس إلا إلى العالم غير الجاهل، يريد لا أجلس إلا إلى من يعلم، لا إلى من يجهل ولو كان ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ معرفة مؤقتة، كان غير جائز أن يكون ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ لها نعتًا[(١)].

◈ **اللطيفة الثانية: لم قدم الغضب على الضلال، ولم وصف اليهود بالأول والنصارى بالثاني؛ مع أن من ضل مغضوب عليه والعكس، ولِمَ لمْ تصرح الآية باليهود والنصارى مع أنهم الموصوفون فيها.**

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وأما المسألة الثالثة عشرة: وهو تقديم ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ على ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾، فلوجوه عديدة:

أحدها: أنهم مقدمون عليهم بالزمان.

الثاني: أنهم كانوا هم الذين يلون النبي ﷺ من أهل الكتابين، فإنهم كانوا جيرانه في المدينة، والنصارى كانت ديارهم نائية عنه، ولهذا تجد خطاب اليهود والكلام معهم في القرآن أكثر من خطاب النصارى، كما في سورة البقرة، والمائدة، وآل عمران، وغيرها من السور.

الثالث: أن اليهود أغلظ كفرًا من النصارى، ولهذا كان الغضب أخص بهم واللعنة والعقوبة، فإن كفرهم عن عناد وبغي كما تقدم، فالتحذير من سبيلهم والبعد منها أهم وأحق بالتقديم، وليس عقوبة من جهل كعقوبة من علم وعاند.

(١) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

الرابع: وهو -أحسنها- أنه تقدم ذكر المنعم عليهم، والغضب ضد الإنعام، والسورة هي السبع المثاني التي يذكر فيها الشيء ومقابله، فذكر المغضوب عليهم مع المنعم عليهم؛ فيه من الازدواج والمقابلة ما ليس في تقديم الضالين، فقولك: (الناس منعم عليه ومغضوب عليه؛ فكن من المنعم عليهم)؛ أحسن من قولك: (منعم عليه وضال)[(١)].

وقال أيضًا: تأمل كيف قال: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، ولم يقل: (اليهود والنصارى)، مع أنهم هم الموصوفون بذلك تجريدًا لوصفهم بالغضب والضلال الذي به غايروا المنعم عليهم، ولم يكونوا منهم بسبيل، لأن الإنعام المطلق ينافي الغضب والضلال، فلا يثبت لمغضوب عليه ولا ضال، فتبارك من أودع كلامه من الأسرار ما يشهد بأنه تنزيل من حكيم حميد[(٢)].

وقال أيضًا: ما وجه تفسير ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ باليهود، و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ بالنصارى؛ مع تلازم وصفي الغضب والضلال؟ فالجواب أن يقال: هذا ليس بتخصيص يقتضي نفي كل صفة عن أصحاب الصفة الأخرى، فإن كل مغضوب عليه ضالّ، وكل ضالٍّ مغضوب عليه، لكن ذكر كل طائفة بأشهر وصفَيْها وأحقها به وألصقه بها، فإن ذلك هو الوصف الغالب عليها، وهذا مطابق لوصف الله اليهودَ بالغضب في القرآن، والنصارى بالضلال، فهو تفسير للآية بالصفة التي وصفهم بها في ذلك الموضع، أما اليهود؛ فقال تعالى في حقهم: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾، وغيرها من الآيات، وأما وصف النصارى بالضلال، ففي

(١) (بدائع الفوائد).
(٢) المرجع السابق.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾، وغيرها من الآيات، ذلك أن اليهود إنما أتوا من فساد الإرادة والحسد، وإيثار ما كان لهم على قومهم من السحت والرياسة؛ فخافوا أن يذهب بالإسلام، فلم يؤتوا من عدم العلم بالحق، فإنهم كانوا يعرفون أن محمدًا رسول الله كما يعرفون أبناءهم، ولهذا لم يوبخهم الله تعالى ويقرعهم إلا بإرادتهم الفاسدة من الكبر والحسد وإيثار السحت والبغي وقتل الأنبياء، ووبخ النصارى بالضلال والجهل الذي هو عدم العلم بالحق، فالشقاء والكفر ينشأ من عدم معرفة الحق تارة، ومن عدم إرادته والعمل به أخرى، ويتركب منهما، فكفر اليهود نشأ من عدم إرادة الحق والعمل به، وإيثار غيره عليه بعد معرفته، فلم يكن ضلالًا محضًا، وكفر النصارى نشأ من جهلهم بالحق وضلالهم فيه، فإذا تبين لهم وآثروا الباطل عليه؛ أشبهوا الأمة الغضبية وبقوا مغضوبًا عليهم ضالين، ثم لما كان الهدى والفلاح والسعادة لا سبيل إلى نيله إلا بمعرفة الحق وإيثاره على غيره، وكان الجهل يمنع العبد من معرفته بالحق والبغي يمنعه من إرادته؛ كان العبد أحوج شيء إلى أن يسأل الله تعالى كل وقت أن يهديه الصراط المستقيم؛ تعريفًا، وبيانًا، وإرشادًا، وإلهامًا، وتوفيقًا، وإعانةً، فيعلمه ويعرفه، ثم يجعله مريدًا له قاصدًا لاتباعه، فيخرج بذلك عن طريقة ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ الذين عدلوا عنه على عمد وعلم، و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين عدلوا عنه عن جهل وضلال، وكان السلف يقولون: (من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شبه من النصارى)، وهذا كما قالوه، فإن من فسد من العلماء فاستعمل أخلاق اليهود من تحريف الكلم عن مواضعه وكتمان ما أنزل الله إذا كان فيه فوات غرضه وحسد من آتاه الله من فضله وطلب قتله وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس ويدعونهم إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم إلى غير ذلك من الأخلاق التي

ذم بها اليهود من الكبر واللّيّ والكتمان والتحريف والتحيُّل على محارم الله وتلبيس الحق بالباطل؛ فهذا شبه باليهود ظاهر، وأما من فسد من العُبَّاد فعبد الله بمقتضى هواه لا بما بعث به رسوله وغلا في الشيوخ فأنزلهم منزلة الربوبية وجاوز ذلك إلى نوع من الحلول أو الاتحاد؛ فشبهه بالنصارى ظاهر.

فعلى المسلم أن يبعد من هذين الشبهين غاية البعد، ومن تصور الشبهين والوضعين وعلم أحوال الخلق؛ علم ضرورته وفاقته إلى هذا الدعاء الذي ليس للعبد دعاء أنفع منه ولا أوجب منه عليه، وأن حاجته إليه أعظم من حاجته إلى الحياة والنفس، لأن غاية ما يُقَدَّر بفوتهما موته، وهذا يحصل له بفوته شقاوة الأبد، فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم؛ صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين، إنه قريب مجيب. انتهى[(١)].

قلت: قد تبين مما سبق كيف أنه لم يذكر في الآية أن المغضوب عليهم هم اليهود، وأن الضالين هم النصارى؛ وذلك ليكون التحذير عامًّا لكل من يتصف بأي صفة من صفات اليهود أو النصارى.

وقال محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: وقدَّم الغضب على الضلال وإن كان الغضب من نتيجة الضلال «ضل عن الحق فغضب عليه»؛ لمجاورة الإنعام، ومناسبة ذكره قرينة، لأن الإنعام يقابل بالانتقام، ولا يقابل الضلالُ الإنعامَ، فالإنعام إيصال الخير إلى المنعم عليه، والانتقام إيصال الشر إلى المغضوب عليه، فبينهما تطابق معنوي، وفيه أيضًا تناسب التسجيع، لأن قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ تمام السورة؛ فناسب أواخر الآي[(٢)].

(١) (بدائع الفوائد).
(٢) (تفسير البحر المحيط).

وقال ابن جرير الطبري: فإن قال قائل: أوليس ذلك أيضًا من صفة اليهود؟ قيل: بلى، فإن قال: فكيف خص النصارى بهذه الصفة وخص اليهود بما وصفهم به من أنهم مغضوب عليهم؟ قيل: إن كلا الفريقين ضُلَّال مغضوب عليهم، غير أن الله جل ثناؤه وسم كل فريق منهم من صفته لعباده بما يعرفونه به إذا ذكره لهم أو أخبرهم عنه، ولم يَسِمِ واحدًا من الفريقين إلا بما هو له صفة على حقيقته، وإن كان له من صفات الذم زيادات عليه[١].

وقال القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: قال ابن جرير الطبري: فإن قال قائل: أليس الضلال من صفة اليهود كما أن النصارى عليهم غضب؛ فلم خص كل فريق بذكر شيء مفرد؟ قيل: هم كذلك، ولكن وسم الله لعباده كل فريق بما قد تكررت العبارة عنه به، وفهم به أمره.

قال أبو محمد عبد الحق: وهذا غير شافي، والقول في ذلك أن أفاعيل اليهود من اعتدائهم وتعنتهم وكفرهم مع رؤيتهم الآيات وقتلهم الأنبياء؛ أمور توجب الغضب في عرفنا، فسمى تعالى ما أحلَّ بهم غضبًا والنصارى لم يقع لهم شيء من ذلك، إنما ضلوا من أول كفرهم دون أن يقع منهم ما يوجب غضبًا خاصًا بأفاعيلهم، بل هو الذي يعم كل كافر وإن اجتهد، لهذا تقررت العبارة عن الطائفتين بما ذكر[٢].

وقال محمد الطاهر بن عاشور: وقد تبين لك من هذا أن عطف ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ على ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ ارتقاء في التعوذ من شر سوء العاقبة، لأن التعوذ من الضلال الذي جلب لأصحابه غضب الله؛ لا يغني عن التعوذ

---

(١) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

(٢) (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز).

من الضلال الذي لم يبلغ بأصحابه تلك الدركات، وذلك وجه تقديم ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ على ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، لأن الدعاء كان بسؤال النفي، فالتدرج فيه يحصل بنفي الأضعف بعد نفي الأقوى، مع رعاية الفواصل[(١)].

◈ **اللطيفة الثالثة: لم أتى في أهل الغضب بصيغة (مفعول) المأخوذة من (فَعِل)، ولم يأت في أهل الضلال بذلك، فقال: (المُضَلِّين)، بل أتى فيهم بصيغة (فاعل) المأخوذة من (فَعَل)؟**

قال ابن قيم الجوزية: أنه أتى في أهل الغضب باسم المفعول، وفي الضالين باسم الفاعل؛ فجوابها ظاهر، فإن أهل الغضب من غضب الله عليهم وأصابهم غضبه؛ فهم مغضوب عليهم، وأما أهل الضلال؛ فإنهم هم الذين ضلوا وآثروا الضلال واكتسبوه؛ ولهذا استحقوا العقوبة عليه، ولا يليق أن يقال (ولا المُضَلِّين) مبنيًّا للمفعول؛ لما في رائحته من إقامة عذرهم، وأنهم لم يكتسبوا الضلال من أنفسهم، بل فُعِل فيهم[(٢)].

◈ **اللطيفة الرابعة: ما فائدة العطف بـ (لا) هنا، ولو قيل: (المغضوب عليهم والضالين)؛ لم يختل الكلام وكان أوجز.**

قال ابن قيم الجوزية بعد أن أورد السؤال السابق: ما فائدة زيادة (لا) بين المعطوف والمعطوف عليه؛ ففي ذلك أربع فوائد:

أحدها: أن ذكرها تأكيد للنفي الذي تضمنه (غير)، فلولا ما فيها من معنى النفي؛ لما عطف عليها بـ (لا) مع الواو، فهو في قوة (لا المغضوب عليهم ولا الضالين)، أو ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

(١) تفسير: (التحرير والتنوير).
(٢) (بدائع الفوائد).

الفائدة الثانية: أن المراد المغايرة الواقعة بين النوعين وبين كل نوع بمفرده، فلو لم يذكر (لا) وقيل (غير المغضوب عليهم والضالين)؛ كان صريحًا في أن المراد: صراط غير هؤلاء وغير هؤلاء، وبيان ذلك أنك إذا قلت: ما قام زيد وعمرو، فإنما نفيت القيام عنهما، ولا يلزم من ذلك نفيه صريحًا في تسليط النفي على كل واحد منهما بمفرده.

الفائدة الثالثة: رفع توهم أن (الضالين) وصف للمغضوب عليهم، وأنهما صنف واحد وصفوا بالغضب والضلال ودخل الغضب بينهما كما يدخل في عطف الصفات بعضها على بعض، نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ إلى آخرها، فإن هذه صفات للمؤمنين، ومثل قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ ونظائره، فلما دخلت (لا) علم أنهما صنفان متغايران مقصودان بالذكر، وكانت (لا) أولى بهذا المعنى من (غير)؛ لوجوه:

أحدها أنها أقل حروفًا، **الثاني:** التفادي من تكرار اللفظ، **الثالث:** الثقل الحاصل بالنطق بـ ﴿غَيْرِ﴾ مرتين من غير فصل إلا بكلمة مفردة، ولا ريب أنه ثقيل على اللسان.

الرابع: أن (لا) إنما يعطف بها بعد النفي، فالإتيان بها مؤذن بنفي الغضب عن أصحاب الصراط المستقيم كما نفى عنهم الضلال، و(غير) وإن أفهمت هذا؛ فـ(لا) أدخل في النفي منها، وقد عرف بهذا أن (لا) إنما يعطف بها في النفي[1].

وقال أيضًا: وأما قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾،

(١) (بدائع الفوائد).

فإن معنى النفي موجود في ﴿غَيْرِ﴾، فإن قيل: فهلَّا قال: (لا المغضوب عليهم ولا الضالين) لنفي صفة الضلال والغضب عنهم وأنهم الذين أنعم عليهم بالنبوة والهدى دون غيرهم، ولو قال: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ لم يكن في ذلك إلا تأكيد نفي إضافة الصراط إلى المغضوب عليهم، كما تقول: (هذا غلام زيد لا عمرو) أكدت نفي الإضافة عن عمرو، بخلاف قولك: (هذا غلام الفقيه غير الفاسق ولا الخبيث)، فكأنك جمعت بين إضافة الغلام إلى الفقيه دون غيره، وبين نفي الصفة المذمومة عن الفقيه، فافهمه[١].

وقال مكي بن أبي طالب حموشي الأندلسي (ت٤٣٧هـ): ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: ودخلت (لا) في قوله ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، لئلا يتوهم أن الضالين عطف على (الذين) في قوله ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾، فبدخول (لا) امتنع أن يتوهم متوهم ذلك، إذ لا تقع (لا) إلا بعد نفي، أو ما في معنى النفي[٢].

◈ اللطيفة الخامسة: ما الحكمة في أنه تعالى جعل المنعم عليهم المقبولين طائفة واحدة، والمردودين بعدها فريقين.

قال الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين البكري الرازي الشافعي: ما الحكمة في أنه تعالى جعل المقبولين طائفة واحدة وهم الذين أنعم الله عليهم، والمردودين فريقين المغضوب عليهم والضالين، الجواب: أن الذين كملت نعم الله عليهم؛ هم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به، فهؤلاء هم المرادون بقوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فإن اختل قيد العمل؛ فهم الفسقة وهم المغضوب عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾،

---

(١) (بدائع الفوائد).

(٢) (الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره).

وإنّ اختل قيد العلم؛ فهم الضالون، لقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[١]. انتهى.

قلت: مجيء الفريقين المردودين بعد الطائفة المنعم عليها لعل فيه تنبيهًا للطائفة المنعم عليها أنها لن تكون من الذين أنعم الله عليهم؛ حتى تنجو من فساد العلم الذي وقع فيه النصارى بسبب الجهل، وفساد العمل الذي وقع فيه اليهود بسبب سوء القصد ورد الحق.

◈ اللطيفة السادسة: أعداء دعوة التوحيد على الحقيقة: كل متكبر معاند، وجاهل متمرد.

قلت: إن الناظر والمتدبر لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، يجد أن الله ذكر أولًا أهل التوحيد المنعم عليهم، وثنَّى بعدهم بالمغضوب عليهم أهل الكبر والعناد الرادين للحق كبرًا وعنادًا، وأهل الضلال الرادين للحق جهلًا، وهذان الصنفان هما أعداء دعوة التوحيد ومن يحمل رايتها من العلماء الربانيين والدعاة المقتدين بالكتاب وسنة إمام الأولين والآخرين، والحقيقة أن الجهال أكثر هذين الصنفين عددًا، فخطرهم داهم على دعوة الرسل وأتباعها، وخاصة أنهم كثيرًا ما يُستَعملون بسبب جهلهم من قبل أعداء الدعوة؛ لضرب معاقلها، ودكِّ حصونها، وإسقاط دعاتها ورموزها، وأختصر خطر الجهال على دعوة الرسل بكلمة جميلة دقيقة، قالها الإمام ابن قيِّم الجوزية، بيَّن فيها خطر الجهل والجهال على دعوة التوحيد التي هي دعوة الرسل عليهم السلام حيث قال: إنه سبحانه ذم أهل الجهل في مواضع كثيرة من كتابه، فقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ

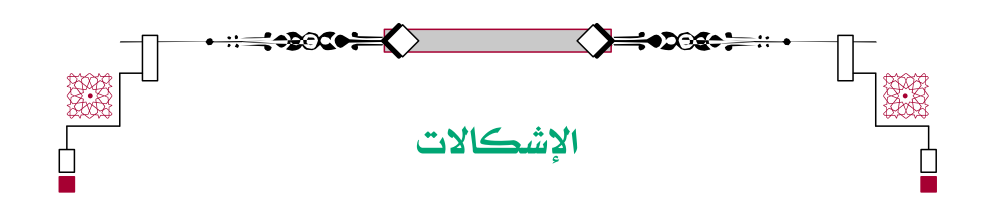
---

(١) (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير).

أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾، وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، فلم يقتصر سبحانه على تشبيه الجهال بالأنعام حتى جعلهم أضل سبيلًا منهم، وقال: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾، أخبر أن الجهال شر الدواب عنده على اختلاف أصنافهم من الحمير، والسباع، والكلاب، والحشرات، وسائر الدواب، فالجهال شرٌّ منهم، وليس على دين الرسل أضرَّ من الجهال؛ بل هم أعداؤهم على الحقيقة، وقال تعالى لنبيه وقد أعاذه: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، وقال كليمه موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، وقال لأول رسله نوح عليه السلام: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فهذه حال الجاهلين عندهم[1].

(١) (مفتاح دار السعادة).

(٢) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).



الإشكالات

إن حَلَّ الإشكالات التي قد تعتري اللفظ القرآني؛ لازمة، وذلك لأن الله سبحانه أنزل القرآن وفرض علينا تدبره، ولا شك أن أي إشكال يطرأ على اللفظ القرآني إن لم يُحَلّ؛ سيكون عثرة أمام المتدبر للقرآن يمنعه من التدبر أو من كماله، لذلك كان لزامًا علينا أن نوضح الإشكالات التي قد تطرأ على ألفاظ الآيات أو فهم معناها، فمن أجل ذلك؛ أفردت الإشكالات في فصل مستقل، وذلك لإبرازها وعدم اختلاطها بغيرها من اللطائف والنكات.

◈ **الإشكال الأول: ما وجه قوله تعالى ذكره: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾؛ وهو عز ذكره معبود لا عابد؟**

قال الإمام محمد بن جرير الطبري: فإن قال لنا قائل: وما معنى قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ أحمِد الله نفسه جل ثناؤه فأثنى عليها، ثم علَّمناه لنقول ذلك كما قال ووصف به نفسه؟ فإن كان ذلك كذلك؛ فما وجه قوله تعالى ذكره إذًا: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ وهو عز ذكره معبود لا عابد؟ أم ذلك من قيل جبريل، أو محمد رسول الله ﷺ. فقد بطل أن يكون ذلك لله كلامًا؟ قيل: بل ذلك كله كلام الله جل ثناؤه، ولكنه جل ذكره حمد نفسه وأثنى عليها بما هو له أهل؛ ثم علَّم ذلك عباده، وفرض عليهم تلاوته اختبارًا منه لهم وابتلاء، فقال لهم: قولوا ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، وقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ مما علمهم جل ذكره أن يقولوه ويدينوا بمعناه، وذلك موصول بقوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ

لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ وكأنه قال: قولوا هذا وهذا[(١)].

◈ **الإشكال الثاني: ما وجه الدعاء بـ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ والداعي مَهدِيٌّ على الحقيقة، فكيف يطلب تحصيل الحاصل؟**

قال الإمام ابن قيم الجوزية: كل مؤمن مأمور بهذا الدعاء أمرًا لازمًا لا يقوم غيره مقامه ولا بد منه، وهذا إنما نسأله في الصلاة بعد هدايته، فما وجه السؤال لأمر حاصل، وكيف يطلب تحصيل الحاصل؟

وقد أجاب عنها من أجاب بأن المراد التثبت ودوام الهداية، ولقد أجاب وما أجاب، وذكر فرعًا لا قوام له بدون أصله، وثمرة لا وجود لها بدون حاملها، ونحن نبيِّن بحمد الله أن الأمر فوق ما أجاب به وأعظم من ذلك بحول الله، فاعلم أن العبد لا يحصل له الهدى التام المطلوب إلا بعد ستة أمور، وهو محتاج إليها حاجة لا غنى له عنها:

الأمر الأول: معرفته في جميع ما يأتيه ويذره بكونه محبوبًا للرب تعالى مرضيًّا له؛ فيؤثره، وكونه مبغوضًا له مسخوطًا له؛ فيجتنبه، فإن نقص من هذا العلم والمعرفة شيء؛ نقص من الهداية التامة بحسبه.

الأمر الثاني: أن يكون مريدًا لجميع ما يحب الله منه؛ أن يفعله عازمًا عليه، ومريدًا لترك جميع ما نهى الله عنه عازمًا على تركه بعد خطوره بالبال مفصلًا، وعازمًا على تركه من حيث الجملة مجملًا، فإن نقص من إرادته لذلك شيء؛ نقص من الهدى التام بحسب ما نقص من الإرادة.

الأمر الثالث: أن يكون قائمًا به فعلًا وتركًا، فإن نقص من فعله شيء؛ نقص من هداه بحسبه، فهذه ثلاثة هي أصول في الهداية، ويتبعها ثلاثة هي

---

(١) (بدائع الفوائد).

من تمامها وكمالها:

أحدها: أمور هُدِيَ إليها جملة، ولم يهتد إلى تفاصيلها، فهو محتاج إلى هداية التفصيل منها.

الثاني: أمور هدي إليها من وجه، فهو محتاج إلى تمام الهداية فيها لتكمل له هدايتها.

الثالث: الأمور التي هدي إليها تفصيلًا من جميع وجوهها، فهو محتاج إلى الاستمرار على الهداية والدوام فيها... فهذه ستة أصول تتعلق بما يُعزَم على فعله وتركه ويتعلق بالماضي.

أمر سابع وهو: أمور وقعت منه على غير جهة الاستقامة، فهو محتاج إلى تداركها بالتوبة منها وتبديلها بغيرها.

وإذا كان كذلك، فإنما يقال: كيف يسأل الهداية وهي موجودة له؟ ثم يجاب عن ذلك: بأن المراد التثبيت والدوام عليها إذا كانت هذه المراتب الست حاصلة له بالفعل، فحينئذٍ يكون سؤاله الهداية سؤال تثبيت ودوام، فأما إذا كان ما يجهله أضعاف ما يعلمه، وما لا يريده من رشده أكثر مما يريده، ولا سبيل له إلى فعله إلا بأن يخلق الله فاعليته، فالمسؤول هو أصل الهداية على الدوام تعليمًا وتوفيقًا، وخلقًا للإرادة فيه، وإقدارًا له، وخلقًا لفاعليته، وتثبيتًا له على ذلك، فعُلِمَ أنه ليس أعظم ضرورة منه إلى سؤال الهداية أصلها وتفصيلها، علمًا وعملًا، والتثبيت عليها، والدوام إلى الممات.

وسرُّ ذلك: أن العبد مفتقرٌ إلى الهداية في كل نَفَس في جميع ما يأتيه ويذره أصلًا وتفصيلًا وتثبيتًا، ومفتقر إلى مزيد العلم بالهدى على الدوام، فليس له أنفع ولا هو إلى شيء أحوج من سؤال الهداية، فنسأل الله أن يهدينا

الصراط المستقيم، وأن يثبت قلوبنا على دينه[١].

وقال أيضًا: فالهداية: هي البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة... وهما هدايتان مسؤولتان ولا يحصل الفلاح إلا بهما، وهما متضمنتان تعريف ما لم نعلم من الحق تفصيلًا وإجمالًا، وإلهامنا له، وجعلنا مريدين لاتباعه ظاهرًا وباطنًا، ثم خلق القدرة لنا على القيام بموجب الهدى بالقول والعمل والعزم، ثم إدامة ذلك لنا، وتثبيتنا عليه إلى الموافاة، ومن هاهنا يعلم اضطرار العبد إلى هذه الدعوة فوق كل ضرورة، وبطلان سؤال من يقول: إذا كنا مهتدين فكيف نسأل الهداية؟ فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم، وما لا نريد فعله تهاونًا وكَلًّا مثل ما نريده أو أكثر منه أو دونه، وما لا نقدر عليه مما نريده كذلك، وما نعرف جملته ولا نهتدي لتفاصيله فأمر يفوت الحصر، ونحن محتاجون إلى الهداية التامة، فمن كملت له هذه الأمور؛ كان سؤال الهداية له سؤال التثبيت والدوام. انتهى[٢].

قلت: الهداية المطلوبة في ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: هي الهداية التوفيقية، وهذا ما قاله **ابن جرير الطبري حيث قال بعد قوله تعالى:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، ومنه قول الله جل ثناؤه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في غير آية من تنزيله، وقد عُلِم بذلك أنه لم يَعنِ أنه لا يبين للظالمين الواجب عليهم من فرائضه، وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه؛ وقد عم بالبيان جميع المكلفين من خلقه، ولكنه عنى جل ذكره أنه لا يوفقهم ولا يشرح للحق والإيمان صدورهم[٣].

---

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).
(٢) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل القرآن).
(٣) (مجموع الفتاوى).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الذنوب هي من لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى في كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الأكل والشرب، ليس كما يقول طائفة من المفسرين: «إنه قد هداه؛ فلماذا يسأل الهدى؟ وأن المراد بسؤال الهدى؛ الثبات أو مزيد الهداية»، بل العبد محتاج إلى أن يعلمه ربه ما يفعله من تفاصيل أحواله، وإلى ما يتولد من تفاصيل الأمور في كل يوم، وإلى أن يلهم ذلك؛ فإنه لا يكفي مجرد علمه إن لم يجعله الله مريدًا للعمل بعلمه، وإلا كان العلم حجة عليه ولم يكن مهتديًا، والعبد محتاج إلى أن يجعله الله قادرًا على العمل بتلك الإرادة الصالحة، فإنه لا يكون مهتديًا إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ إلا بهذه العلوم والإرادة والقدرة على ذلك، ويدخل في ذلك من أنواع الحاجات ما لا يمكن إحصاؤه، ولهذا كان الناس مأمورين بهذا الدعاء في كل صلاة؛ لفرط حاجتهم إليه، فليسوا إلى شيء أحوج إلى هذا الدعاء[١].

وقال أيضًا في قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾، فالهدى هنا: هو البيان والدلالة والإرشاد العام المشترك، وهو كالإنذار العام والتذكير العام، وهنا قد هدى المتقين وغيرهم، كما قال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، وأما قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، فالمطلوب: الهدى الخاص التام الذي يحصل معه الاهتداء، كقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وقوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[٢].

---

(١) (مجموع الفتاوى).

(٢) (منهاج السنة النبوية).

وقال أيضًا: ففي القرآن من ذكر تفصيل أفعال العباد التي بقلوبهم وجوارحهم، وأنه تبارك وتعالى يحدث من ذلك؛ ما يطول وصفه، كقوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾، ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾، وقوله: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾، ومعلوم أنه لم يرد بذلك الهداية المشتركة بين المؤمن والكافر؛ مثل: إرسال الرسل، والتمكين في الفعل، وإزاحة العلل، بل أراد ما يختصه به المؤمن، كما دل عليه القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، ومنه قولنا في الصلاة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، فإن الهداية المشتركة حاصلة لا تحتاج أن تُسأل، وإنما تُسأل الهداية التي خص بها المهتدين[(١)].

وقال أيضًا: أما أهل السنة فيقولون: إن الاهتداء الذي في القلب لا يقدر عليه إلا الله، ولكن العبد يقدر على أسبابه؛ وهو المطلوب منه، يقول تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾، وهو المنفي عن الرسل بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[(٢)].

وقال أيضًا: يقول بعضهم في قول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فيقولون: المؤمن قد هدي إلى الصراط المستقيم؛ فأي فائدة في طلب الهدى؟ ثم يجيب بعضهم: بأن المراد ثبّتنا على الهدى كما تقول العرب للنائم: نم حتى آتيك، أو يقول بعضهم: ألْزِم قلوبنا الهدي، فحذف الملزوم، ويقول بعضهم: زدني هدى، وإنما يوردون هذا السؤال؛ لعدم تصورهم الصراط

(١) (الاستغاثة في الرد على البكري).

(٢) (مجموع الفتاوى).

المستقيم الذي يطلب العبد الهداية إليه، فإن المراد به؛ العمل بما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه في جميع الأمور، والإنسان وإن كان أقرَّ بأن محمدًا رسول الله، وأن القرآن حق على سبيل الإجمال؛ فأكثر ما يحتاج إليه من العلم بما ينفعه ويضره وما أمر به وما نهى عنه في تفاصيل الأمور وجزئياتها؛ لم يعرفه، وما عرفه؛ فكثير منه لم يعمل بعلمه، ولو قدر أنه بلغه كل أمر ونهي في القرآن والسنة، فالقرآن والسنة إنما تذكر فيها الأمور العامة الكلية، لا يمكن غير ذلك، لا تذكر ما يخص به كل عبد، ولهذا أمر الإنسان في مثل ذلك بسؤال الهدى إلى الصراط المستقيم، والهدى إلى الصراط المستقيم يتناول هذا كله، يتناول التعريف بما جاء به الرسول مفصلًا، ويتناول التعريف بما يدخل في أوامره الكلية، ويتناول إلهام العمل بعلمه؛ فإن مجرد العلم بالحق لا يحصل له الاهتداء إن لم يعمل بعلمه، ولهذا قال لنبيه ﷺ بعد صلح الحديبية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾، وقال في موسى وهارون: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ۝١١٧ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[(١)].

وقال الإمام ابن جرير الطبري: فإن قال قائل: وما معنى أمر الله عباده بأن يسألوه المعونة على طاعته؟ أَوَجائزٌ وقد أمرهم بطاعته أن لا يعينهم عليها؟ أم هل يقول قائل لربه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ على طاعتك إلا وهو على قوله ذلك معان؟ وذلك هو الطاعة، فما وجه مسألة العبد ربه ما قد أعطاه إياه؟ قيل: إن تأويل ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه، وإنما الداعي ربه من المؤمنين أن يعينه على طاعته إياه؛ داعٍ أن يعينه فيما بقي من عمره على ما كلفه من طاعته دون ما قد تقضَّى ومضى من

---

(١) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

أعماله الصالحة فيما خلا من عمره، وجازت مسألة العبد ربه ذلك؛ لأن إعطاء الله عبده ذلك مع تمكينه جوارح لأداء ما كلفه من طاعته وافترض عليه من فرائضه؛ فضلٌ منه جل ثناؤه تفضل به عليه، ولطفٌ منه لطف له فيه[١].

وقال الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: فإن قيل: ما معنى سؤال المسلمين الهداية وهم مهتدون؟ ففيه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن المعنى: اهدنا لزوم الصراط، فحذف اللزوم، قاله ابن الأنباري.

الثاني: أن المعنى ثبتنا على الهدى، تقول العرب للقائم: قم حتى آتيك، أي: اثبت على حالك.

الثالث: أن المعنى: زدنا هدى[٢].

وقال الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، بعد قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: اهدنا: أرشدنا، وقال علي وأبيّ بن كعب: ثبتنا، كما يقال للقائم: قم حتى أعود إليك، أي: دم على ما أنت عليه.. وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية؛ بمعنى التثبت، وبمعنى طلب مزيد الهداية، لأن الألطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى على مذهب أهل السنة[٣].

وقال أبو الفضل محمود الآلوسي البغدادي: وللمحققين في معنى ﴿ٱهۡدِنَا﴾ وجوه دفعوا بها ما يوشك أن يُسأَل عنه من أن المؤمن مهتدٍ فالدعاء طلب لتحصيل الحاصل:

---

(١) (زاد المسير في علم التفسير).

(٢) (تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل).

(٣) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

أحدها: أن معناه: ثبتنا على الدين كي لا تزلزلنا الشبه، وفي القرآن: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾.

وثانيهما: أعطنا زيادة الهدى، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾.

وثالثهما: أن الهداية؛ الثواب، كقوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾، فالمعنى: اهدنا طريق الجنة ثوابًا لنا[1].

◈ **الإشكال الثالث: كيف أمرنا الله سبحانه باتباع صراط من سبقنا ﴿مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾؛ وعندنا أحكام تختلف عنهم.**

قال الشيخ محمد رشيد بن علي رضا: وهاهنا سؤال وهو: كيف يأمرنا الله تعالى باتباع صراط من تقدمنا وعندنا أحكام وإرشادات لم تكن عندهم، وبذلك كانت شريعتنا أكمل من شرائعهم، وأصلح لزماننا وما بعده؟

والقرآن يبين لنا الجواب؛ وهو أن يصرح بأن دين الله في جميع الأمم واحد، وإنما تختلف الأحكام بالفروع التي تختلف باختلاف الزمان، وأما الأصول فلا خلاف فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾[2].

◈ **الإشكال الرابع: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يقتضي نعمةً مختصة بالأولين دون المغضوب عليهم والضالين، وهذا حجة لمن ذهب أنه لا نعمة له على كافر، فهل هذا الاستدلال صحيح أم لا؟**

أجاب ابن القيم على السؤال السابق بعد إيراده فقال: وأما المسألة وهي أنه خص أهل الهداية بالنعمة دون غيرهم؛ فهذه مسألة اختلف الناس فيها

---

(١) (تفسير المنار).

(٢) (بدائع الفوائد).

وطال الحجاج من الطرفين، وهي أنه هل له على الكافر نعمة أم لا؟ فمِن نافٍ يحتج بهذه الآية وبقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ فخص هؤلاء بالإنعام، فدل على أن غيرهم غير منعم عليهم، ومِن مُثبِت يحتج بقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ﴾، وغيرها، واحتجوا بأن البر والفاجر، والمؤمن والكافر؛ كلهم يعيش في نعمة الله...

وفصل الخطاب في المسألة: أن النعمة المطلقة مختصة بأهل الإيمان لا يشركهم فيها سواهم، ومطلق النعمة عام للخليقة كلهم برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فالنعمة المطلقة التامة؛ هي المتصلة بسعادة الأبد بالنعيم المقيم، فهذه غير مشتركة، ومطلق النعمة: عام مشترك، فإذا أراد النافي سلب النعمة المطلقة؛ أصاب، وإن أراد سلب مطلق النعمة؛ أخطأ، وإن أراد المثبت إثبات النعمة المطلقة للكافر أخطأ، وإن أراد إثبات مطلق النعمة؛ أصاب، وبهذا تتفق الأدلة ويزول النزاع، ويتبين أن كل واحد من الفريقين معه خطأ وصواب، والله الموفق. انتهى بتصرف يسير[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: تنازع أهل السنة المثبتون للقدر في الكافر هل عليه نعمة دنيوية؟ على قولين معروفين لهم، قيل: النعيم الذي يعقبه عذاب ليس بنعمة، وقيل: بل هو نعمة، وفصل الخطاب: أنه نعمة مقيدة، وليس نعمة مطلقة تامة، ولهذا لم يدخل في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[٢].

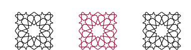
---

(١) (الرد على الشاذلي).

(٢) (منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية).

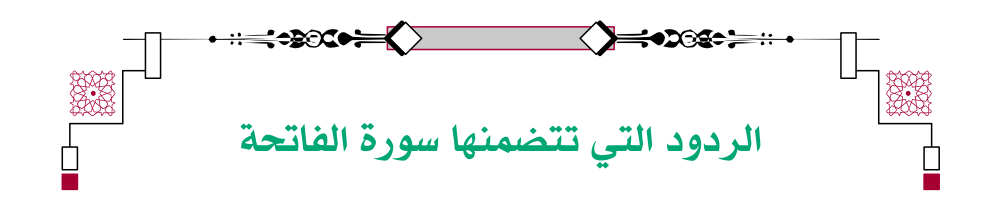
وقال أيضًا: وقد أمرنا أن نقول في الصلاة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، والذين أنعم الله عليهم؛ هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾، والإنعام المطلق إنما يدخل فيه المؤمنون، فدل ذلك على أن الطاعة الحاصلة من المؤمنين؛ هو الذي أنعم بها، ولو كانت نعمته عليهم كنعمته على الكفار؛ لكان الجميع من المنعم عليهم أهل الصراط المستقيم(١).

وقال الراغب الأصفهاني: وإنما ذكر ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ لأن الكفار قد شاركوا المؤمنين في إنعامٍ كثير عليهم، فبين بالوصف أن المراد بالدعاء ليس هو النعم العامة، بل ذلك نعمة مخصوصة(٢).



(١) (تفسير الراغب الأصفهاني).

(٢) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).



الردود التي تتضمنها سورة الفاتحة

لا شك أن استنباط الردود من سورة الفاتحة التي تدل على بطلان ما هي عليه الفرق الباطلة أو المبتدعة؛ داخلٌ في التدبر من أوسع أبوابه، وفي هذا دلالة على عظيم قدر هذه السورة، وما تحتويه من دقة في اللطائف والنِّكات.

وأستفتح كلامي في هذا الموضوع بمقدمة ذكرها الإمام ابن قيم الجوزية؛ في اشتمال الفاتحة على ردود على المبطلين من أهل الملل والنِّحل، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فصل في اشتمال الفاتحة على الرد على جميع المبطلين من أهل الملل والنحل والرد على أهل البدع والضلال من هذه الأمة، وهذا يُعلَم بطريقين: مجمل ومفصل: فأما المجمل فهو: أن الصراط المستقيم يتضمن معرفة الحق، وإيثاره وتقديمه على غيره، ومحبته والانقياد له والدعوة إليه، وجهاد أعدائه بحسب الإمكان، والحق هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وما جاء به علمًا وعملًا في باب صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأسمائه وتوحيده، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، ولا ريب أنه ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه علمًا وعملًا، وهو معرفة الحق وتقديمه، وإيثاره على غيره، فبهذه الطريق المجملة نعلم أن كل ما خالفه فباطل، وهو من صراط الأمتين: الأمة الغضبية، وأمة الضلال، وأما الطريقة المفصلة فمعرفة: المذاهب الباطلة، واشتمال كلمات الفاتحة على إبطالها[١].

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

◈ **الرد الأول: وهو الرد على أهل الاتحاد والحلول القائلين بوحدة الوجود.**

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وفي بطلان قول أهل الإلحاد القائلين بوحدة الوجود، وأنه ما ثم وجود قديم خالق، ووجود حادث مخلوق، بل وجود هذا العالم هو عين وجود الله، وهو حقيقة هذا العالم، فليس عند القوم رب وعبد، ولا مالك ومملوك، ولا عابد ومعبود، ولا مستعين ومستعان به، بل الرب هو نفس العبد وحقيقته، والعابد نفس المعبود، وإنما التغاير أمر اعتباري بحسب مظاهر الذات وتجلياتها؛ فتظهر تارة في صورة المعبود كما ظهرت في صورة فرعون، وفي صورة عبد كما ظهرت في صورة العبيد، وفي صورة هَادٍ كما ظهرت في صورة الأنبياء عليهم السلام والرسل والعلماء، والكل من عين واحدة؛ بل هو العين الواحدة، فالفاتحة من أولها إلى آخرها تبين بطلان قول هؤلاء الملاحدة وضلالهم. انتهى بتصرف يسير[(١)].

قلت: إن أهل الاتحاد والحلول كابن عربي والتلمساني وغيرهم يقولون: إن الله متحد بالخلق أو حالٌّ بهم (تعالى الله عن ذلك)، فليس عندهم فرق بين المعبود والعابد؛ بل كلهم عين واحدة متَّحدة -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- والفاتحة تكذِّب ذلك؛ حيث بينت أن هناك رب رحمن رحيم، مالك معبود بائنٌ من خلقه؛ غير متَّحد ولا حالٌّ بهم، وعبد مخلوق عابد لربه سائلٌ له، طالبٌ لرضاه، بائن عنه.

◈ **الرد الثاني: وهو الرد على أهل الشرك في الإلهية والربوبية.**

قال الإمام ابن قيم الجوزية: أهل الإشراك به في إلهيته؛ وهم المقرِّون بأنه وحده رب كل شيء ومليكه وخالقه، وهم مع هذا يعبدون غيره، ويعدلون

---

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

به سواه في المحبة والطاعة والتعظيم، وهم الذين اتخذوا من دونه أندادًا، فهؤلاء ليس لهم نصيب من ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ المتضمن معنى: لا نعبد إلا إياك حبًّا وخوفًا ورجاءً وطاعةً وتعظيمًا، فـ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ تحقيق لهذا التوحيد وإبطال للشرك في الإلهية، كما أن ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ تحقيق لتوحيد الربوبية، وإبطال للشرك به، وكذلك قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، فإنهم أهل التوحيد، وهم أهل تحقيق ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾، وأهل الإشراك هم أهل الغضب والضلال. انتهى بتصرف يسير[1].

◈ الرد الثالث: وهو الرد على الجهمية معطِّلة الصفات.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: الرد على الجهمية معطِّلة الصفات، وذلك من وجوه:

أحدها: من قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، فإن إثبات الحمد الكامل له يقتضي ثبوت كل ما يحمد عليه من صفات كماله، ونعوت جلاله؛ إذ من عُدِمَ صفات الكمال فليس بمحمود على الإطلاق، وكذلك في إثبات صفة الرحمة له ما يتضمن إثبات الصفات التي تلزمها من الحياة والإرادة والقدرة والسمع والبصر وغيرها، وكذلك صفة الربوبية تستلزم جميع صفات الفعل، وصفة الإلهية تستلزم جميع أوصاف الكمال ذاتًا وأفعالًا، فكونه محمودًا إلهًا ربًّا، رحمانًا رحيمًا معبودًا، مستعانًا، هاديًا منعمًا، يرضى ويغضب، مع نفي قيام الصفات به؛ جمع بين النقيضين، وهو من أمحل المحال.

الوجه الثاني: أن السمع ورد بها ثناء على الله ومدحًا له، وتعريفًا منه إلى

---

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).



عباده بها، فجحدها وتحريفها عما دلت عليه وأريد بها؛ مناقض لما جاءت له. انتهى بتصرف يسير[(١)].

◈ **الرد الرابع: رد الفاتحة على القائلين بالموجب بالذات بدون الاختيار والمشيئة، وبيان أنه فاعل مختار.**

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وذلك من وجوه:

أحدها: من إثبات حمده، إذ كيف يحمد على ما ليس مختارًا لوجوده ولا هو بمشيئته وفعله، وهل يصح حمد الماء على آثاره وموجباته، وإنما يحمد الفاعل المختار بقدرته ومشيئته على أفعاله الحميدة.

الثاني: إثبات ربوبيته تعالى يقتضي فعله بمشيئته واختياره، وتدبيره وقدرته، وليس يصح في عقل ولا فطرة ربوبية الشمس لضوئها، والماء لتبريده.

الثالث: إثبات ملكه، وحصول ملك لمن لا اختيار له ولا فعل ولا مشيئة؛ غير معقول.

الرابع: من كونه مستعانًا فإن الاستعانة بمن لا اختيار له، ولا مشيئة، ولا قدرة؛ محال.

الخامس: من كونه مسؤولًا أن يهدي عباده، فسؤال من لا اختيار له؛ محال، وكذلك كونه منعمًا. انتهى بتصرف يسير[(٢)].

---

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

(٢) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

◈ **الرد الخامس: تضمن الفاتحة للرد على منكري تعلق علمه تعالى بالجزئيات، (أي: أنه يعلم؛ لكنه لا يعلم جزئيات وتفاصيل الأمور).**

قال الإمام ابن قيم الجوزية: والرد على ذلك من وجوه:

أحدها: كمال حمده، إذ كيف يستحق الحمد من لا يعلم شيئًا من العالم وأحواله وتفاصيله.

الثاني: أن هذا مستحيل أن يكون إلهًا، وأن يكون ربًّا، فلا بدَّ للإله المعبود والرب المدبر أن يعرف عابده ويعلم حاله.

الثالث: من إثبات رحمته، فإنه يستحيل أن يرحم من لا يعلمه.

الرابع: إثبات ملكه، فإن مالكًا لا يعرف أحدًا من رعيته البتة ولا شيئًا من أحوال مملكته؛ ليس بملك بوجه من الوجوه.

الخامس: كونه مستعانًا.

السادس: كونه مسؤولًا أن يهدي سائله ويجيبه.

السابع: كونه هاديًا.

الثامن: كونه منعمًا.

التاسع: كونه يغضب على من خالفه.

العاشر: كونه مجازيًا، يدين الناس بأعمالهم يوم الدين، فنفي علمه بالجزئيات؛ مبطل لذلك كله. انتهى بتصرف يسير[1].

---

(١) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).



◈ **الرد السادس: تضمن الفاتحة للرد على منكري النبوات.**

قال الإمام ابن قيم الجوزية: الرد على منكري النبوات من وجوه:

أحدها: إثبات حمده التام، فإنه يقتضي كمال حكمته، وأن لا يخلق خلقه عبثًا، ولا يتركهم سدى لا يؤمرون ولا ينهون، فمن أعطى الحمد حقه علمًا ومعرفةً وبصيرةً؛ استنبط منه (أشهد أن محمدًا رسول الله) كما يستنبط منه (أشهد أن لا إله إلا الله)، وعلم قطعًا أن تعطيل النبوات في منافاته للحمد.

الثاني: إثبات الإلهية وكونه إلهًا، فإن ذلك مستلزم لكونه معبودًا مطاعًا، ولا سبيل إلى معرفة ما يعبد به ويطاع؛ إلا من جهة رسله.

الثالث: كونه ربًّا، فإن الربوبية تقتضي أمر العباد ونهيهم، وذلك لا يتم إلا بالرسالة والنبوة.

الرابع: كونه رحمانًا رحيمًا، فإن كمال رحمته أن يُعرِّف عبادَه نفسَه وصفاتَه، وذلك لا يتم إلا بالرسالة والنبوة، فكانت رحمته مقتضية لها.

الخامس: ملكه، فإن الملك يقتضي التصرف بالقول، كما أن المِلك يقتضي التصرف بالفعل؛ فإرسال الرسل موجب كمال ملكه وسلطانه، فكل مَلِك لا تكون له رسل يبعثها في أقطار مملكته؛ فليس بملك.

السادس: ثبوت يوم الدين وهو يوم الجزاء، وهذا لا يكون إلا بعد ثبوت الرسالة والنبوة، وقيام الحجة التي بسببها يدان المطيع والعاصي.

السابع: كونه هاديًا إلى الصراط المستقيم، وهو معرفة الحق والعمل به، وذلك لا يُعلَم إلا من جهة الرسل قطعًا.

الثامن: كونه منعمًا على أهل الهداية إلى الصراط المستقيم، فإن إنعامه

عليهم إنما تم بإرسال الرسل إليهم.

التاسع: انقسام خلقه إلى: (منعم عليهم، ومغضوب عليهم، وضالين)، وهذا الانقسام إنما نشأ بعد إرسال الرسل، فلولا الرسل لكانوا أمة واحدة. انتهى بتصرف يسير[(١)].

◈ الرد السابع: تضمن الفاتحة للرد على من قال بقِدَم العالم وأنه ليس حادثًا.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: الرد على من قال بقِدَم العالم من وجوه:

أحدها: إثبات حمده، فإنه يقتضي ثبوت أفعاله، لا سيما وعامة موارد الحمد في القرآن أو كلها؛ إنما هي على الأفعال وكذلك هاهنا، فإنه حمد نفسه على ربوبيته المتضمنة لأفعاله الاختيارية، ومن المستحيل مقارنة الفعل لفاعله، وهذا ممتنع في كل عقل سليم وفطرة مستقيمة، فالفعل متأخر عن فاعله بالضرورة، وأيضًا فإنه متعلق الإرادة والتأثير والقدرة، ولا يكون متعلقها قديمًا البتة.

الثاني: إثبات ربوبيته للعالمين، والعالم كل ما سواه، فثبت أن كل ما سواه مربوب، والمربوب مخلوق بالضرورة، فإذًا ربوبيته تعالى لكل ما سواه تستلزم تقدُّمه عليه وحدوث المربوب.

الثالث: إثبات توحيده، فإنه يقتضي عدم مشاركة شيء من العالم له في خصائص الربوبية، والقِدَم من خصائص الربوبية، فالتوحيد ينفي ثبوته لغيره ضرورة، كما ينفي ثبوت الربوبية والإلهية لغيره. انتهى بتصرف يسير[(٢)].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

◈ الرد الثامن: تضمن الفاتحة للرد على الرافضة والخوارج.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وذلك في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، ووجه تضمنه: إبطال قولهم أنه سبحانه قسم الناس إلى ثلاثة أقسام: (منعم عليهم)؛ وهم أهل الصراط المستقيم الذين عرفوا الحق واتبعوه، و(مغضوب عليهم)؛ وهم الذين عرفوا الحق ورفضوه، و(ضالُّون) وهم الذين أخطأوه وجهلوه، فكل من كان أعرف بالحق وأتبع له؛ كان أولى بالصراط المستقيم، ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ أولى بهذه الصفة من الروافض، فإنه من المحال أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ جهلوا الحق وعرفه الروافض، أو رفضوه وتمسك به الروافض، ثم إنا رأينا آثار الفريقين تدلُّ على أهل الحق منهما، فرأينا أصحاب رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الكفر وأقاموها بلاد إسلام، وفتحوا القلوب بالقرآن والعلم والهدى، فآثارهم تدل على أنهم هم أهل الصراط المستقيم، ورأينا الرافضة بالعكس في كل زمان، فإنه قط ما قام للمسلمين عدوٌّ من غيرهم إلا كانوا أعوانهم على الإسلام، وكم جرُّوا على الإسلام وأهله من بليَّة، وهل عاثت سيوف المشركين عباد الأصنام من عسكر هولاكو وذويه إلا من تحت رؤوسهم، وهل عُطِّلت المساجد وحُرِّقت المصاحف وقُتِلت سروات المسلمين وعلماؤهم وعُبَّادهم وخليفتهم؛ إلا بسببهم ومن جرَّائهم، ومظاهرتهم للمشركين والنصارى معلومة عند الخاصة والعامة، وآثارهم في الدين معلومة، فقد تبين أن الصراط المستقيم طريق أصحابه وأتباعه، وطريق أهل الغضب والضلال طريق الرافضة، وبهذه الطريقة بعينها يُرَدُّ على الخوارج، فإن معاداتهم للصحابة معروفة. انتهى بتصرف يسير[(١)].

---

(١) (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة).

◈ **الرد التاسع: وهو أن الفاتحة تتضمن الرد على من ينكر أفعال الله وأنها متجددة به ﷻ.**

قال الإمام ابن قيم الجوزية: في الرد عليهم؛ فأول سورة من القرآن تدل عليها من وجوه كثيرة، وهي سورة أمِّ الكتاب، فإن قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يدل عليها، فإنه سبحانه يحمد على أفعاله كما يحمد نفسه عليها في كتابه، وحمده عليها رسوله وملائكته والمؤمنون من عباده، فمن لا فعل له البتة؛ كيف يحمد على ذلك؟ فالأفعال هي المقتضية للحمد، ولهذا نجده مقرونًا بها كقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

الثاني: قوله ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وربوبيته للعالم تتضمن تصرفه فيه وتدبيره له، ونفاذ أمره كل وقت فيه، وكونه معه كل ساعة في شأن، يخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويصرف الأمور بمشيئته وإرادته، وإنكار ذلك لربوبيته وإلهيته وملكه.

الثالث: قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: هو الذي يرحم بقدرته ومشيئته ولم يكن راحمًا له قبل ذلك.

الرابع: قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، والملك هو المتصرف فيما هو ملك عليه ومالك له، ومن لا تصرف له ولا يقوم به فعل البتة؛ لا يُعقَل له ثبوت ملك ولا مالك.

الخامس: قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، فهذا سؤال الفعل يفعله بهم لم يكن موجودًا قبل ذلك، وهو الهداية التي هي فعله، فيترتب عليها

الاهتداء الذي هو مطاع، وهو فعلهم.

السادس: قوله ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، ونِعَمه عليهم وفعله القائم به وهو الإنعام، فلو لم يقم به فعل الإنعام؛ لم يكن للنعمة وجود البتة.

السابع: قوله ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ وهم الذين غضب الله عليهم بعدما أوجدهم وقام بهم سبب الغضب؛ إذ الغضب على المعدوم؛ محال[١].

◈ الرد العاشر: تضمن الفاتحة للرد على من زعم أن الأرواح قديمة غير مخلوقة.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: أول سورة في القرآن وهي الفاتحة؛ تدل على أن الأرواح مخلوقة من عدة أوجه:

أحدهما: قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ والأرواح من جملة العالم، فهو ربها.

الثاني: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، فالأرواح عابدة له مستعينة به، ولو كانت غير مخلوقة؛ لكانت معبودة مستعانًا بها.

الثالث: أنها فقيرة إلى هداية فاطرها وربها، تسأله أن يهديها صراطه المستقيم.

الرابع: أنها منعم عليها مرحومة، ومغضوب عليها وضالة شقية، وهذا شأن المربوب المملوك، لا شأن القديم غير المخلوق[٢].

◈ الرد الحادي عشر: الفاتحة فيها الرد على الجبرية، والقدرية، والمعتزلة، والدهرية.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: الفاتحة فيها الرد على الجبرية، وذلك من

---

(١) (كتاب الروح).

(٢) (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

وجوه:

أحدها: من إثبات عموم حمده سبحانه؛ فإنه يقتضي أن لا يعاقب عبيده على ما لا قدرة لهم عليه ولا هو من فعلهم، فحمده يأبى ذلك أشد الإباء، وينفيه أعظم النفي، بل إنما يعاقبهم على نفس أفعالهم التي فعلوها حقيقة.

الثاني: إثبات رحمته ورحمانيته ينفي ذلك، إذ لا يمكن اجتماع هذين الأمرين قط؛ أن يكون رحمانًا رحيمًا؛ ويعاقب العبد على ما لا قدرة له عليه ولا هو من فعله ثم يعاقبه عليه، وهل هذا إلا ضد الرحمة ونقض لها وإبطال.

الثالث: إثبات العبادة والاستعانة لهم، ونسبتها إليهم، بقولهم: (نعبد ونستعين)، وهي نسبة حقيقية لا مجازية، والله لا يصح وصفه بالعبادة والاستعانة التي هي من أفعال عبيده. انتهى بتصرف يسير[(١)].

وقال أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ في مجموع الكلمتين تحقيق مذهب أهل السنة والجماعة، وهو إثبات الفعل من العبد والتوفيق من الله تعالى، وفيه رد على الجبرية والمعتزلة، فالجبرية ينفون الفعل من العبد، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ يرد عليهم ذلك، والمعتزلة لا يرون التوفيق من الله، وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ يرد ذلك عليهم[(٢)].

وقال أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف: وفي قوله تعالى: ﴿نَعۡبُدُ﴾، قالوا: رد على الجبرية، وفي ﴿نَسۡتَعِينُ﴾: رد على القدرية، وقالوا في قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾ رد على الدهرية والمعطلة والمنكرين لوجود الصانع؛ فإنه

(١) كتاب (التيسير في التفسير).

(٢) (تفسير البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي.

خطاب لموجود حاضر[١].

وقال الإمام محمد بن جرير الطبري: وفي أمر الله جل ثناؤه عباده أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ بمعنى مسألتهم إياه المعونة على العبادة؛ أدلُّ الدليل على فساد قول القائلين بالتفويض في أهل القدر، الذين أحالوا أن يأمر الله أحد من عباده بأمر أو يكلفه فرض عمل إلا بعد إعطائه المعونة والقدرة على فعله وعلى تركه، ولو كان الذي قالوا من ذلك كما قالوا؛ لبطلت الرغبة إلى الله في المعونة على طاعته، إذ كان على قولهم مع وجود الأمر والنهي والتكليف؛ حقًّا واجبًا على الله للعبد إعطاؤه المعونة عليه، سأله ذلك عبده أو ترك مسألته ذلك، بل ترك إعطائه ذلك عندهم منه جور، ولو كان الأمر في ذلك على ما قالوا؛ لكان القائل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ إنما يسأل ربه أن لا يجور[٢].

وقال الإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، بعد قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾: وفي هذه الآية رد على القدرية والمعتزلة والإمامية، لأنهم يعتقدون أن إرادة الإنسان كافية في صدور أفعاله منه، طاعة كانت أو معصية، لأن الإنسان عندهم خالق الهداية إلى الصراط المستقيم، فلو كان الأمر إليهم والاختيار بيدهم دون ربهم؛ لما سألوه الهداية، ولا كرروا السؤال في كل صلاة، وكذلك تضرعهم إليه في دفع المكروه، وهو ما يناقض الهداية، حيث قالوا: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ﴾... الآية، فكما سألوه أن يهديهم؛ سألوه ألا يضلهم، وكذلك يدعونه فيقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾[٣].

---

(١) تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).
(٢) تفسير القرطبي: (الجامع لأحكام القرآن).
(٣) (الإكليل في استنباط التنزيل) للسيوطي.

وقال الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: قال أبو طالب الثعلبي في تفسيره: وقد جمع في هذه الآية إبطال الجبر والقدرة معًا، لأنه وصف عباده بأنهم يعبدون؛ فأثبت لهم كسبًا وعلمهم الاستعانة، ولو كان العبد مستطيعًا الفعل قبل الإعانة؛ لما احتاج إلى الاستعانة، فنفى عنهم القدرة، فهو كقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، نفى الخلق وأثبت الكسب، قال: وسائر آيات السورة على مناقضة قواعد المعتزلة، لأنه بدأ بالتسمية، وإن جعل الاسم زائدًا فمعناه: بالله كانت الكائنات أولًا؛ فكذلك الآن، لأن العبد إذا كان خالقًا لكسبه مستطيعًا له؛ لم يكن للاستعانة بالاسم معنى، ثم علمهم حمده، وقد قبح سيرة من أحب أن يحمد بما لم يفعل، فدل على أنه الفعال لكل شيء، ثم أمرهم بالاستعانة وسؤال الهداية، وعلى زعمهم؛ لا حاجة إليها ولا إلى سؤال الهدى، لأنه قد هداهم بالدعوة وبيان الأدلة، وليس الهدى على زعمهم خلق المعرفة، ففاتحة الكتاب شاهدة عليهم[1].

◈ **الرد الثاني عشر: في الفاتحة إبطال للبدع المخالفة للكتاب والسنة.**

قال الدكتور ناصر بن سليمان العمر بعد ذكره قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: في الآية تنبيه على بطلان البدع ووجوب متابعة النبي ﷺ، لأن الله تعالى لا يقبل العمل إلا إذا كان وفق الصراط المستقيم الذي دعا إليه ﷺ[2].

إلى هنا هذا ما تيسر إيراده ومنَّ الله علينا بإعداده من لطائف ونِكَات الفاتحة، مع علمي اليقيني من خلال تجربتي في هذا الجمع؛ أن في الفاتحة

(١) (تدبر سورة الفاتحة) للدكتور ناصر العمر.

(٢) أخرجه مسلم، (٨١٠).

الكثير مما يُستَنبط غير ما قيل واستُخرِج منها، وذلك إما من خلال الاطلاع على مطالع ومحاور جديدة فيها لم يُطَّلع عليها، أو من خلال ما استنبطه العلماء؛ لكن قد يُصاغ بصياغات جديدة ويُعرَض بعروض أدقّ وأبلغ مما عُرِضَ، فربَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقه منه كما جاء في الحديث النبوي.

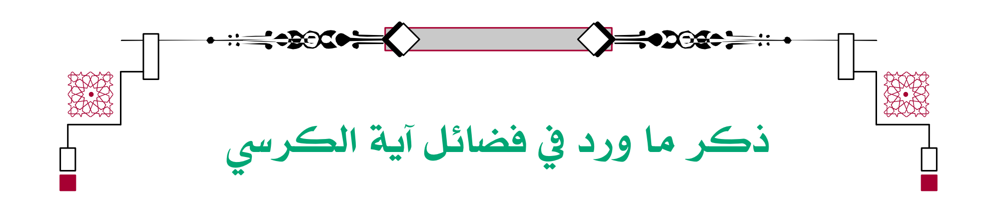
وأخيرًا: أسأل الله أن يتم علينا وعلى المسلمين في الدنيا والآخرة النِّعَمَ ما ظهر منها وما بطن، والحمد لله رب العالمين.



آية الكرسي

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾





ذكر ما ورد في فضائل آية الكرسي

عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**»[1].

لِيَهْنكَ العلم: أي ليكن العلم هنيئًا لك.

قال محمد علي بن علان البكري الصديقي الشافعي: من هَنَانِي الطعام يهنيني ويهناني وهنأت به؛ أي: جاءني من غير مشقة ولا تعب، والقصد: الدعاء له بتيسير العلم ورسوخه فيه[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ**»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ،

---

(١) (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣١١).

فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لاَ أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**مَا هِيَ**»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**»[(١)].

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ**»[(٢)].

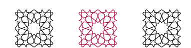
---

(١) أخرجه الإمام ابن السني في (عمل اليوم والليلة) رقم (١٢٤)، والطبراني في (المعجم الكبير)، (٧٥٣٢) وغيرهم، والحديث حسنه الشيخ الألباني رحمه الله في (السلسلة الصحيحة)، (٩٧٢) وحسنه شيخنا الشيخ مصطفى بن العدوي حفظه الله في كتاب (الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة)، (ص١٠٠).

(٢) (التيسير بشرح الجامع الصغير).

قال عبد الرؤوف المناوي: (دبر كل صلاة)، أي: عقب، (إلا الموت)، يعني لم يبق من شرائط دخول الجنة إلا الموت[١].

وقال محمد بن إسماعيل الحسن الصنعاني: (إلا الموت) هو حذف مضاف: أي لا يمنعه إلا عدم موته[٢].



(١) كتاب (سبل السلام).
(٢) أخرجه مسلم (٨١٠).



لطائف ونِكات مجملة في آية الكرسي

١- لم آية الكرسي أعظم آية في القرآن.

أ- لتضمنها ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته؛ أعظم قدرًا من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ أنه قال لأبي بن كعب: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**»[(١)(٢)].

وقال الزمخشري: فإن قلت: لِمَ فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد؟ قلت: لِمَا فُضِّلت له سورة الإخلاص من اشتمالها على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى، ولا مذكور أعظم من رب العزة؛ فما كان ذكرًا له كان أفضل من سائر الأذكار[(٣)].

---

(١) (درء تعارض العقل والنقل).

(٢) تفسير الزمخشري: (الكشاف).

(٣) تفسير الخازن: (لباب التأويل في معاني التنزيل).

وقال علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن: قال العلماء: إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم آية في القرآن؛ لِمَا جمعت من أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية، والحياة والعلم والقيومية، والقدرة والإرادة، فهذه أصول الأسماء والصفات[١].

وقال أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: في كون آية الكرسي سيدة آي القرآن... وآية الكرسي تشتمل على ذكر الذات والصفات والأفعال فقط ليس فيها غيرها، فقوله: (الله) إشارة إلى الذات، وقوله: (لا إله إلا هو) إشارة إلى توحيد الذات، وقوله: (الحي القيوم) إشارة إلى صفة الذات وجلاله، فإن معنى القيوم؛ هو الذي يقوم بنفسه ويقوم به غيرُه[٢]، فلا يتعلق قوامه بشيء، ويتعلق به قوام كل شيء، وذلك غاية الجلال والعظمة، وقوله: (لا تأخذه سنة ولا نوم) تنزيه وتقديس له عما يستحيل عليه من أوصاف الحوادث، وقوله: (له ما في السماوات وما في الأرض) إشارة إلى كلها وأن جميعها منه مصدرها وإليه مرجعها، وقوله: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) إشارة إلى انفراده بالملك والحكم والأمر، وأن من يملك الشفاعة فإنما يملك بتشريفه إياه والإذن فيه، وهذا نفي للشركة عنه في الملك والأمر، وقوله: (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) إشارة إلى صفة العلم وتفضيل بعض المعلومات والانفراد بالعلم؛ حتى لا علم لغيره من ذاته، وإن كان لغيره علم؛ فهو من عطائه وهبته وعلى قدر إرادته ومشيئته، وقوله: (وسع كرسيه السماوات والأرض) إشارة إلى عظمة ملكه وكمال قدرته، وقوله: (ولا يؤوده حفظهما)

---

(١) أي: غيره سبحانه، فالله هو الذي يقيمه بفضله وعونه، فالهاء في (به) تعود على الله سبحانه.

إشارة إلى صفات القدرة وكمالها، وتنزيهها عن الضعف والنقصان، والآن إذا تأملت جملة هذه المعاني ثم تلوت جميع آيات القرآن؛ لم تجد جملة هذه المعاني من التوحيد والتقديس وشرح الصفات العلى مجموعةً في آية واحدة منها، فلذلك قال النبي ﷺ سيدة آي القرآن[(١)].

وقال صديق حسن خان: وإنما كانت آية الكرسي أفضل؛ لأنها جمعت من أحكام الألوهية وصفات الإله الثبوتية والسلبية؛ ما لم تجمعه آية أخرى[(٢)].

قال الإمام البقاعي: إن هذه الآية سيدة آي القرآن؛ وذلك لما اشتملت عليه من أسماء الذات والصفات والأفعال ونفي النقص وإثبات الكمال، ووفت به أدلة التوحيد على أتم وجه في أحكم نظام وأبدع أسلوب[(٣)].

قال محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش: فقد اشتملت آية الكرسي على ما لم تشتمل عليه آية من آيات الله سبحانه، وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعًا فيها اسم الله تعالى ظاهرًا في بعضها ومستكِنًّا في بعضها الآخر، وذلك على الترتيب التالي:

١- الله ٢- هو - ٣ - الحي ٤- القيوم - ضمير: لا تأخذه - ٦ - ضمير: له - ٧- ضمير: عنده - ٨- ضمير: بإذنه - ٩- ضمير: يعلم ١٠- ضمير: علمه ١١- ضمير: شاء ١٢- ضمير: كرسيه ١٣- ضمير: يؤوده ١٤- وهو ١٥- العلي ١٦- العظيم ١٧- الضمير المستكن الذي اشتمل عليه المصدر وهو (حفظهما)، فإنه مصدر مضاف إلى المفعول؛ وهو الضمير البارز ولا

(١) (جواهر القرآن) للغزالي.
(٢) (فتح البيان في مقاصد القرآن).
(٣) (نظم الدرر البقاعي).

بد له من فاعل وهو الله، ويظهر ذلك عند فك المصدر، فيقول: ولا يؤوده أن يحفظها هو[١].

ب- لما كان العلم بالله أفضل العلوم؛ كانت آية الكرسي أفضل آية، لأن فيها العلم بصفة الله سبحانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فالعلوم بعضها أفضل من بعض، فالعلم بالله أفضل من العلم بخلقه، ولهذا كانت آية الكرسي أفضل آية في القرآن؛ لأنها صفة الله تعالى[٢].

وقال الإمام السخاوي: فضلت آية الكرسي على غيرها؛ لأنها مقصورة على أوصاف الإله سبحانه[٣].

ج - لتضمنها اسم الحي والقيوم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فالحي نفسه مستلزم لجميع الصفات وهو أصلها، ولهذا كان أعظم آية في القرآن ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾ وهو الاسم الأعظم، لأنه ما من حيٍّ إلا وهو شاعر مريد؛ فاستلزم جميع الصفات، فلو اكتفي في الصفات بالتلازم؛ لاكتُفِي بالحي[٤].

وقال أيضًا: ﴿ٱلْقَيُّومُۚ﴾ واقترانه بالحي يستلزم سائر صفات الكمال، فجميع صفات الكمال يدل عليها اسم ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾، ويدل أيضًا على بقائها ودوامها وانتفاء النقص والعدم عنها أزلًا، ولهذا كان قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

(١) (إعراب القرآن وبيانه).
(٢) (مجموع الفتاوى).
(٣) (تفسير القرآن العظيم) للسخاوي.
(٤) (جامع المسائل).

﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ أعظم آية في كتاب الله ﷻ، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ[(١)].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: آية الكرسي وفاتحة آل عمران، لاشتمالهما على صفة الحياة المتضمنة لجميع الصفات، وصفة القيومية المتضمنة لجميع الأفعال، ولهذا كانت سيدة آي القرآن وأفضلها[(٢)].

د - لأنها كلها توحيد.

قال الإمام محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي: وإنما كانت آية الكرسي أعظم آية؛ لأنها توحيد كلها[(٣)].

٢- ما الحكمة من مجيء صفات السلب المتضمنة للثبوت؛ بعد الصفات الثبوتية في عدد من جمل الآية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن الله موصوف بصفات الكمال الثبوتية كالحياة والعلم والقدرة، فيلزم من ثبوتها سلب صفات النقص، وهو سبحانه لا يمدح بالصفات السلبية إلا لتضمنها المعاني الثبوتية، فإن العدم المحض والسلب الصرف لا مدح فيه ولا كمال، إذ كان المعدوم يوصف بالعدم المحض، والعدم نفي محض لا كمال فيه، إنما الكمال في الوجود.

ولهذا جاء كتاب الله تعالى على هذا الوجه، فيصف سبحانه نفسه بالصفات الثبوتية صفات الكمال؛ وبصفات السلب المتضمنة للثبوت، كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ

---

(١) (جامع المسائل).

(٢) (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة).

(٣) (المسالك في شرح موطأ مالك).

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾، فنَفيُ أخذ السنة والنوم؛ يتضمن كمال حياته وقيومتيه، إذ النوم أخو الموت، ولهذا كان أهل الجنة لا ينامون مع كمال الراحة كما لا يموتون، و(القيوم): القائم المقيم لما سواه، فلو جُعِلت له سنة أو نوم؛ لنقصت حياته وقيوميته فلم يكن قائمًا ولا قيُّومًا.

ثم قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ فإنكاره ونفيه أن يشفع أحد عنده إلا بإذنه؛ يتضمن كمال ملكه لما في السماوات وما في الأرض، وأنه ليس له شريك، فإن من شفع عنده غيره بغير إذنه وقبل شفاعته؛ كان مشاركًا له، إذ صارت شفاعته سببًا لتحريك المشفوع إليه، بخلاف من لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه؛ فإنه منفرد بالملك، ليس له شريك بوجه من الوجوه.

ثم قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ فنفى أن يعلم أحد شيئًا من علمه إلا بمشيئته ليس إلا أنه منفرد بالتعلم فهو العالم بالمعلومات، ولا يعلم أحد شيئًا إلا بتعليمه، كما قالت الملائكة: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ أي: لا يكرثه ولا يثقل عليه، فبَيَّن ذلك كمال قدرته وأنه لا يلحقه أدنى مشقة ولا أيسر كلفة في حفظ المخلوقات، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾، بَيَّن بذلك كمال قدرته وأنه لا يلحقه اللغوب في الأعمال العظيمة؛ مثل خلقه السماوات والأرض كما يلحق المخلوقَ اللغوبُ إذا عمل عملًا عظيمًا، واللغوب الانقطاع والإعياء، والمقصود هنا أنه موصوف بصفات الكمال التي يستحقها بذاته

(١) (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح).

ويمتنع اتصافه بنقائضها، وإذا وصف بالسلوب؛ فالمقصود هو إثبات الكمال[١].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: رب العالمين، قيوم السماوات والأرضين، إله الأولين والآخرين، ولا يزال موصوفًا بصفات الجلال، منعوتًا بنعوت الكمال، منزهًا عن أضدادها من النقائض والتشبيه والمثال، فهو الحي القيوم الذي لكمال حياته وقيومته لا تأخذه سنة ولا نوم، مالك السماوات والأرض الذي لكمال ملكه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، العالم بكل شيء الذي لكمال علمه يعلم ما بين أيدي الخلائق وما خلفهم، فلا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه[٢].

وقال أيضًا: والعدم المحض لا يمدح به أحد ولا يثنى به عليه، ولا يكون كمالًا له، بل هو أنقص النقص، وإنما يكون كمالًا إذا تضمن الإثبات، كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ لكمال حياته وقيوميته، وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ لكمال غناه وملكه وربوبيته. انتهى[٣].

قلت: قال بعضهم: من أسلوب نظم آية الكرسي؛ أنها قامت في جملها على النفي والإثبات من أولها إلى آخرها.

٣- مناسبة وارتباط آية الكرسي بما قبلها وما بعدها من آيات.

قال محمد بن يوسف بن علي بن يوسف المعروف بأبي حيان: ومناسبة الآية لما قبلها؛ أنه تعالى لما ذكر أنه فضل بعض الأنبياء على بعض، وأن منهم من كلمه وفُسِّر بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه رفع بعضهم درجات وفُسِّر بمحمد ﷺ، ونص على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتفضيل المتبوع يفهم منه تفضيل التابع، وكانت

(١) (طريق الهجرتين وباب السعادتين).

(٢) (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة).

اليهود والنصارى قد أحدثوا بعد نبيهم بدعًا في أديانهم وعقائدهم ونسبوا الله تعالى إلى ما لا يجوز عليه، وكان رسول الله ﷺ بعث إلى الناس كافة، فكان منهم العرب وكانوا قد اتخذوا من دون الله آلهة وأشركوا، فصار جميع الناس المبعوث إليهم ﷺ على غير استقامة في شرائعهم وعقائدهم، وذكر تعالى أن الكافرين هم الظالمون وهم الواضعون الشيء غير مواضعه؛ أتى بهذه الآية العظيمة الدالة على إفراد الله بالوحدانية، والمتضمنة صفاته العُلَا من الحياة والاستبداد بالملك، واستحالة كونه محلًا للحوادث، وملكه لما في السماوات والأرض، وامتناع الشفاعة عنده إلا بإذنه، وسعة علمه، وعدم إحاطة أحد بشيء من علمه إلا بإرادته، وباهِرِ ما خلق من الكرسي العظيمِ الاتساع، ووصفه بالمبالغة في العلوِّ والعظمة، إلى سائر ما تضمنه من أسمائه الحسنى وصفاته العلا؛ نبههم بها على العقيدة الصحيحة التي هي محض التوحيد، وعلى طرح ما سواها[١].

وقال سيد قطب، آخر آية الكرسي: وعندما يصل السياق بهذه الآية إلى إيضاح قواعد التصور الإيماني في أدق جوانبها، وبيان صفة الله وعلاقة الخلق به هذا البيان المنير؛ ينتقل إلى إيضاح طريق المؤمنين وهم يحملون هذا التصور ويقومون بهذه الدعوة، وينهضون بواجب القيادة للبشرية الضالة الضائعة ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾. انتهى[٢].

قلت: مجيء آية الكرسي وهي تتكلم عن الله وصفاته والتعريف به قبل دعوة الناس وإدخالهم في نور الإسلام؛ كأنها تشير إلى الداعي إلى الله أن عليه أولًا أن يتعرف على الله سبحانه، ثم يُعرِّف الخلق على هذا الرب

---

(١) (البحر المحيط في التفسير) لأبي حيان.

(٢) تفسير: (في ظلال القرآن).

العظيم، وهو أول ركن يبدأ به من أركان دعوة الإسلام، وهي شهادة أن لا إله إلا الله.

قال سعيد حوَّى في مناسبة آية الكرسي لما قبلها وما بعدها: من كان هذا شأنه؛ ألا ينفق الإنسان في سبيله؟! ومن كان هذا شأنه؛ كيف لا يدخل الإنسان في دينه؟! إذا فهمنا هذه العبارة؛ أدركنا حكمة مجيء هذه الآية بين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾... وبين قوله تعالى بعدها: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾...، وإذا أدركنا مجيئها في سياق الدخول في الإسلام كله؛ فالذين لا يعرفون الله هم الذين يظنون أنه لا دخل لله في شئون عباده، أو أن تشريعه ليس هو الأكمل؛ كيف وهو القيُّوم المحيط علمًا؟! انتهى[١].

٤- لِمَ جاء ترتيب الجمل في آية الكرسي من غير عطف.

قال أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشري: فإن قلت: كيف ترتَّبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف؟ قلت: ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه، والبيان متَّحد بالمبيَّن، فلو توسط بينهما عاطف؛ لكان كما تقول العرب: بين العصا ولحائها[٢].

وقال محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش: وفيها ما يسمى بالفصل في علم المعاني، وهو: حذف العاطف للدلالة على أن كل صفة من صفات هذا الملك العظيم مستقلة بنفسها، وذلك على النحو التالي:

الجملة الأولى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾

---

(١) (الأساس في التفسير) لسعيد حوَّى.

(٢) تفسير الزمخشري: (الكشاف).

وقد بين فيها قيامه سبحانه بتدبير الخلق.

والجملة الثانية: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ وقد بين أنه مالك لما يدبره؛ غير منازَع في ملكه... إلخ[(١)].

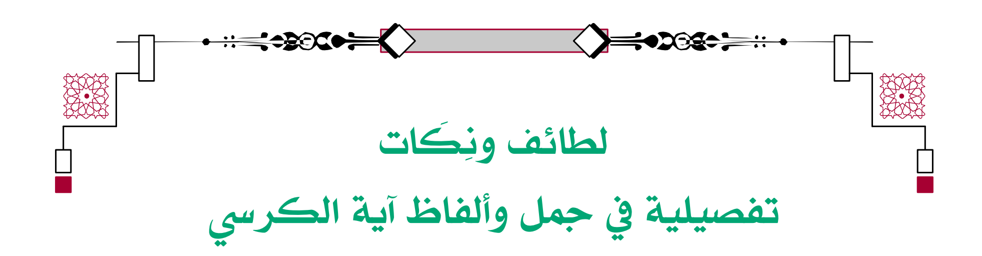
وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي: جاءت جمل آية الكرسي بدون حرف العطف؛ لأنها جاءت لتبين شيئًا واحدًا، والعطف دائمًا يقتضي المغايرة، نقول: بسم الله الرحمن الرحيم، أي: الله هو الرحمن وهو الرحيم؛ يدل على أنها صفات واردة في إطار لا إله إلا هو[(٢)].



(١) (إعراب القرآن وبيانه).

(٢) درس للشيخ الشعراوي، على قناة المحور.





لطائف ونِكَات
تفصيلية في جمل وألفاظ آية الكرسي

◈ اللطيفة الأولى: لم عرف الله سبحانه عن نفسه بالحي القيوم في أول الآية من بين الأسماء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فالقيوم الذي لم يزل ولا يزال؛ لا يكون إلا موجودًا بنفسه، والموجود بنفسه لا يكون إلا قديمًا واجب الوجود، فإن وجوده لو لم يكن واجبًا؛ لكان ممكنًا يمكن وجوده ويمكن عدمه، وما أمكن وجوده وعدمه؛ لم يكن إلا محدثًا كائنًا بعد أن لم يكن، فليس هو القيوم الذي لا يزول، بل لم يزل ولا يزال.

فقد تبين أن الوجود الواجب القديم وما يستلزم ذلك من صفات الكمال ودوام ذلك وبقائه؛ كلُّ ذلك يدخل في اسمه ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾، واقترانه بالحي يستلزم سائر صفات الكمال، فجميع صفات الكمال يدل عليها اسم ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ ويدُلُّ أيضًا على بقائها ودوامها وانتفاء النقص والعدم عنها أزلًا، ولهذا كان قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ أعظم آية في كتاب الله ﷿، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ، والله ﷻ أعلم[1].

وقال أيضًا: فالحي نفسه مستلزم لجميع الصفات وهو أصلها، ولهذا كان أعظم آية في القرآن ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وهو الاسم الأعظم،

---

(١) (جامع المسائل).

لأنه ما من حي إلا وهو شاعر مريد، فاستلزم جميع الصفات، فلو اكتُفِي في الصفات بالتلازم؛ لاكتُفِي بالحي[١].

وقال أيضًا: واسمه الحي القيوم يجمع أصل معاني الأسماء والصفات[٢].

وقال أيضًا: كما أن الحركة مستلزمة للإرادة والحياة، فالحياة أيضًا مستلزمة للحركة والإرادة، ولهذا كان أعظم آية في القرآن: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ فالاسم الحي مستلزم لصفاته وأفعاله[٣].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: اسمان عليهما مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما مرجع معانيها جميعها، وهو اسم: (الحي القيوم) فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال... فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها؛ استلزم إثباتها كل كمال يضاد نفي كمال الحياة... وأما القيوم؛ فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه... وهو المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته؛ فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة[٤].

وقال أيضًا: في تأثير قوله: (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث) في دفع هذا الداء[٥]؛ مناسبة بديعة، فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال،

---

(١) (جامع المسائل).
(٢) (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة).
(٣) (جامع الرسائل).
(٤) (بدائع الفوائد).
(٥) هو داء الهوى، وألم الكرب والهم والغم، كما ذكر ابن القيم في الأسطر السابقة لكلامه هذا.

مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِي به أجاب وإذا سئل به أعطى؛ هو اسم: (الحي القيوم)، والحياة التامة تضاد جميع الأسقام والآلام، ولهذا لما كَمُلت حياة أهل الجنة؛ لم يلحقهم همٌّ ولا غمّ، ولا حزن ولا شيء من الآفات، ونقصان الحياة؛ تضرُّ بالأفعال، وتنافي القيوميَّة، فكمال القيومية؛ لكمال الحياة، فالحي المطلق التام الحياة؛ لا تفوته صفة الكمال البتة، والقيوم لا يتعذر عليه فعل ممكن البتة، فالتوسل بصفة الحياة القيومية؛ له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة ويضر بالأفعال[١].

وقال الشيخ السعدي: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة، وتضمُّن، ولزوم، فالحي من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات؛ كالسمع والبصر والعلم والقدرة ونحو ذلك، والقيوم هو الذي قام بنفسه وقام بغيره؛ وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين في فعله ما يشاء من الاستواء، والنزول، والكلام، والقول، والخلق، والرزق، والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية الباري، ولهذا قال بعض المحققين إنهما الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب وإذا سئل به أعطى[٢].

◈ اللطيفة الثانية: لم جاء اسم ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ و﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ معرفًا باللام.

قال الدكتور فاضل السامرائي: (الحي) معرفة و(القيوم) معرفة، والحي هو الكامل الاتصاف بالحياة، ولم يقل (حي) لأنه يفيد أنه من جملة الأحياء، فالتعريف بـ(ال) هي دلالة على الكمال والقصر لأن ما سواه يصيبه الموت،

(١) (زاد المعاد في هدي خير العباد).

(٢) (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان).

والتعريف قد يأتي بالكمال والقصر، فالله له الكمال في الحياة وقصرًا كل من عداه يجوز عليه الموت... (القيوم) جاء بصيغة التعريف؛ لأنه لا قيوم سواه على السماوات والأرض حصرًا[١].

◈ اللطيفة الثالثة: لم جاءت الآية ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ بعد ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، وكرر فيها حرف النفي (لا).

قال الإمام ابن قيم الجوزية: والعدم المحض لا يمدح به أحد ولا يثنى به عليه، ولا يكون كمالًا له، بل هو أنقص النقص، وإنما يكون كمالًا إذا تضمن الإثبات، كقوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾، لكمال حياته وقيوميته. انتهى[٢].

قلت: أي أن الله لا يُمدَح بالنفي المحض، أي لا يُقَال: لا ينام ولا يأكل إلخ... دون أن يتضمن هذا النفي إثبات صفة الكمال لله ﷻ، فجاءت آية: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ بالنفي بعد إثبات الحياة والقيومية باسمي ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، وذلك ليثبت بهذا النفي كمال حياته وقيوميته، وقد بسط الكلام عن المدح بالإثبات والنفي فيما سبق في اللطيفة الثانية المجملة، فهو يغني عن التوسع فيه هنا؛ فليراجع هناك.

وقال الإمام محمد الشوكاني: قال الرازي في تفسيره: إن السِّنة ما تتقدم النوم، فإذا كانت عبارة عن مقدمة النوم، فإذا قيل: لا تأخذه سِنَة؛ دلَّ على أنه لا يأخذه نوم بطريق الأولى، فكان ذكر النوم تكرار، قلنا: تقدير الآية: لا تأخذه سِنَة فضلًا عن أن يأخذه نوم، والله أعلم بمراده. انتهى.

وأقول (الشوكاني): إن هذه الأولوية التي ذكرها غير مُسلَّمة، فإن النوم

---

(١) لمسات بيانية، كتاب على الشاملة.

(٢) (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة).

قد يرد ابتداء من دون ما ذكر من النعاس، وإذا ورد على القلب والعين دفعة واحدة، فإنه يقال له: نوم، ولا يقال له: سِنَة، فلا يستلزم نفي السِّنة؛ نفيَ النوم، وقد ورد عن العرب نفيهما جميعًا، ومنه قول زهير:

ولا سنة طوال الدهر تأخذه ... ولا ينام وما في أمره فند

فلم يكتف بنفي السِّنة، وأيضًا فإن الإنسان يقدر على أن يدفع عن نفسه السِّنة، ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه النوم، فقد يأخذه النوم ولا تأخذه السِّنة، فلو وقع الاقتصار في النظم القرآني على نفي السِّنة؛ لم يفد ذلك نفي النوم، وهكذا لو وقع الاقتصار على نفي النوم؛ لم يفد نفي السِّنة، فكم من ذي سِنَة غير نائم، وكرر حرف النفي؛ للتنصيص على شمول النفي لكل واحد منهما[(١)].

وقال السمين الحلبي: عند قوله ﴿سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾: وكررت ﴿لَا﴾ في قوله: ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ تأكيدًا، وفائدتها: انتفاء كل واحد منهما، ولو لم تُذكَر؛ لاحتمل بقيد الاجتماع، ولا يلزم منه نفي كل واحد منهما على حدته[(٢)].

وقال الدكتور فاضل السامرائي: ولم يقل سبحانه: (لا تأخذه سِنَة ونوم) أو (سِنَة أو نوم)، ففي قوله: ﴿سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ينفيهما سواءً اجتمعا أو افترقا، لكن لو قال سبحانه: (سِنَة ونوم) فإنه ينفي الجمع ولا ينفي الإفراد، فقد تأخذه سِنَة دون النوم، أو يأخذه النوم دون السِّنَة[(٣)].

---

(١) (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير).

(٢) (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون).

(٣) لمسات بيانية، كتاب على الشاملة.

◈ **اللطيفة الرابعة: الفائدة من قوله سبحانه: (ما)، ولم يقل (من)، ومن دخول حرف الجر على الآية، وارتباط الآية باسم القيوم.**

قال الدكتور فاضل السامرائي: قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾: دلالة (ما): (ما)؛ تفيد ذوات غير العاقل وصفات العقلاء، إذًا لما قال ﴿لَّهُۥ مَا﴾ جمع العقلاء وغيرهم، ولو قال ﴿مَّن﴾ لخص العقلاء، ﴿مَآ﴾ أشمل وعلى سبيل الإحاطة، قال: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أولًا بقصد الإحاطة والشمول، وثانيًا قدم الجار والمجرور على المبتدأ ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إفادة القصر؛ أن ذلك له حصرًا لا شريك له في الملك ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ملكه حصرًا وقصرًا، فنفى الشرك، وجاء ترتيب ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ بعد ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ له دلالة خاصة يدل على أنه قيوم على ملكه الذي لا يشاركه فيه أحد غيره[(١)].

وقال فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي: فإن قيل: لم قال ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ولم يقل: (له من في السماوات)؟ قلنا: لما كان المراد إضافة ما سواه إليه بالمخلوقية، وكان الغالب عليه ما لا يعقل؛ أجرى الغالب مجرى الكل، فعبر عنه بلفظ ﴿مَآ﴾، وأيضًا فهذه الأشياء إنما أسندت إليه من حيث إنها مخلوقة، وهي من حيث إنها مخلوقة غير عاقلة، فعبر عنها بلفظ (ما) للتنبيه على أن المراد من هذه الإضافة إليه؛ الإضافة من هذه الجهة[(٢)].

(١) لمسات بيانية، كتاب على المكتبة الشاملة.

(٢) (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير).

◈ **اللطيفة الخامسة: ما فائدة مجيء الاستفهام إنكاري في آية ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾.**

قال الدكتور فاضل السامرائي: ﴿مَّن ذَا﴾ أخرجه مخرج الاستفهام الإنكاري؛ لأنه أقوى من النفي، وفيها احتمالان كما يذكر أهل النحو، فقد تكون كلمة واحدة بمعنى ﴿مَّن﴾ استفهامية، لكن ﴿مَّن ذَا﴾ أقوى من ﴿مَّن﴾ لزيادة مبناها.

يقال في النحو: «زيادة المبنى زيادة في المعنى»، فقد نقول: من حضر؟ ومن ذا حضر؟... ﴿مَّن ذَا﴾ قد تكون كلمتان: (من) مع اسم الإشارة ذا، (من هذا)، يقال: من ذا الواقف؟ من الواقف؟ ومن هذا الواقف؟ فـ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى﴾ تأتي بالمعنيين (من الذي) و(من هذا الذي)؛ باعتبار (ذا) اسم إشارة، فجمع المعنيين معًا[1].

وقال ابن عرفة: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ﴾: ورد النفي بصيغة الاستفهام وهو أبلغ؛ لاقتضائه موافقة المخاطب عليه[2].

وقال السمين الحلبي: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾: و(مَن) وإن كان لفظها استفهامًا؛ فمعناه النفي، ولذلك دخلت ﴿إِلَّآ﴾ في قوله ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾[3].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾: يراد به إنكار فعل ما يُذكَر بعدها. انتهى[4].

---

(١) لمسات بيانية، كتاب على الشاملة.

(٢) (تفسير ابن عرفة).

(٣) (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون).

(٤) (التبيان في أيمان القرآن).

قلت: اللطيفة التي بعدها؛ تزيد هذه اللطيفة توضيحًا وفائدة.

◈ اللطيفة السادسة: ما سر استعمال الله سبحانه اسم الإشارة (ذا).

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: و﴿ذَا﴾ مزيد للتأكيد، إذ ليس ثَمَّ مشار إليه معيَّن، والعرب تزيد ﴿ذَا﴾ لما تدل عليه الإشارة من وجود شخص معيَّن يتعلق به حكم الاستفهام، حتى إذا أظهر عدم وجوده؛ كان ذلك أدل على أن ليس ثمَّة متطلع ينصب نفسه لادعاء هذا الحكم[(١)].

وقال أيضًا: و﴿ذَا﴾ بعد أسماء الاستفهام قد يكون مستعملاً في معناه كما تقول وقد رأيتَ شخصًا لا تعرفه: (من ذا؟)، فإذا لم يكن في مقام الكلام شيء يصلح لأن يشار إليه بالاستفهام؛ كان استعمال (ذا) بعد اسم الاستفهام للإشارة المجازيَّة بأن يتصور المتكلم في ذهنه شخصًا موهومًا مجهولاً صدر منه فعل، فهو يسأل عن تعيُّنه، وإنما يكون ذلك للاهتمام بالفعل الواقع وتطلُّب معرفة فاعله[(٢)].

وقال الدكتور فاضل السامرائي: ﴿مَّن ذَا﴾ قد تكون كلمتان (مَن) مع اسم الإشارة ذا (من هذا) يقال: من ذا الواقف؟ من الواقف؟ ومن هذا الواقف؟ فـ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى﴾ تأتي بالمعنيين (من الذي) و (من هذا الذي) باعتبار (ذا) اسم إشارة، فجمع المعنيين معًا. انتهى.

قلت: في إخراج الاستفهام مخرج الإنكار بدلًا من النفي وفي استعمال اسم الإشارة (ذا) لغير المعيَّن المعروف من الأشخاص لفتة جميلة دقيقة، وهي: الدلالة على عظمة وكبرياء وعلو شأن المنكِر؛ ومهانة وانحطاط من

---

(١) تفسير: (التحرير والتنوير).

(٢) تفسير: (التحرير والتنوير).



أشير إليه وأُنكِر عليه، أي: فمن هذا المجهول أصلًا وفصلًا الذي يستطيع أن يشفع عند الله ذي الجلال بغير إذنه ﷻ؟!

◈ اللطيفة السابعة: مناسبة وارتباط قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ بقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾...

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾...، وهي أيضًا تعليل لجملة: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، إذ قد يتجه سؤال: لماذا حُرِموا الشفاعة إلا بعد الإذن؟! فقيل: لأنهم لا يعلمون من يستحق الشفاعة، وربما غرتهم الظواهر، والله يعلم من يستحقها، فهو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولأجل هذين المعنيين فُصِلت الجملة عما قبلها[١].

◈ اللطيفة الثامنة: سعة الكرسي دليل على عظمة الخالق.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، ذكر سعة كرسيه؛ منبِّهًا به على سعته سبحانه وعظمته وعلوه[٢].

◈ اللطيفة التاسعة: المناسبة والترابط بين قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾؛ وبين حفظ الله لمن يقرأ الكرسي عند نومه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي لا يكرثه ولا يثقله، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة؛ لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه الشيطان حتى يصبح. انتهى[٣].

---

(١) تفسير: (التحرير والتنوير).

(٢) (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة).

(٣) (مجموع الفتاوى).

قلت: من لا يثقله حفظ السماوات والأرض سبحانه؛ أيثقله حفظ فردٍ قرأ الكرسي عند نومه؟!

◈ **اللطيفة العاشرة: لم جاء العلو باسم (العلي) مطلقًا، ودخلت اللام عليه وعلى اسم العظيم؟**

قال الإمام ابن قيم الجوزية: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتًا وقدرًا وشرفًا كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾. انتهى[(١)].

وقال محمد بن صالح العثيمين: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ مثل هذه الجملة طرفاها معرفتان تفيد الحصر، هو وحده العليّ؛ أي ذو العلو المطلق، وأما العلوُّ المقيَّد؛ فإنه يثبت للآدميين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾، أي على الكفار لا مطلقًا، لكن العلو المطلق لله ﷻ، فهو ﷻ فوق كل شيء[(٢)].

وقال الدكتور فاضل السامرائي: دخول (أل التعريف) لأنه لا عليَّ ولا عظيم على الحقيقة سواه؛ فهو العليّ العظيم حصرًا[(٣)].

◈ **اللطيفة الحادية عشرة: لم اقترن اسم ﴿ٱلْعَلِيُّ﴾ مع ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾.**

قال الإمام ابن قيم الجوزية: وهو سبحانه كثيرًا ما يقرن في وصفه بين هذين الاسمين، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، وقوله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾، يثبت بذلك

---

(١) (إعلام الموقعين).

(٢) (تفسير آية الكرسي) لابن عثيمين.

(٣) لمسات بيانية، كتاب على الشاملة.

علوه على المخلوقات وعظمته، فالعلو رفعته، والعظمة عظمة قدره ذاتًا ووصفًا[(١)].

وقال أيضًا: فقد تعرف سبحانه إلى عباده بكلامه معرفة لا يجحدها إلا من أنكره سبحانه، وإن زعم أنه مقربه. والمقصود أن التعبد باسم (الظاهر) يجمع القلب على المعبود ويجعل له ربًّا يقصده... وأما التعبد باسمه (الباطن) فأمر يضيق نطاق التعبير عن حقيقته. ويكلُّ اللسان عن وصفه... وباب هذه المعرفة والتعبد هو معرفة إحاطة الرب تبارك وتعالى بالعالم وعظمته، وأن العوالم كلها في قبضته، وأن السموات السبع والأرضين السبع في يده كخردلة في يد العبد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾، وقال: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾﴾، ولهذا يقرن سبحانه بين هذين الاسمين الدالين على هذين المعنيين؛ اسم العلو الدال على أنه الظاهر وأنه لا شيء فوقه، واسم العظمة الدال على الإحاطة وأنه لا شيء دونه، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾، وهو تبارك وتعالى كما أنه العالي على خلقه بذاته فليس فوقه شيء، فهوالباطن بذاته فليس دونه شيء، بل ظهر على كل شيء وكان فوقه، وبطن فكان أقرب إلى كل شيء من نفسه، وهو محيط به، حيث لا يحيط الشيء بنفسه وكل شيء في قبضته[(٢)].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: التحذير من الطغيان على الغير، لقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، ولهذا قال الله في سورة النساء: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ

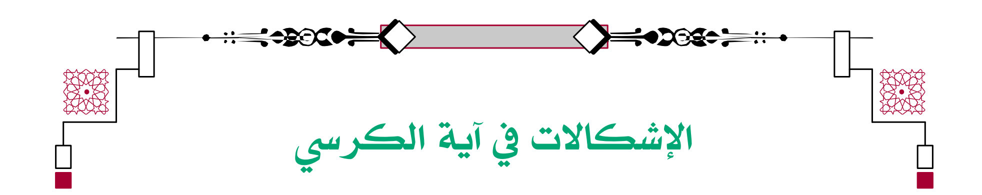
(١) (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة).

(٢) (طريق الهجرتين من باب السعادتين).

فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾، فإذا كنت متعاليًا في نفسك؛ فاذكر علو الله ﷻ، وإذا كنت عظيمًا في نفسك؛ فاذكر عظمة الله[١].

---

(١) (تفسير آية الكرسي) لابن عثيمين.



الإشكالات في آية الكرسي

١- نفي الشفاعة في قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ مع إثباتها في مواطن أخرى.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: في قوله تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾، فإنه سبحانه نفى الشفاعة الشركية التي كانوا يعتقدونها وأمثالهم من المشركين، وهي شفاعة الوسائط لهم عند الله في جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم بذواتها وأنفسها بدون توقف ذلك على إذن الله ومرضاته لمن شاء أن يشفع فيه الشافع، فهذه الشفاعة التي أبطلها الله سبحانه ونفاها، وهي أصل الشرك كله وقاعدته التي عليها بناؤه، وآخيته التي يرجع إليها.

وأثبت سبحانه الشفاعة التي لا تكون إلا بإذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع قوله وعمله، وهي الشفاعة التي تنال بتجريد التوحيد، كما قال ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[1].

والشفاعة الأولى هي الشفاعة التي ظنها المشركون، وجعلوا الشرك وسيلة إليها[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة).



الردود التي تضمنتها آية الكرسي

١- الرد على عباد القبور والذين يطلبون قضاء الحوائج ورفع الكرب من أصحابها.

قال محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري: قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾، وفي هذا الاستفهام من الإنكار على من يزعم أن أحدًا من عباده يقدر على أن ينفع أحدًا منهم بشفاعة أو غيرها، ومن التقريع والتوبيخ له؛ ما لا مزيد عليه، وفيه من الدفع في صدور عباد القبور، والصد في وجوههم، والفتِّ في أعضادهم؛ ما لا يرتاد قدره ولا يبلغ مَدَاه. انتهى[1].

قلت: لا شك أن من يتقربون إلى أصحاب القبور ويطلبون منهم الحوائج ورفع الكرب؛ فالآية غصة في حلوقهم وحربة في صدورهم.

وقال محمد الطاهر بن عاشور: قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾ وإذا ثبت ملكه للعموم؛ ثبت أنه لا يشذ عن ملكه موجود، فحصل معنى الحصر، ولكنه زاد تأكيدًا بتقديم المسند، أي لا لغيره؛ لإفادة الرد على أصناف المشركين... فهذه الجملة أفادت تعلم التوحيد بعمومها، وأفادت إبطال عقائد أهل الشرك بخصوصية القصر، وهذه بلاغة معجزة[2].

---

(١) تفسير: (حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن).

(٢) تفسير: (التحرير والتنوير).

٢- الرد على غلاة القدرية، والمعتزلة، والخوارج، والحلولية والاتحادية.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾، فإثبات عموم العلم يرد عليهم، لأن القدرية الغلاة أنكروا علم الله بأفعال خلقه إلا إذا وقعت.

ومنها: الرد على الخوارج والمعتزلة في إثبات الشفاعة؛ لأن الخوارج والمعتزلة ينكرون الشفاعة في أهل الكبائر، لأن مذهبهما أن فاعل الكبيرة مخلد في النار لا تنفع فيه الشفاعة.

ومنها: الرد على الحلولية، وعلى المعطلة النفاة، فالحلولية قالوا: إنه ليس بعالٍ بل هو في كل مكان، والمعطلة النفاة قالوا: لا يوصف بعلو ولا سفل، ولا يمين ولا شمال، ولا اتصال ولا انفصال. انتهى[(١)].

قلت: والله قال: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ تكذيبًا لمن قال بالحلول، ولمن أنكر علو الرحمن على عرشه فوق خلقه وأنه بائن منهم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وقال الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التيمي البكري الرازي، بعد اسم ﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾: لما كان قيُّومًا؛ كان قيُّومًا بذاته، وكونه قائمًا بذاته يستلزم أنه لما كان قيُّومًا؛ كان قيُّومًا بذاته، وكونه قائمًا بذاته يستلزم أن لا يكون عرضًا في موضوع، ولا صورة في مادة، ولا حالًا في محل أصلًا، لأن الحَالّ مفتقر إلى المَحلّ، والمفتقر إلى الغير لا يكون قيومًا بذاته[(٢)]. انتهى بتصرف يسير.

---

(١) (تفسير الفاتحة والبقرة) لابن عثيمين.

(٢) (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير).

٣- الرد على غلاة الصوفية الذين يعتقدون بأن هناك أقطابًا تتصرف بالكون مع الله سبحانه.

قلت: يكذِّب قولهم هذا قوله ﷻ: ﴿ٱلْقَيُّومُۚ﴾، لأن القيوم هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، فهو الذي يقوم على هذا الكون ولا يحتاج لأحد أن يعنيه أو يتصرف معه في هذا الكون، ولا شك أن هذا المعتقد الفاسد يطعن بقيومية الله سبحانه، وينسب له النقص وأنه غير قادر على أن يقوم بهذا الكون بمن فيه إلا بمساعدة هؤلاء الأولياء الذين يطلق عليهم الأقطاب، تعالى الله سبحانه عن هذا البهتان العظيم.

٤- الرد على من فسر ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ بالعلم والقدرة والملك وتوابعها، وأنكر علوه فوق خلقه على عرشه بذاته.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ يجوز أن يرجع إلى الله، ويجوز أن يرجع إلى ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ﴾، أي: ولا يحيطون بشيء من علم ذلك إلا بما شاء، فعلى الأول يكون المصدر مضافًا إلى الفاعل، وعلى الثاني يكون مضافًا إلى المفعول، والمقصود أنه لو كان ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ إنما يراد به اتصافه بالعلم والقدرة والملك وتوابع ذلك؛ كان تكريرًا بل دون التكرير، فإن ذكر ذلك مفصلًا أبلغ في الدلالة عليه بما لا يفهم إلا بكلفة، وكذلك إذا قيل: إن علوَّه؛ عظمته، مجرد كونه أعظم من مخلوقاته وأفضل منها؛ فهذا هضم عظيم لهاتين الصفتين العظيمتين، وهذا لا يليق ولا يحسن أن يذكر ويخبر به عنه إلا في معرض الرد لمن سوَّى بينه وبين غيره في العبادة والتألُّه، كقوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾، وقول يوسف الصديق: ﴿ءَأَرْبَابٌ

مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾[١].

قلت: قد مرَّ معنا سابقًا تفسير ابن القيم للعلو عند قوله ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾، وأنه قال بالتصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتًا وقدرًا وشرفًا، كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[٢].

٥- رد آية الكرسي في قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ على من حكم بأعراف الناس وقوانينهم.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: إن الحكم الشرعي بين الناس، والفصل بينهم؛ يجب أن يكون مستندًا على حكم الله تعالى، وأن اعتماد الإنسان على حكم المخلوقين والقوانين الوضعية؛ نوع من الإشراك بالله ﷻ، لأن الملك لله ﷻ، كما في قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾[٣].

والحمد لله الذي أتمَّ علينا نعمته، وأسبَلَ علينا غادِقَ منَّته.

وأسأله سبحانه في الدنيا والآخرة أن يَعمُّنا بشَآبِيب[٤] رحمته.

وأن يتقبَّل منَّا ما كان منه علينا، ويدخلنا بفضله دارَ كرامتِه.

والحمد لله الذي علَّم بالقلم، وهو الذي يفتح بالفهم، ويثبِّت في الصدور العلم.

❁ ❁ ❁

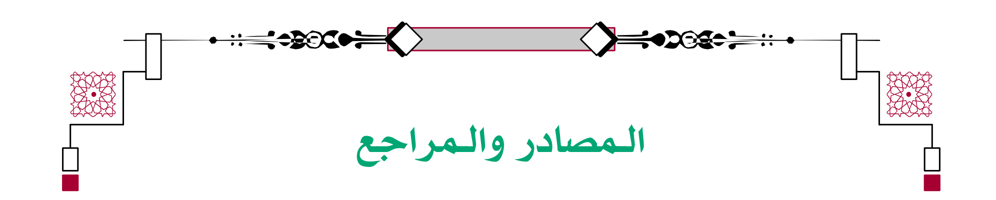
---

(١) (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة).

(٢) (إعلام الموقعين).

(٣) (تفسير الفاتحة والبقرة) لابن عثيمين.

(٤) **الشُّؤْبُوب:** الدفعة من المطر، الجمع: شآبيب، (المعجم الوسيط).



المصادر والمراجع

١- «الإتقان في علوم القرآن» **المؤلف**: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي **(ت ٩١١هـ)**.

٢- «أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي» **المؤلف**: الدكتور محمد المختار محمد المهدي.

٣- «اجتماع الجيوش الإسلامية» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

٤- «أحكام القرآن» **المؤلف**: أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص **(٣٧٠هـ)**.

٥- «أحكام القرآن» **المؤلف**: أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي **(٤٦٨ - ٥٤٣هـ)**.

٦- «أحكام القرآن» للشافعي **المؤلف**: جمعه: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ).

٧- «أحكام القرآن» للطحاوي **المؤلف**: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري الطحاوي **(ت ٣٢١هـ)**.

٨- «إحياء علوم الدين» **المؤلف**: أبو حامد محمد الغزالي الطوسي **(٤٥٠ - ٥٠٥هـ)**.

٩- «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» **المؤلف**: أبو السعود

العمادي محمد بن محمد بن مصطفى **(ت ٩٨٢هـ)**.

١٠- «الأساس في التفسير» **المؤلف**: سعيد حوَّى **(ت ١٤٠٩هـ)**.

١١- «الاستغاثة في الرد على البكري» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

١٢- «الاستقامة» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

١٣- «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» **المؤلف**: بديع الزمان سعيد النورسي **(ت ١٣٧٩هـ)**.

١٤- «الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية» **المؤلف**: نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري **(ت ٧١٦هـ)**.

١٥- «أصول الفقه الإسلامي» **المؤلف**: الدكتور وهبة الزحيلي **(ت ٢٠١٥م)**.

١٦- «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» **المؤلف**: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي **(ت ١٣٩٣هـ)**.

١٧- «الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم» **المؤلف**: علي بن نايف الشحود.

١٨- «إعراب القرآن الكريم» **المؤلف**: عدد من الأساتذة: عبد الله علوان، خالد الخولي، محمد إبراهيم، وغيرهم.

١٩- «إعراب القرآن وبيانه» **المؤلف**: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش **(ت ١٤٠٣هـ)**.

٢٠- «إعراب القرآن» **المؤلف**: ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده الأندلسي **(ت ٤٥٨هـ)**.

٢١- «إعلام الموقعين» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (**٦٩١- ٧٥١هـ**).

٢٢- «إغاثة اللهفان» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (**٦٩١- ٧٥١هـ**).

٢٣- «أقوال الطحاوي في التفسير من أول القرآن حتى نهاية سورة التوبة» **المؤلف**: محمد بن عبد الله الوزرة الدوسري.

٢٤- «الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال»، (حاشية ابن المنيِّر على الكشاف) للزمخشري **المؤلف**: ابن المنيِّر أحمد بن محمد بن منصور الاسكندري.

٢٥- «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» **المؤلف**: أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (**ت ٦٨٥هـ**).

٢٦- «أوضح التفاسير» **المؤلف**: محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن الخطيب (**ت ١٤٠٢هـ**).

٢٧- «أوضح المسالك» **المؤلف**: أبو محمد عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري (**٧٠٨هـ - ٧٦١هـ**).

٢٨- «أول مرة أتدبر القرآن» **المؤلف**: عادل بن محمد خليل.

٢٩- «إيجاز البيان عن معاني القرآن» **المؤلف**: محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم نجم الدين الشهير بـ (بيان الحق) (**ت ٥٥٠هـ**).

٣٠- «أيسر التفاسير» **المؤلف**: أسعد حومد (**ت ٢٠١١م**).

٣١- «إيضاح البيان عن معنى أم القرآن» **المؤلف**: سليمان بن عبد القوي



الطوفي الحنبلي (**ت ٧١٦هـ**).

٣٢- «باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن» **المؤلف**: محمود بن أبي الحسن علي بن الحسين النيسابوري الغزنوي (**ت بعد ٥٥٣هـ**).

٣٣- «البحر الزخار المعروف بمسند البزار» **المؤلف**: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (**ت ٢٩٢هـ**).

٣٤- «بحر العلوم» **المؤلف**: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (**ت ٣٧٣هـ**).

٣٥- «البحر المحيط في التفسير» **المؤلف**: أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (**ت ٧٤٥هـ**).

٣٦- «بدائع الفوائد» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (**٦٩١- ٧٥١هـ**).

٣٧- «البرهان في علوم القرآن» **المؤلف**: علي بن إبراهيم أبو الحسن الحَوفي (**ت ٤٣٠هـ**).

٣٨- «البرهان» للزركشي **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (**ت ٧٩٤ه**).

٣٩- «البستان في إعراب مشكلات القرآن» **المؤلف**: أحمد بن أبي بكر الجبلي المعروف بابن الأحنف اليمني (**ت ٧١٧هـ**).

٤٠- «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» **المؤلف**: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (**ت ٨١٧هـ**).

٤١- «بغية المرتاد» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني (**ت ٧٢٨هـ**).

٤٢- «البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها» **المؤلف**: عبد الرحمن الميداني بن حسن جنكة **(ت ٢٠٠٤م)**.

٤٣- «البنيان في أيمان القرآن» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

٤٤- «بيان الدليل على بطلان التحليل» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

٤٥- «بيان تلبيس الجهمية» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

٤٦- «تاج العروس من جواهر القاموس» **المؤلف**: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي.

٤٧- «تأملات في السور والآيات» **المؤلف**: أحمد بن عبد العزيز الشيخ محمد قشوع.

٤٨- «تأملات قرآنية» **المؤلف**: صالح المغامسي.

٤٩- «التحرير والتنوير» **المؤلف**: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي **(ت ١٣٩٣هـ)**.

٥٠- «تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة» **المؤلف**: القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي **(ت ٦٨٥هـ)**.

٥١- «تحفة المودود» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

٥٢- «تدبر سورة الفاتحة» **المؤلف**: الدكتور ناصر بن سليمان العمر.

٥٣- «التدمرية» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

٥٤- «تذكرة الأريب في تفسير الغريب» **المؤلف**: أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي الجوزي **(ت ٥٩٧هـ)**.

٥٥- «تزكية النفس» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

٥٦- «التسهيل لتأويل التنزيل» **المؤلف**: أبو عبد الله مصطفى بن العدوي المصري **(حفظه الله)**.

٥٧- «التسهيل لعلوم التنزيل» **المؤلف**: أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي **(ت ٧٤١هـ)**.

٥٨- «التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه» **المؤلف**: يحيى بن سلام التيمي البصري القيرواني **(ت ٢٠٠هـ)**.

٥٩- «التصوير الفني في القرآن» **المؤلف**: سيد قطب **(ت ١٩٦٦م)**.

٦٠- «التعليق على تفسير الجلالين» **المؤلف**: عبد الكريم بن عبد الله بن حمد الخضير.

٦١- «تفسير ابن أبي العز» **المؤلف**: محمد بن علاء الدين ابن أبي العز الحنفي الأذرعي الصالحي الدمشقي **(ت ٧٩٢هـ)**.

٦٢- «تفسير ابن عرفة» **المؤلف**: محمد بن محمد بن عرفة التونسي المالكي أبو عبد الله **(ت ٨٠٣هـ)**.

٦٣- «تفسير ابن فورك» **المؤلف**: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني **(ت ٤٠٦)**.

٦٤- «تفسير إسحاق البستي» **المؤلف**: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستي

القاضي **(ت ٣٠٧هـ)**.

٦٥- «تفسير الإمام الشافعي» **المؤلف**: جمع وتحقيق: أحمد مصطفى الفران.

٦٦- «تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» **المؤلف**: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الفاسي **(ت ١٢٢٤هـ)**.

٦٧- «التفسير البياني للقرآن الكريم» **المؤلف**: عائشة بنت محمد بن علي بن عبد الرحمن، المعروفة ببنت الشاطئ **(ت ١٤١٩هـ)**.

٦٨- «تفسير التستري» **المؤلف**: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس ابن رفيع التستري **(ت ٢٨٣هـ)**.

٦٩- «تفسير الثوري» **المؤلف**: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري **(ت ١٦١هـ)**.

٧٠- «تفسير الجلالين» **المؤلف**: جلال الدين المحلي (ت ٨٦٤هـ)، جلال الدين السيوطي **(ت ٩١١هـ)**.

٧١- «التفسير الحديث» **المؤلف**: دروزة محمد عزت **(ت ١٤٠٤هـ)**.

٧٢- «تفسير الراغب الأصفهاني» **المؤلف**: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني **(ت ٥٠٢)**.

٧٣- «تفسير الشعراوي - الخواطر» **المؤلف**: محمد متولي الشعراوي **(ت ١٤١٨هـ)**.

٧٤- «تفسير الفاتحة مثالًا على تدبر القرآن» **المؤلف**: من كتب المكتبة الشاملة، لم يذكر اسم المؤلف.



٧٥- «تفسير الفاتحة والبقرة» **المؤلف**: محمد بن صالح بن محمد العثيمين **(ت ١٤٢١هـ)**.

٧٦- «تفسير الفاتحة» **المؤلف**: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي الحنبلي **(ت ٧٩٥هـ)**.

٧٧- «تفسير القرآن العزيز» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن عبد الله المري الإلبيري ابن أبي زمنين **(ت ٣٩٩هـ)**.

٧٨- «تفسير القرآن العظيم» **المؤلف**: أبو الحسن علي بن محمد السخاوي المصري **(ت ٦٤٣هـ)**.

٧٩- «تفسير القرآن العظيم» **المؤلف**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي **(ت ٧٧٤هـ)**.

٨٠- «تفسير القرآن العظيم» لابن أبي حاتم **المؤلف**: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم **(ت ٣٢٧هـ)**.

٨١- «تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه» **المؤلف**: محمد علي طه الدرة.

٨٢- «تفسير القرآن الكريم» **المؤلف**: محمد بن إسماعيل المقدم.

٨٣- «تفسير القرآن من الجامع لابن وهب» **المؤلف**: عبد الله بن وهب بن مسلم أبي محمد المصري **(ت ١٩٧هـ)**.

٨٤- «تفسير القرآن» **المؤلف**: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري **(ت ٣١٩هـ)**.

٨٥- «تفسير القرآن» **المؤلف**: لأبي المظفر منصور بن محمد بن أحمد المروزي السمعاني **(ت ٤٨٩)**.

٨٦- «تفسير القرآن» وهو اختصار التفسير الماوردي **المؤلف**: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الملقب بـ (سلطان العلماء) (**ت ٦٦٠هـ**).

٨٧- «التفسير القرآني للقرآن» **المؤلف**: عبد الكريم يونس (**ت بعد ١٣٩٠هـ**).

٨٨- «تفسير الكتاب العزيز وإعرابه» **المؤلف**: عبيد الله بن أحمد ابن أبي الربيع القرشي الأموي الإشبيلي (**ت ٦٨٨هـ**).

٨٩- «تفسير الماتريدي وتأويلات أهل السنة» **المؤلف**: محمد بن محمد ابن محمود الماتريدي (**ت ٣٣٣هـ**).

٩٠- «التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون» **المؤلف**: الدكتور مأمون حموش.

٩١- «التفسير المحرر للقرآن الكريم» **المؤلف**: إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية.

٩٢- «تفسير المراغي» **المؤلف**: أحمد بن مصطفى المراغي (**ت ١٣٧١هـ**).

٩٣- «تفسير المظهري» **المؤلف**: مظهري محمد ثناء الله العثماني (**ت ١٢٢٥هـ - ١٨١٠م**).

٩٤- «تفسير المنار» **المؤلف**: محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (**ت ١٣٥٤هـ**).

٩٥- «التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج» **المؤلف**: وهبة الزحيلي (**ت ٢٠١٥م**).

٩٦- «التفسير الميسر» **المؤلف**: نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد.

٩٧- «التفسير النبوي دراسة لأحاديث التفسير النبوي الصريح» **المؤلف**: الدكتور خالد بن عبد العزيز الباتلي.

٩٨- «تفسير النسائي صاحب السنن» **المؤلف**: أبو عبد الله أحمد بن شعيب بن علي النسائي **(ت ٣٠٣هـ)**.

٩٩- «التفسير الواضح» **المؤلف**: الحجازي محمد محمود.

١٠٠- «التفسير الوسيط للقرآن الكريم **المؤلف**: محمد سيد طنطاوي **(ت ٢٠١٠م)**.

١٠١- «التفسير الوسيط للقرآن الكريم» **المؤلف**: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

١٠٢- «تفسير سورة الفاتحة ويليه المسائل المستنبطة منها **المؤلف**: من كتب المكتبة الشاملة، لم يذكر اسم المؤلف.

١٠٣- «تفسير سورة الفاتحة» **المؤلف**: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني **(ت ١٣٨٦هـ)**.

١٠٤- «تفسير سورة الفاتحة» **المؤلف**: محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي **(ت ١٢٠٦هـ)**.

١٠٥- «تفسير عبد الرزاق» **المؤلف**: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني **(ت ٢١١هـ)**.

١٠٦- «تفسير غريب القرآن» **المؤلف**: كاملة بنت محمد الكواري.

١٠٧- «تفسير في ظلال القرآن» **المؤلف**: سيد قطب **(ت ١٩٦٦م)**.

١٠٨- «تفسير مجاهد» **المؤلف**: مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي

المخزومي (**ت ١٠٤هـ**).

١٠٩- «تفسير مقاتل بن سليمان» **المؤلف**: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (**ت ١٥٠هـ**).

١١٠- «تفسير هو جزء من سنن سعيد بن منصور» **المؤلف**: سعيد بن منصور (**ت ٢٢٧هـ**).

١١١- «التفسير والمفسرون» **المؤلف**: محمد حسين الذهبي (**ت ١٩٧٧م**).

١١٢- «التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد» **المؤلف**: أبو العباس أحمد بن محمد البسيلي التونسي (**ت ٨٣٠**).

١١٣- «تلبيس إبليس» **المؤلف**: أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن الجوزي القرشي (**ت ٥٩٢هـ**).

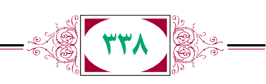
١١٤- «تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني (**ت ٧٢٨هـ**).

١١٥- «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» **المؤلف**: جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (**ت ٨١٧هـ**).

١١٦- «تهذيب سنن أبي داود» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن قيم الجوزية (**٦٩١- ٧٥١هـ**).

١١٧- «توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك» **المؤلف**: أبو محمد بدر الدين حسن المرادي.

١١٨- «توفيق الرحمن في دروس القرآن» **المؤلف**: فيصل بن عبد العزيز بن حمد المبارك النجدي (**١٣٧٦هـ**).



١١٩- «تيسير التفسير» **المؤلف**: إبراهيم القطان **(ت ١٤٠٤هـ)**.

١٢٠- «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» **المؤلف**: عبد الرحمن ابن ناصر بن عبد الله السعدي **(ت ١٣٧٦هـ)**.

١٢١- «التيسير بشرح الجامع الصغير» **المؤلف**: محمد عبد الرؤوف المناوي المصري **(٩٥٢ - ١٠٣١هـ - ١٦٢٢م)**.

١٢٢- «تيسير علم أصول الفقه» **المؤلف**: عبد الله الجديع.

١٢٣- «التيسير في أحاديث التفسير» **المؤلف**: محمد المكي الناصري **(ت ١٤١٤هـ)**.

١٢٤- «التيسير في التفسير» **المؤلف**: نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي **(ت ٥٣٧هـ)**.

١٢٥- «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» **المؤلف**: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري **(٢٢٤-٣١٠هـ)**.

١٢٦- «جامع البيان في تفسير القرآن» **المؤلف**: محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحسيني الإيجي **(ت ٩٠٥هـ)**.

١٢٧- «الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور» **المؤلف**: نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير **(ت ٦٣٧هـ)**.

١٢٨- «جامع المسائل» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

١٢٩- «الجامع لأحكام القرآن» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي **(ت ٦٧١هـ)**.

١٣٠- «جامع لطائف التفسير» **المؤلف**: عبد الرحمن بن محمد القماش.

١٣١- «الجامع لعلوم الإمام أحمد» **المؤلف**: خالد الرباط سيد عزت عيد.

١٣٢- «الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه» **المؤلف**: محمود صافي **(ت ١٤٠٥هـ)**.

١٣٣- «جزء عم من التفسير المسند» لابن مردويه **المؤلف**: أبو بكر بن مردويه **(ت ٤١٠هـ)**.

١٣٤- «جزء في تفسير القرآن ليحيى بن يمان، ونافع بن أبي نعيم القارئ، ومسلم بن خالد الزنجي، وعطاء الخراساني؛ برواية أبي جعفر محمد بن أحمد بن نصر الشافعي الترمذي الرملي الفقيه» **(ت ٢٩٥هـ)**.

١٣٥- «جلاء الأفهام» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

١٣٦- «جواب الاعتراضات المصرية» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

١٣٧- «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

١٣٨- «جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار» **المؤلف**: عبد القادر بن أحمد بدران.

١٣٩- «الجواهر الحسان في تفسير القرآن» **المؤلف**: عبد الرحمن بن محمد ابن مخلوف الثعالبي **(ت ٨٧٥هـ)**.

١٤٠- «جواهر القرآن» **المؤلف**: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي **(ت ٥٠٥)**.

١٤١- «حادي الأرواح» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (**٦٩١- ٧٥١هـ**).

١٤٢- «حاشية الخضري على ابن عقيل» **المؤلف**: محمد بن مصطفى الخضري الشافعي الدمياطي (**ت ١٢٨٧هـ**).

١٤٣- «حاشية الصبان على الأشموني» **المؤلف**: محمد بن علي الصبان الشافعي المصري (**ت ١٢٠٦هـ**).

١٤٤- «حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن» **المؤلف**: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري.

١٤٥- «حقائق التفسير» **المؤلف**: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي (**ت ٤١٢هـ**).

١٤٦- «حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة» **المؤلف**: عماد بن زهير حافظ.

١٤٧- «الداء والدواء» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (**٦٩١- ٧٥١هـ**).

١٤٨- «الدر المصون في علم الكتاب المكنون» **المؤلف**: السمين الحلبي، أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (**ت ٧٥٦هـ**).

١٤٩- «درء تعارض العقل والنقل» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني (**ت ٧٢٨هـ**).

١٥٠- «درج الدرر في تفسير القرآن العظيم» **المؤلف**: عبد القاهر الجرجاني (**ت ٤٧١هـ**).

١٥١- «دليل السالك إلى ألفية ابن مالك» **المؤلف**: عبد الله الفوزان.

١٥٢- «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» **المؤلف**: محمد بن علي ابن علان البكري الصديقي الشافعي **(ت ١٠٥٧هـ - ١٦٤٧م)**.

١٥٣- «الرد على الشاذلي» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

١٥٤- «الرسالة الصفدية» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

١٥٥- «رفع اليدين في الصلاة» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

١٥٦- «روائع البيان في تفسير آيات الأحكام» **المؤلف**: محمد بن علي الصابوني **(ت ١٤٤٢هـ)**.

١٥٧- «روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي» **المؤلف**: جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد.

١٥٨- «الروايات التفسيرية في فتح الباري» **المؤلف**: عبد المجيد الشيخ عبد الباري.

١٥٩- «روح البيان» **المؤلف**: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي **(ت ١١٢٧هـ)**.

١٦٠- «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» **المؤلف**: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي **(ت ١٢٧٠هـ)**.

١٦١- «روضة المحبين» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.



١٦٢- «زاد المسير في علم التفسير» **المؤلف**: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي **(ت ٥٩٧هـ)**.

١٦٣- «زاد المعاد في هدي خير العباد» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

١٦٤- «الزهد» لابن المبارك **المؤلف**: عبد الله بن المبارك المروزي **(ت ١٨١هـ)**.

١٦٥- «زهرة التفاسير» **المؤلف**: محمد أبو زهرة **(ت ١٣٩٤هـ)**.

١٦٦- «سبل السلام» **المؤلف**: محمد بن إسماعيل الحسين الصنعاني **(ت ١١٨٢هـ** - ١٧٦٩م).

١٦٧- «السراج المنير» **المؤلف**: محمد بن أحمد الشربيني **(ت ٩٧٧هـ)**.

١٦٨- «السراج في بيان غريب القرآن» **المؤلف**: محمد بن عبد العزيز أحمد الخضيري.

١٦٩- «سنن ابن ماجه» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني **(ت ٢٧٥هـ)**.

١٧٠- «شرح الأصبهانية» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

١٧١- «شرح السنة» للبغوي **المؤلف**: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي **(ت ٥١٦هـ)**.

١٧٢- «شرح العمدة» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

١٧٣- «شرح مشكل الآثار» **المؤلف**: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري الطحاوي **(ت ٣٢١هـ)**.

١٧٤- «الصارم المسلول» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

١٧٥- «صحيح ابن حبان المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع» **المؤلف**: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي **(٣٥٤هـ)**.

١٧٦- «صحيح البخاري» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري **(١٩٤- ٢٥٦هـ)**.

١٧٧- «صحيح مسلم» **المؤلف**: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري **(٢٠٦ - ٢٦١هـ)**.

١٧٨- «صفوة التفاسير» **المؤلف**: محمد بن علي الصابوني **(ت ١٤٤٢هـ)**.

١٧٩- «الصواعق المرسلة» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

١٨٠- «الطرق الحكمية» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

١٨١- «طريق الهجرتين» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

١٨٢- «عدة الصابرين» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

١٨٣- «العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير» **المؤلف**: محمد الأمين بن محمد المختار عبد القادر الجكني الشنقيطي **(ت ١٣٩٣هـ)**.

١٨٤- «عناية القاضي وكفاية الراضي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي» **المؤلف**: شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري **(ت ١٠٦٩هـ)**.

١٨٥- «غرائب التفسير وعجائب التأويل» **المؤلف**: محمود بن حمزة نصر أبو القاسم برهان الدين الكرماني **(ت ٥٠٥هـ)**.

١٨٦- «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» **المؤلف**: نظام الدين بن محمد ابن حسين القمي النيسابوري **(ت ٨٥٠هـ)**.

١٨٧- «فتاوى ابن الصلاح» **المؤلف**: عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح **(ت ٦٤٣هـ)**.

١٨٨- «الفتاوى الكبرى» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

١٨٩- «فتح الباري» **المؤلف**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني **(٧٧٣-٨٥٢هـ)**.

١٩٠- «فتح البيان في مقاصد القرآن» **المؤلف**: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن لطف الله الحسيني البخاري **(ت ١٢٠٧هـ)**.

١٩١- «فتح الرحمن في تفسير القرآن» **المؤلف**: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي **(٩٢٧هـ)**.

١٩٢- «فتح القدير» **المؤلف**: كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام **(ت ٨٦١هـ)**.

١٩٣- «فتح القدير» **المؤلف**: محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني **(ت ١٢٥٠هـ)**.

١٩٤- «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب»، (حاشية الطيبي على الكشاف) **المؤلف**: الحسين بن عبد الله الطيبي (**ت ٧٤٣هـ**).

١٩٥- «الفتوى الحموية الكبرى» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني (**ت ٧٢٨هـ**).

١٩٦- «الفروسية المحمدية» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (**٦٩١- ٧٥١هـ**).

١٩٧- «الفروق اللغوية» **المؤلف**: الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال العسكري (**٣٩٥هـ - ١٠٠٥م**).

١٩٨- «فقه اللغة وسر العربية» **المؤلف**: لأبي منصور الثعالبي.

١٩٩- «الفوائد» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (**٦٩١- ٧٥١هـ**).

٢٠٠- «الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية» **المؤلف**: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف الشيخ علوان (**ت ٩٢٠هـ**).

٢٠١- «في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير» **المؤلف**: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (**ت ١٣٥٩هـ**).

٢٠٢- «القرآن تدبر وعمل» **المؤلف**: مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي.

٢٠٣- «قواطع الأدلة في الأصول» **المؤلف**: أبو المظفر منصور بن محمد المروزي السمعاني (**٤٨٩هـ**).

٢٠٤- «كتاب «الروح» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

٢٠٥- «كتاب «الصلاة» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

٢٠٦- «كتاب في لغات القرآن»، [وهو غير معاني القرآن للفراء] **المؤلف**: أبو زكريا يحيى بن زياد بن منظور الديلمي الفراء **(ت ٢٠٧هـ)**.

٢٠٧- «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» **المؤلف**: أبو القاسم محمود ابن عمرو الزمخشري جار الله **(ت ٥٣٨هـ)**.

٢٠٨- «كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل» **المؤلف**: الحداد اليمني **(ت ٨٠٠هـ)**.

٢٠٩- «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» **المؤلف**: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق **(ت ٤٢٧هـ)**.

٢١٠- «الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية» **المؤلف**: عبد الله خضر حمد.

٢١١- «الكلام على مسألة السماع» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

٢١٢- «الكلم الطيب» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

٢١٣- «لباب التأويل في معاني التنزيل» **المؤلف**: علاء الدين علي بن محمد أبو الحسن المعروف بالخازن **(ت ٧٤١هـ)**.

٢١٤- «اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب» **المؤلف**: سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم.

٢١٥- «اللباب في علوم الكتاب» **المؤلف**: أبو حفص سراج الدين عمر ابن علي الحنبلي الدمشقي النعماني **(٧٧٥هـ)**.

٢١٦- «لطائف الإشارات» **المؤلف**: عبد الكريم بن هوازن القشيري **(ت ٤٦٥هـ)**.

٢١٧- «لمسات بيانية» **المؤلف**: الدكتور فاضل السامرائي، كتاب على الشاملة.

٢١٨- «مباحث التفسير، وهو استدراكات وتعليقات على تفسير الكشف والبيان للثعلبي» **المؤلف**: أبو العباس أحمد بن المظفر بن المختار الرازي الحنفي **(ت ٦٣١هـ)**.

٢١٩- «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» **المؤلف**: نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير **(ت ٦٣٧)**.

٢٢٠- «مجاز القرآن» **المؤلف**: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري **(ت ٢٠٩هـ)**.

٢٢١- «مجموع الرسائل» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

٢٢٢- «مجموع الفتاوى» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

٢٢٣- «محاسن التأويل» **المؤلف**: محمد جمال الدين القاسمي **(ت ١٣٣٢هـ)**.

٢٢٤- «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» **المؤلف**: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي **(ت٥٤٢ هـ)**.

٢٢٥- «المختصر في تفسير القرآن الكريم» **المؤلف**: جماعة من علماء التفسير - مركز تفسير للدراسات القرآنية - مكتبة الملك فهد.

٢٢٦- «مدارج السالكين» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

٢٢٧- «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» **المؤلف**: عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات النسفي **(ت ٧١٠هـ)**.

٢٢٨- «مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد» **المؤلف**: محمد بن عمر نووي الجاوي التناري **(ت ١٣١٦)**.

٢٢٩- «المستدرك على مجموع الفتاوى» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

٢٣٠- «مسند أبي يعلى الموصلي» **المؤلف**: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي **(ت ٣٠٧هـ)**.

٢٣١- «مسند أحمد بن حنبل» **المؤلف**: أحمد بن حنبل الشيباني **(٢٤١هـ)**.

٢٣٢- «معالم التنزيل في تفسير القرآن» **المؤلف**: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي **(ت ٥١٠هـ)**.

٢٣٣- «معالم السنن شرح سنن أبي داود» **المؤلف**: حمد بن محمد الخطابي البستي **(ت ٣٨٨هـ)**.

٢٣٤- «معاني القرآن وإعرابه» **المؤلف**: إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج **(ت ٣١١هـ)**

٢٣٥- «معاني القرآن» **المؤلف**: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء **(ت ٢٠٧)**.

٢٣٦- «معاني القرآن» **المؤلف**: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري المعروف بـ (النحاس أو بابن النحاس) **(ت ٣٣٨هـ)**.

٢٣٧- «معاني القرآن» للأخفش (معتزلي) **المؤلف**: أبو الحسن المجاشعي البلخي ثم البصري المعروف بـ (الأخفش الأوسط) **(ت ٢١٥هـ)**.

٢٣٨- «المعجم الوسيط» **المؤلف**: مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية.

٢٣٩- «مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي **(ت ٦٠٦هـ)**.

٢٤٠- «مفتاح دار السعادة» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

٢٤١- «ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل» **المؤلف**: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي **(ت ٧٠٨هـ)**.

٢٤٢- «المنار المنيف» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

٢٤٣- «المنتخب في تفسير القرآن الكريم» **المؤلف**: لجنة من علماء الأزهر.

٢٤٤- «منهاج السنة النبوية» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

٢٤٥- «الموافقات» **المؤلف**: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي **(ت ٧٩٠هـ)**.

٢٤٦- «موسوعة التفسير المأثور» **المؤلف**: مساعد بن سليمان الطيار، ونوح بن يحيى.

٢٤٧- «موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور» **المؤلف**: الدكتور حكمت بن بشير بن ياسين.

٢٤٨- «الموسوعة القرآنية» **المؤلف**: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري **(ت ١٤١٤هـ)**.

٢٤٩- «النبوات» **المؤلف**: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)**.

٢٥٠- «نحو تفسير موضوعي» **المؤلف**: محمد الغزالي **(ت ١٩٩٦م)**.

٢٥١- «النظرات الماتعة في سورة الفاتحة» **المؤلف**: مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني.

٢٥٢- «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» **المؤلف**: إبراهيم بن عمر ابن حسن البقاعي **(ت ٨٨٥هـ)**.

٢٥٣- «النقد اللغوي في تهذيب اللغة» للأزهري **المؤلف**: حمدي عبد الفتاح السيد بدران.

٢٥٤- «نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام» **المؤلف**: محمد بن علي الكرجي القَصَّاب **(عاش أواخر القرن الثالث وأوائل النصف الثاني من القرن الرابع)**.

٢٥٥- «النكت والعيون» **المؤلف**: أبو الحسن الشهير بالماوردي علي بن محمد بن حبيب البصري **(ت ٤٥٠هـ)**.

٢٥٦- «نواهد الأبكار وشوارد الأفكار» **المؤلف**: حاشية السيوطي جلال الدين على تفسير البيضاوي **(ت ٩١١هـ)**.

٢٥٧- «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

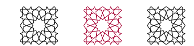
٢٥٨- «الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن» **المؤلف**: أبو محمد مكي بن أبي طالب حموشي القيسي القيرواني ثم الأندلسي **(ت ٤٣٧هـ)**.

٢٥٩- «الوابل الصيب» **المؤلف**: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية **(٦٩١- ٧٥١هـ)**.

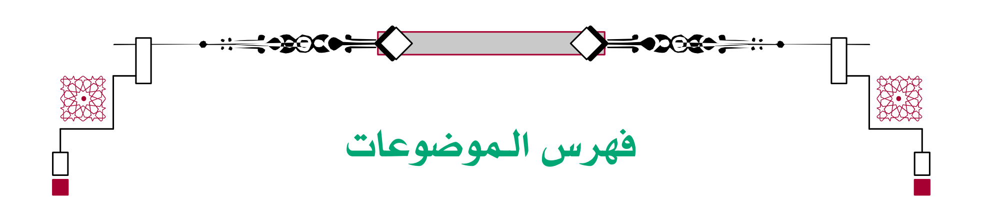
٢٦٠- «الواضح في علوم القرآن» **المؤلف**: الدكتور مصطفى البغا، ومحيي الدين ديب مستو.

٢٦١- «الوسيط في تفسير القرآن المجيد» **المؤلف**: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري **(ت ٤٦٨هـ)**.

٢٦٢- الإنترنت، ومواقع بعض المشايخ.







فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

صدر للمؤلف

سلسلة كيف الربانية

مِنَ القُرآنِ وصَحِيحِ السُنةِ النبويّة

- كيف يحبك الله .
- كيف تعبد الله بأفضل العمل.
- كيف تكون من خيار المسلمين لا من شرارهم.
- كيف يغفر الله ذنبك ويثقل ميزانك (مع أعمال تدخل الجنة أو النار).
- كيف يستجيب الله دعاءك.
- كيف يصلح قلبك ويشرح صدرك ويرفع همك.
- كيف تستكمل الإيمان وتذوق طعمه وحلاوته.
- كيف تكون أقرب إلى الله وفي الآخرة إلى رسوله.
- كيف يكون الله معك ويحفظك.
- كيف تنجو من الفتن.
- كيف يرزقك الله سبحانه وتعالى.

كتاب جمع أصول هذه الأبواب بإذن الله تعالى

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

تأليف الشيخ

أبي محمد منير بن أيوب الفياض